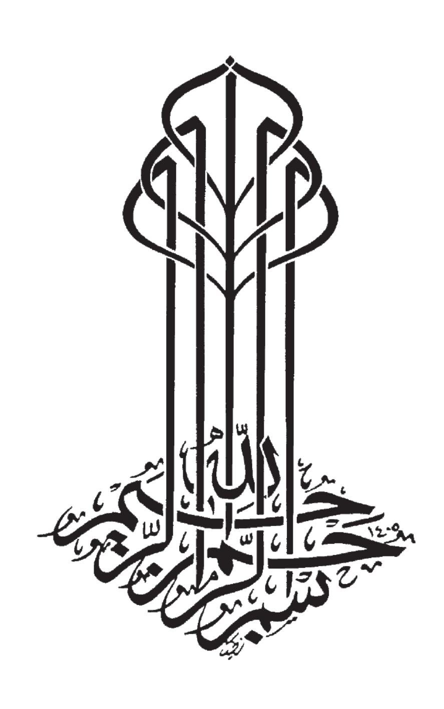
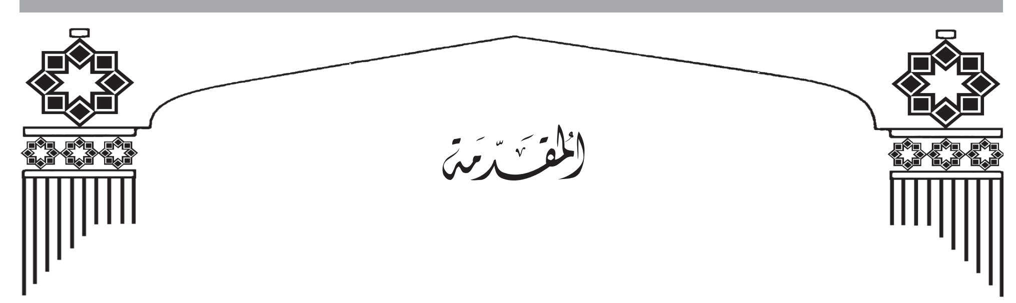
الإِخْلَاصُ

طَرِيقُ الخَلَاصِ

عبد الهادي بن حسن وهبي





المقدمة

إِنَّ الحمدَ للهِ نَحمَدُهُ وَنَستعِينُهُ وَنَستغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعدُ: فَقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ**

امْرِئٍ مَا نَوَى»[١].

هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، مُجمَعٌ عَلَى عِظَم مَوقِعِهِ وَجَلَالَتِهِ، وَهُوَ أَحَدُ قَوَاعِدِ الإِيمَانِ، وَأَوَّلُ دَعَائِمِهِ وَأَشَدُّ الأَركَانِ[٢].

وَهُوَ حَدِيثٌ جَلِيلُ القَدرِ، عَظِيمُ النَّفْعِ، جَامِعٌ «لِلمَعَانِي الكَثِيرَةِ الجَلِيلَةِ فِي الأَلفَاظِ القَلِيلَةِ، وَهُوَ مِمَّا لَم يَقُلهُ أَحَدٌ قَبلَهُ»[٣].

وَهُوَ مِنَ الأَحَادِيثِ المُبَارَكَةِ، الجَامِعَةِ لِأَنوَاعٍ مِنَ العُلُومِ وَالفِقهِيَّاتِ، لَا غِنَى عَنْ بَرَكَتِهِ لِأَحَدٍ مِن أَهلِ الإِسلَامِ[٤].

وَاستَحَبَّ العُلَمَاءُ أَن تُستَفتَحَ المُصَنَّفَاتُ بِهَذَا الحَدِيثِ، وَمِمَّنِ ابتَدَأَ بِهِ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ: مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَمُحيِي السُّنَّةِ فِي كِتَابَي: شَرحِ السُّنَّةِ، وَالمَصَابِيحِ، «تَنبِيهًا عَلَى تَصحِيحِ النِّيَّةِ وَالإِخلَاصِ لِكُلٍّ مِنَ العَالِمِ وَالمُتَعَلِّمِ، وَأَنَّهُ الأَسَاسُ الَّذِي يُبنَى عَلَيهِ جَمِيعُ الأَحوَالِ مِنَ العَقَائِدِ وَالأَعمَالِ»[٥].

وَإِنَّ مُعَامَلَةَ النَّاسِ بَعضَهُم لِبَعضٍ مَبنَاهَا عَلَى الظَّاهِرِ دُونَ الِالتِفَاتِ إِلَى البَاطِنِ، لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعرِفَتِهِ، وَنَحنُ قَد أُمِرنَا أَن نَقبَلَ مِنَ النَّاسِ عَلَانِيَتَهُم، وَلَم نُؤمَر أَن نُنَقِّبَ عَن قُلُوبِهِم.

عَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ

---

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) «بستان العارفين» (ص ٢٩).

(٣) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٩/ ١٩٩).

(٤) «السراج الوهاج» (٦/ ٤٨٧).

(٥) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٣٨).

فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ؛ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ؛ وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ(١).

وَإِنَّ مُعَامَلَةَ العَبدِ رَبَّهُ «مَبنَاهَا عَلَى المَقَاصِدِ، وَالنِّيَّاتِ، وَالسَّرَائِرِ»(٢).

فَمَن أَظهَرَ قَولًا سَدِيدًا، وَلَم يَكُن قَد قَصَدَ بِهِ حَقِيقَتَهُ، كَانَ آثِمًا عَاصِيًا لِرَبِّهِ، وَإِن قَبِلَ النَّاسُ مِنهُ الظَّاهِرَ، كَالمُنَافِقِ الَّذِي يَقبَلُ مِنهُ المُسلِمُونَ عَلَانِيَتَهُ، وَهُوَ عِندَ اللَّهِ فِي الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ(٣).

فَمَنْ «ظَهَرَتْ لَنَا مِنْهُ عَلَانِيَةُ خَيرٍ قَبِلْنَا شَهَادَتَهُ، وَوَكَلْنَا سَرِيرَتَهُ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ لَم يَجعَلْ أَحكَامَ الدُّنْيَا عَلَى السَّرَائِرِ، بَلْ عَلَى الظَّوَاهِرِ، وَالسَّرَائِرُ تَبَعٌ لَهَا. وَأَمَّا أَحْكَامُ الْآخِرَةِ فَعَلَى السَّرَائِرِ، وَالظَّوَاهِرُ تَبَعٌ لَهَا»(٤).

فَكَمْ بَيْنَ مُرِيدٍ بِالْفَتْوَى وَجْهَ اللَّهِ وَرِضَاهُ وَالْقُرْبَ مِنْهُ وَمَا عِنْدَهُ، وَمُرِيدٍ بِهَا وَجْهَ المَخْلُوقِ وَرَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ وَمَا يَنَالُهُ مِنْهُ تَخْوِيفًا أَوْ طَمَعًا؟! فَيُفْتِي الرَّجُلَانِ بِالْفَتْوَى الْوَاحِدَةِ، وَبَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ وَالثَّوَابِ، أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ. هَذَا يُفْتِي لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا،

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤١).

(٢) «بيان الدليل على بطلان التحليل» (ص٢٨٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «إعلام الموقِّعين» (١/ ١٧٣) [مكتبة ابن تيمية - القاهرة].

وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرُ، وَرَسُولُهُ هُوَ الْمُطَاعُ؛ وَهَذَا يُفْتِي لِيَكُونَ قَوْلُهُ هُوَ الْمَسْمُوعُ، وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ، وَجَاهُهُ هُوَ الْقَائِمُ، سَوَاءٌ وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ أَوْ خَالَفَهُمَا[(١)].

فَالأَوَّلُ أَسَّسَ بُنيَانَهُ عَلَى تَقوَى مِنَ اللهِ وَرِضوَانٍ، وَالثَّانِي أَسَّسَ بُنيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ. هَل يَستَوِيَانِ؟ كَلَّا وَاللهِ لَا يَستَوِيَانِ أَبَدًا، كَمَا لَا يَستَوِي النُّورُ وَالظَّلَامُ، وَاللَّيلُ وَالنَّهَارُ، وَالمَاءُ وَالنَّارُ.

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة].

«شَتَّانَ مَا بَينَهُمَا؛ وَاحِدٌ يَدخُلُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ وَنِيَّتِهِ، وَآخَرُ يَدخُلُ النَّارَ بِهِمَا، كُلُّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى مَا احتَوَت عَلَيهِ سُوَيدَاءُ القُلُوبِ مِنَ النِّيَّاتِ الحَسَنَةِ وَضِدِّهَا»[(٢)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»[(٣)].

فَانظُر كَيفَ جَعَلَ النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ سَبَبًا قَوِيًّا لِلرِّزقِ وَأَدَاءِ اللهِ عَنهُ، وَجَعَلَ النِّيَّةَ السَّيِّئَةَ سَبَبًا لِلتَّلَفِ وَالإِتلَافِ؟![(٤)]

---

(١) «إعلام الموقِّعين» (٤/ ٢٥١).

(٢) «المدخل» (٢/ ٢/ ١٩)، لابن الحاج رحمه الله.

(٣) رواه البخاري (٢٣٨٧).

(٤) «بهجة قلوب الأبرار» (١/ ٢٣)، للعلَّامة السعدي رحمه الله.

وَعَن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْوِ إِلَّا عِقَالًا، فَلَهُ مَا نَوَى**»[١].

وَالعِقَالُ: حَبلٌ صَغِيرٌ تُشَدُّ بِهِ رُكبَتَا البَعِيرِ لِئَلَّا يَنفِرَ، وَهُوَ مُبَالَغَةٌ فِي قَطعِ النَّظَرِ عَنِ الغَنِيمَةِ، بَل يَكُونُ خَالِصًا للهِ تَعَالَى، غَيرَ مَشُوبٍ بِأَغرَاضٍ دُنيَوِيَّةٍ[٢].

وَبَعْثُ النَّاسِ سَيَكُونُ عَلَى حَسَبِ نِيَّاتِهِم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»[٣].

وَإِنَّ «الفَرقَ الَّذِي وَقَعَ بَينَنَا وَبَينَ سَلَفِنَا فِي غَالِبِ أَحوَالِنَا: إِنَّمَا هُوَ مِن أَجلِ هَذِهِ النِّيَّةِ الَّتِي احتَوَت عَلَيهَا سُوَيدَاءُ القُلُوبِ، إِذ إِنَّا نُصَلِّي كَمَا كَانُوا يُصَلُّونَ، وَنَصُومُ كَمَا كَانُوا يَصُومُونَ، وَنَحُجُّ كَمَا كَانُوا يَحُجُّونَ، وَافتَرَقنَا لِأَجلِ النِّيَّاتِ»[٤].

فَقَد كَانُوا «يَأتُونَ بِالمَسَائِلِ العَظِيمَةِ وَالفَوَائِدِ النَّفِيسَةِ، وَلَا يُرِيدُونَ أَن تُنسَبَ إِلَيهِم، خَوفًا عَلَى أَنفُسِهِم مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمعَةِ، فَكَانُوا مِن ذَلِكَ بُرَآءَ لِشِدَّةِ إِخلَاصِهِم وَمُرَاقَبَتِهِم لِرَبِّهِم فِي أَعمَالِهِم؛ وَنَحنُ اليَومَ

---

(١) رواه النسائي (٣١٣٨)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٤).

(٢) «شرح الطيبي على المشكاة» (٨/ ٢٦٥٩ - ٢٦٦٠).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٢٩)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣).

(٤) «المدخل» (١/ ١/ ٢٣)، لابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ.

- مَعَ قِلَّةِ الإخلَاصِ، وَقِلَّةِ اليَقِينِ، وَالجَزَعِ مِنَ الخَلقِ، وَالطَّمَعِ فِيمَا فِي أَيدِيهِم مِنَ المَالِ وَالجَاهِ -، نُحِبُّ أَنْ يُسمَعَ مَا نُلقِيهِ، وَيُخبَرَ عَنَّا بِهِ، وَيُشَاعَ وَيُذَاعَ»(١).

قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ أَبِي جَمرَةَ (ت٦٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَدِدْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ مَقَاصِدَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيَقْعُدَ إِلَى التَّدْرِيسِ فِي أَعْمَالِ النِّيَّاتِ، لَيْسَ إِلَّا - أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ -؛ فَإِنَّهُ مَا أُتِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا مِنْ تَضْيِيعِ النِّيَّاتِ»(٢).

وَلَـمَّا ضَعُفَ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، سَاءَتْ مَقَاصِدُهُم، وَابتَعَدُوا عَنِ النِّيَّاتِ الخَالِصَةِ للهِ، وَأَهمَلُوا صَلَاحَ قُلُوبِهِم وَسَرَائِرِهِم، وَتَفَشَّتِ الأَمرَاضُ المُزمِنَةُ: كَالرِّيَاءِ، وَالعُجبِ، وَالكِبرِ، وَالنِّفَاقِ، وَحُبِّ الشُّهرَةِ وَالظُّهُورِ.

فَقَامَ «المُنكَرُ مَقَامَ المَعرُوفِ، وَالجَهلُ مَقَامَ العِلمِ، وَالرِّيَاءُ مَقَامَ الإِخلَاصِ، وَالبَاطِلُ مَقَامَ الحَقِّ، وَالكَذِبُ مَقَامَ الصِّدقِ، وَالمُدَاهَنَةُ مَقَامَ النَّصِيحَةِ، وَالظُّلمُ مَقَامَ العَدلِ»(٣). فَتَحَابَبنَا بِالأَلسُنِ مَعَ الرُّؤيَةِ، وَتَبَاغَضْنَا بِالقُلُوبِ مَعَ فَقدِ الرُّؤيَةِ(٤).

الإِخلَاصُ عُملَةٌ أَصْبَحَتْ نَادِرَةً، نَفْتَقِدُ إِلَيهَا، وَنَبْحَثُ عَنْهَا، عَزَّ وُجُودُهَا.

---

(١) «المدخل» (١/ ١/ ١٠٤) باختصار، لابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) نقله عنه ابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ: في «المدخل» (١/ ١/ ١٠).
(٣) «فوائد الفوائد» (ص٤٤٠).
(٤) «المدخل» (٢/ ١/ ٦٣)، لابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَينَ الإِخلَاصُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ أَينَ الإِخلَاصُ لِدِينِنَا؟ أَينَ الإِخلَاصُ لِوَالِدِينَا؟ أَينَ الإِخلَاصُ لِمَن عَلَّمَنَا؟ أَينَ الإِخلَاصُ لِمَن رَبَّانَا؟ أَينَ الإِخلَاصُ لِمَن أَحسَنَ إِلَينَا؟ أَينَ الإِخلَاصُ فِي عَمَلِنَا؟ أَينَ الإِخلَاصُ فِي تَعَامُلِنَا؟ لِمَاذَا اختَفَى الإِخلَاصُ فِي حَيَاتِنَا؟

فَلِشِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَى الإِخلَاصِ وَلِعِظَمِ شَأنِهِ، وَلِكَونِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ المُسلِمِينَ فِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلَى الإِخلَاصِ، جَمَعتُ هَذَا البَحثَ تَذكِيرًا بِالإِخلَاصِ، وَحَثًّا عَلَى طَلَبِهِ وَالقِيَامِ بِحَقِّهِ، وَاضِعًا نُصبَ عَينَيَّ قَولَ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

أَسأَلُ اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكرَامِ «التَّوفِيقَ لِحُسنِ النِّيَّاتِ، وَتَيسِيرَ أَنوَاعِ الطَّاعَاتِ، وَالهِدَايَةَ لَهَا دَائِمًا فِي ازدِيَادٍ حَتَّى المَمَاتِ، وَمَغفِرَةَ مَا ظَلَمتُ نَفسِي بِهِ فِي المُخَالَفَاتِ، وَأَن يَفعَلَ ذَاكَ بِوَالِدَيَّ وَمَشَايِخِي وَأَهلِينَا وَأَحبَابِنَا، وَسَائِرِ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ؛ وَأَن يَجُودَ عَلَينَا أَجمَعِينَ بِرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ، وَدَوَامِ طَاعَتِهِ، وَيَجمَعَ بَينَنَا فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، وَغَيرَ ذَلِكَ مِن أَنوَاعِ المَسَرَّاتِ، وَأَن يَنفَعَنَا أَجمَعِينَ بِهَذَا الكِتَابِ، وَيَجمَعَ لَنَا المَثُوبَاتِ، وَأَلَّا يَنزِعَ مِنَّا مَا وَهَبَهُ لَنَا وَمَنَّ بِهِ عَلَينَا مِنَ الخَيرَاتِ، وَأَلَّا يَجعَلَ شَيئًا مِن ذَلِكَ فِتنَةً لَنَا، وَأَن يُعِيذَنَا مِن كُلِّ المُخَالَفَاتِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدَّعَوَاتِ، جَزِيلُ العَطِيَّاتِ؛ اعتَصَمتُ بِاللهِ، تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ، مَا شَاءَ اللهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، حَسبِيَ اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ،

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ»(١).

وَاللهَ أَرجُـو الـمَنَّ بِـالإِخـلَاصِ لِكَي يَكُونَ مُوجِبَ الخَلَاصِ(٢)

وَنَسْأَلُهُ ﷻ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الكِتَابَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسَبَبًا لِلْفَوزِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي وَمَنْ نَظَرَ فِيهِ، وَأَصْلَحَ مَا بِهِ مِنْ نَقْصٍ وَخَلَلٍ، وَدَعَا لِي بِقَلْبِهِ وَفِيهِ، إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، وَبِالإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

«فَيَا أَيُّهَا القَارِئُ لَهُ: مَا وَجَدتَ فِيهِ مِنْ صَوَابٍ وَحَقٍّ فَاقبَلهُ، وَلَا تَلتَفِت إِلَى قَائِلِهِ؛ بَلِ انظُر إِلَى مَا قَالَ، لَا إِلَى مَنْ قَالَ.

وَمَا وَجَدتَ فِيهِ مِن خَطَإٍ: فَإِنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَأْلُ جَهدَ الإِصَابَةِ. وَيَأبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَتَفَرَّدَ بِالكَمَالِ. كَمَا قِيلَ:

وَالنَّقصُ فِي أَصلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ فَبَنُو الطَّبِيعَةِ نَقصُهُم لَا يُجحَدُ»(٣)

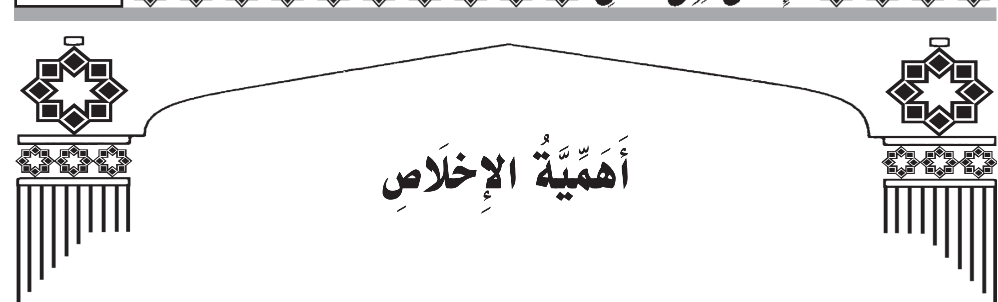
الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ

عَبدُ الهَادِي بنُ حَسَنٍ وَهبِي(٤)



(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١/ ١٠).
(٢) «متن الزبد» (ص٥)، لابن رسلان.
(٣) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ١٠٨٣).
(٤) بيروت - لبنان. ص.ب ٦٠٩٣/ ١٣ شوران.
هاتف: ٦٢٦٧٨٧/ ٠٣ - فاكس: ٧٩١٠٥٠/ ٠١.
موقع الإنترنت: www.asseraj.net.
البريد الإلكتروني: asseraj@asseraj.net.





أَهَمِّيَّةُ الإِخلَاصِ

الحَدِيثُ عَنِ الإِخلَاصِ: حَدِيثٌ عَزِيزٌ وَغَرِيبٌ. غَرِيبٌ: أَوشَكَ أَن لَا يُعرَفَ، وَعَزِيزٌ: كَادَ أَن لَا يُوجَدَ.

الإِخلَاصُ عَظِيمُ القَدرِ، جَلِيلُ النَّفعِ. بِهِ يُنَالُ المَطلُوبُ وَالمَقصُودُ.

الإِخلَاصُ عَمَلٌ مِن أَعمَالِ القَلبِ، وَالقَلبُ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالقَلبُ المُزَيَّنُ بِالإِخلَاصِ، كَالجوهَرِ المَكنُونِ فِي الوِعَاءِ، وَلَن يَتَزَيَّنَ القَلبُ بِزِينَةٍ، هِيَ أَبهَى وَلَا أَجمَلُ مِنَ الإِخلَاصِ.

وَهُوَ سِرُّ العُبُودِيَّةِ وَرُوحُهَا وَلُبُّهَا، وَمَحَلُّهُ مِنَ العَمَلِ مَحَلُّ الرُّوحِ مِنَ الجَسَدِ، فَإِذَا خَلَا عَمَلُ الجَوَارِحِ مِنهُ، كَانَ كَالجَسَدِ المَوَاتِ بِلَا رُوحٍ؛ وَكَشَجَرَةٍ بِلَا ثَمَرٍ. وَهُوَ طَرِيقُ الخَلَاصِ.

وَشَتَّانَ بَينَ قَومٍ سَلَكُوا طَرِيقَ الرِّيَاءِ، وَقَومٍ سَلَكُوا طَرِيقَ الإِخلَاصِ.

«وَسِرُّ النَّجَاحِ وَبُلُوغُ الغَايَةِ الَّتِي يُسعَى إِلَيهَا: هُوَ الإِخلَاصُ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَيُتَمَّ، وَمَا كَانَ لِغَيرِهِ فَعَاقِبَتُهُ الخُسرَانُ وَالفَشَلُ»[1].

وَالإِخلَاصُ نُورٌ فِي القَلبِ، يَدعُو إِلَى صَلَاحِ النِّيَّةِ، وَصَفَاءِ الطَّوِيَّةِ، وَإِتقَانِ العَمَلِ وَالعِبَادَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِعلِ الخَيرِ، وَالمَعرُوفِ لِوَجهِ اللَّهِ ذِي

(١) «إصلاح المجتمع» (ص١١).

الجَلَالِ وَالإِكرَامِ، وَمَنِ افتَقَدَ هَذَا النُّورَ: أَظلَمَ قَلبُهُ، وَفَسَدَ عَمَلُهُ، وَحَبِطَ أَجرُهُ، وَضَلَّ سَعيُهُ، وَخَسِرَ خُسرَانًا مُبِينًا(١).

وَاللهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ وَأَمَرَنَا بِالإِخلَاصِ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥﴾ [البينة].

أَي: مَا أُمِرُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ؛ إِلَّا لِتَحقِيقِ العِبَادَةِ، وَالإِخلَاصِ للهِ تَعَالَى فِيهَا(٢).

وَهَذِهِ الآيَةُ مِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ النِّيَّةِ فِي العِبَادَاتِ؛ لِأَنَّ الإِخلَاصَ فِي العَمَلِ مِن عَمَلِ القَلبِ(٣).

وَكَفَى بِهَذِهِ الآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الإِخلَاصِ وَلُزُومِ الإِقبَالِ عَلَيهِ، فَحَقَّ لِلعَبدِ أَن لَا يَشتَغِلَ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَتعَبَ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَنظُرَ إِلَّا فِيهِ.

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر]. «وَالعِبَادَةُ هِيَ الدِّينُ، وَالدِّينُ هُوَ العِبَادَةُ، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]؛ وَمَا لَيسَ بِخَالِصٍ فَلَيسَ للهِ، وَلَا يَقبَلُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»(٤).

فَأَفَادَتِ الآيَةُ أَنَّ الإِخلَاصَ شَرطٌ فِي دِينِ الإِسلَامِ، وَهُوَ دِينُ الأَنبِيَاءِ أَجمَعِينَ، وَطَلَبُ الإِخلَاصِ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ: دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ مَنزِلَةِ هَذَا الخُلُقِ العَظِيمِ.

---

(١) «تذكرة الأنام بما يقرب إلى الرحمن» (ص٨).

(٢) «شرح مقدمة المجموع» (ص٣٤)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) «فتح البيان» (١٥/ ٣٣٤).

(٤) المصدر السابق.

وَاستَثنَى اللهُ طَائِفَةً مِنَ البَشَرِ كُلِّهِمُ الـهَالِكِينَ الخَاسِرِينَ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصۡلَحُوا۟ وَٱعۡتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُوا۟ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء]؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخلَصُوا دِينَهُم للهِ، فَقَصَدُوا وَجهَ اللهِ بِأَعمَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَسَلِمُوا مِنَ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ. فَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، فَأُولَئِكَ مَعَ الـمُؤمِنِينَ: فِي الدُّنيَا، وَفِي البَرزَخِ، وَالقِيَامَةِ. وَسَوفَ يُؤتِيهِمُ اللهُ أَجرًا عَظِيمًا: مُشتَمِلًا عَلَى الـمَطَالِبِ العَالِيَةِ، وَالـمَحَابِّ الغَالِيَةِ، لَا يَعرِفُ قَدرَهُ وَلَا يَبلُغُ كُنهَهُ إِلَّا اللهُ: مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّنيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ عز وجل**»[١].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: «فَهَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ البَرَكَةُ خَاصَّةً»[٢].

فَالدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ للهِ، وَلَا يَكُونُ للهِ إِلَّا مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ المَشْرُوعُ. فَكُلُّ عَمَلٍ أُرِيدَ بِهِ غَيْرُ اللهِ لَمْ يَكُنْ للهِ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُوَافِقُ شَرْعَ اللهِ لَمْ يَكُنْ للهِ، بَلْ لَا يَكُونُ للهِ إِلَّا مَا جَمَعَ الْوَصْفَيْنِ: أَنْ يَكُونَ للهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِمَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ الْوَاجِبُ وَالـمُسْتَحَبُّ. كَمَا قَالَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف][٣].

---

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٦١٢)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩).

(٢) «الداء والدواء» (ص١٣٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢١٣).

فَلِلَّهِ مَا أَعظَمَهَا مِن آيَةٍ! وَأَجلَّهَا وَأَعظَمَهَا فَائِدَةً! وَأَبلَغَهَا مَوعِظَةً وَتَحذِيرًا! وَأَشَدَّهَا تَرغِيبًا فِي الإِخلَاصِ، وَتَحذِيرًا مِنَ الرِّيَاءِ عَلَى غَايَةِ اختِصَارِهَا، وَجَزَالَةِ أَلفَاظِهَا، وَحُسنِ نَظمِهَا! فَتَبَارَكَ مَن تَكَلَّمَ بِهَا حَقًّا، وَبَلَّغَهَا رَسُولُهُ عَنهُ وَحيًا(١).

«فَالعَمَلُ الصَّالِحُ: هُوَ الخَالِي مِنَ الرِّيَاءِ، المُقَيَّدُ بِالسُّنَّةِ»(٢).

قَالَ شَيخُ الإِسلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالعَمَلُ الصَّالِحُ لَا بُدَّ أَن يُرَادَ بِهِ وَجهُ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجهُهُ وَحدَهُ»(٣).

فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْأَصْلُ هُوَ أَصْلُ الدِّينِ، وَبِحَسَبِ تَحْقِيقِهِ يَكُونُ تَحْقِيقُ الدِّينِ، وَبِهِ أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَإِلَيْهِ دَعَا الرَّسُولُ، وَعَلَيْهِ جَاهَدَ؛ وَبِهِ أَمَرَ، وَفِيهِ رَغَّبَ، وَهُوَ قُطْبُ الدِّينِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ(٤).

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - مُوضِحًا أَهَمِّيَّةَ الإِخلَاصِ وَمَكَانَتَهُ -: «العَمَلُ بِغَيرِ إِخْلَاصٍ وَلَا اقتِدَاءٍ، كَالمُسَافِرِ يَملَأُ جِرَابَهُ رَملًا يُثقِلُهُ وَلَا يَنفَعُهُ»(٥).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَو نَفَعَ العِلمُ بِلَا عَمَلٍ، لَمَا ذَمَّ اللَّهُ سُبحَانَهُ أَحبَارَ أَهلِ الكِتَابِ، وَلَو نَفَعَ العَمَلُ بِلَا إِخلَاصٍ، لَمَا ذَمَّ المُنَافِقِينَ»(٦).

وَعَمَلٌ بِغَيرِ إِخلَاصٍ، مِثلُ البِنَاءِ فَوقَ مَوجٍ يُجعَلُ؛ فَلَا يَثبُتُ لَهُ مِن

---

(١) «عدة الصابرين» (ص٢٣٨)، بتصرُّف.
(٢) «الداء والدواء» (ص٢٠٢).
(٣) «الاستقامة» (٢/ ٢٢٧).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢١٤).
(٥) «فوائد الفوائد» (ص٤٤٢).
(٦) «الفوائد» (ص٦٦).

طَاعَتِهِ الَّتِي عَمِلَهَا شَيءٌ.

قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ عَبدِ القَوِيِّ (ت٦٩٩هـ) رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِنَّ عِـمَـادَ الـدِّيـنِ إِخـلَاصُ نِيَّةٍ   وَإِلَّا تَـوَلَّـى بِـالـعَـنَا صَـافِـرَ الـيَـدِ[1]

وَعَدَمُ الإِخلَاصِ للهِ تَعَالَى فِي العَمَلِ: خَسَارَةٌ لَا تُقَاسُ بِغَيرِهَا، فَتَعَبٌ بِلَا فَائِدَةٍ، وَعَمَلٌ بِلَا أَجرٍ، وَيُلقِي المَرءُ بِنَفسِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ وَقَد خَلَّفَهُ أَهلُهُ الصَّالِحُونَ، وَذَهَبُوا إِلَى الجَنَّةِ بِطِيبِ أَعمَالِهِم، وَهُوَ وَعَمَلُهُ فِي النَّارِ، وَذَلِكَ هُوَ الخُسرَانُ المُبِينُ[2].

وَلِأَهَمِّيَّةِ الإِخلَاصِ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي أَدبَارِ الصَّلَوَاتِ: «**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ**»[3].

كَثِيرٌ مِنَ العَقَبَاتِ الَّتِي تَقُومُ دُونَ بَعضِ المَشرُوعَاتِ، لَا يُسَاعِدُكَ عَلَى العَمَلِ لِتَذلِيلِهَا إِلَّا الإِخلَاصُ.

قَد يُخِلُّ الرَّجُلُ فِي بَعضِ الأَعمَالِ، وَيَتَغَلَّبُ عَلَيهِ الهَوَى فِي بَعضِهَا؛ فَيَأتِي بِالعَمَلِ صُورَةً، خَالِيَةً مِنَ الإِخلَاصِ.

وَالَّذِي يَرفَعُ الشَّخصَ إِلَى أَقصَى دَرَجَاتِ الفَضلِ وَالمَجدِ: إِنَّمَا هُوَ الإِخلَاصُ.

---

(١) «الألفية في الأداب الشرعية» (ص ٧١).   (٢) «إصلاح المجتمع» (ص١٠).

(٣) رواه مسلم (٥٩٤)، من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وَالإِخلَاصُ: يَرفَعُ شَأنَ الأَعمَالِ، حَتَّى تَكُونَ مَرَاقِيَ لِلفَلَاحِ.

وَالإِخلَاصُ: هُوَ فِي نَفسِهِ فَضِيلَةٌ؛ فَالإِخلَاصُ يُمِدُّ قَلبَ صَاحِبِهِ بِقُوَّةٍ، فَلَا يَتَبَاطَأُ أَن يَنهَضَ لِلدِّفَاعِ عَنِ الحَقِّ، وَلَا يُبَالِي فِي دِفَاعِهِ إِذَا أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ.

وَالإِخلَاصُ: يَشرَحُ صَدرَ صَاحِبِهِ، لِلإِنفَاقِ فِي بَعضِ وُجُوهِ البِرِّ؛ فَتَرَاهُ يُؤثِرُ [غَيرَهُ بِجُزءٍ] مِن مَالِهِ، وَإِن كَانَ بِهِ خَصَاصَةٌ.

وَالإِخلَاصُ: يُعَلِّمُ صَاحِبَهُ الزُّهدَ فِي عَرَضِ الدُّنيَا؛ فَلَا يُخشَى مِنهُ أَن يُنَاوِئَ الحَقَّ، أَو يُلبِسَهُ بِشَيءٍ مِنَ البَاطِلِ، وَلَو أَمطَرَ عَلَيهِ أَشيَاعُ البَاطِلِ فِضَّةً أَو ذَهَبًا.

وَالإِخلَاصُ: يَحمِلُ القَاضِيَ عَلَى تَحقِيقِ النَّظَرِ فِي القَضَايَا؛ فَلَا يَفصِلُ فِي قَضِيَّةٍ، إِلَّا بَعدَ أَن يَتَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ.

وَالإِخلَاصُ: يُوحِي إِلَى الأُستَاذِ أَن يَبذُلَ جُهدَهُ فِي إِيضَاحِ المَسَائِلِ، وَالرُّقِيِّ بِأَخلَاقِ الطَّلَبَةِ، وَأَن لَا يَبخَلَ عَلَيهِم بِمَا تَسَعُهُ أَفهَامُهُم مِنَ المَبَاحِثِ المُفِيدَةِ، وَأَن يَسلُكَ فِي التَّدرِيسِ الأَسَالِيبَ الَّتِي تُجَدِّدُ نَشَاطَهُم لِلتَّلَقِّي عَنهُ.

وَالإِخلَاصُ: يَصُونُ التَّاجِرَ عَن أَن يَخُونَ الَّذِي يَأتَمِنُهُ فِي صِنفِ البِضَاعَةِ أَو قِيمَتِهَا، وَيَحمِلُ الصَّانِعَ عَلَى إِتقَانِ عَمَلِهِ حَسَبَ الطَّاقَةِ.

وَالإِخلَاصُ: يَردَعُ قَلَمَ الكَاتِبِ عَن أَن يَقلِبَ الحَقَائِقَ، أَو يَكسُوَهَا لَونًا غَيرَ لَونِهَا؛ إِرضَاءً لِشَخصٍ أَو طَائِفَةٍ.

هَذِهِ بَعضُ مَآثِرِ الإِخلَاصِ؛ فَحَقِيقٌ عَلَينَا أَن نُربِّيَ أَنفُسَنَا، وَمَن تَحتَ أَيدِينَا عَلَى فَضِيلَةِ الإِخلَاصِ، وَأَن نُلَقِّنَ نَاشِئَتَنَا مَاذَا يَنَالُهُ المُخلِصُ مِن حَمدٍ، وَكَرَامَةٍ، وَحُسنِ عَاقِبَةٍ؟! لِكَي يَخرُجَ لَنَا رِجَالٌ مُخلِصُونَ، يَقُومُ كُلٌّ مِنهُم بِالعَمَلِ الَّذِي يَتَوَلَّاهُ بِحَزمٍ وَإِتقَانٍ[١].

فَيَا لَهَا مِن مَرتَبَةٍ: مَا أَعلَاهَا! وَمَنقَبَةٍ: مَا أَجَلَّهَا وَأَسنَاهَا! وَحَقِيقٌ بِمَرتَبَةٍ هَذَا شَأنُهَا: أَن تُنفَقَ نَفَائِسُ الأَنفَاسِ عَلَيهَا، وَيَسبِقَ السَّابِقُونَ إِلَيهَا، وَتُوَفَّرَ عَلَيهَا الأَوقَاتُ، وَتَتَوَجَّهَ نَحوَهَا الطَّلَبَاتُ[٢].

وَحَقِيقٌ بِالعَبدِ أَنْ يُنْزِلَ الإِخلاصَ مِنهُ، «مَنزِلَةَ حَيَاتِهِ الَّتِي لا غِنَى لَهُ عَنهَا، وَمَنْزِلَةَ غِذَائِهِ الَّذِي إِذَا فَقَدَهُ فَسَدَ جِسْمُهُ وَهَلَكَ، وَبِمَنْزِلَةِ المَاءِ عِندَ شِدَّةِ العَطَشِ، وَبِمَنزِلَةِ اللِّبَاسِ فِي الحَرِّ وَالبَرْدِ»[٣].

فَنسأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ خَيرٍ: أَن يَفتَحَ عَلَينَا خَزَائِنَ رَحمَتِهِ، وَيَجعَلَنَا مِن أَهلِ الإِخلَاصِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.



(١) «رسائل الإصلاح» (ص ٣ - ٥)، بتصرُّف يسير.
(٢) «طريق الهجرتين» (ص ٦١٩).
(٣) «الوابل الصيِّب» (ص ١٠٥ - ١٠٦).



تَعرِيفُ الإِخلَاصِ

الإِخلَاصُ فِي اللُّغَةِ[1]: يُقَالُ عَنِ الشَّيءِ: خَالِصٌ، إِذَا صَفِيَ مِنَ الشَّوَائِبِ الَّتِي يُمكِنُ أَن تَشُوبَهُ، سُمِّيَ خَالِصًا؛ يُقَالُ: «أَخلَصتُ العَسَلَ وَغَيرَهُ: إِذَا صَفَّيتُهُ، وَأَفرَدتُهُ مِن شَوَائِبِ كَدَرِهِ؛ أَي: خَلَّصتُهُ مِنهَا»[2].

قَالَ اللَّهُ ﷻ - مُمتَنًّا عَلَى عِبَادِهِ -: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل].

فَهَذَا اللَّبَنُ صَافٍ، غَيرُ مُختَلِطٍ بِشَيءٍ مِنَ الدَّمِ وَالفَرثِ، فَيَخرُجُ هَذَا اللَّبَنُ الصَّافِي بِقُدرَةِ اللَّهِ ﷻ، فَسَمَّاهُ اللَّهُ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ خَالِصٌ.

وَالإِخلَاصُ شَرعًا: تَصفِيَةُ العَمَلِ مِن كُلِّ شَائِبَةٍ «تَشُوبُهُ مِن شَوَائِبِ إِرَادَاتِ النَّفسِ: إِمَّا طَلَبِ التَّزَيُّنِ فِي قُلُوبِ الخَلقِ، وَإِمَّا طَلَبِ مَدحِهِم، وَالهَرَبِ مِن ذَمِّهِم، أَو طَلَبِ تَعظِيمِهِم، أَو طَلَبِ أَموَالِهِم»[3].

وَذَلِكَ بِأَن يَكُونَ الحَامِلُ عَلَى الطَّاعَةِ «وَالدَّاعِي إِلَيهَا: رَغبَةَ العَبدِ فِي اللَّهِ، وَمَحَبَّتَهُ لَهُ، وَطَلَبَ مَرضَاتِهِ، وَالقُربَ مِنهُ، وَالتَّوَدُّدَ إِلَيهِ، وَامتِثَالَ أَمرِهِ، بِحَيثُ لَا يَكُونُ البَاعِثُ لَهُ عَلَيهَا حَظًّا مِن حُظُوظِ الدُّنيَا أَلبَتَّةَ؛

---

(١) يُنظر: «لسان العرب» (٤/ ١٧٣)، لابن منظور.

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٧٤٢).

(٣) «تهذيب المدارج» (١/ ٥١٦).

بَل يَأتِي بِهَا ابتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأَعلَى، مَحَبَّةً لَهُ وَخوفًا مِن عَذَابِهِ، وَرَجَاءً لِمَغفِرَتِهِ وَثَوَابِهِ»[١].

قَالَ بَعضُ السَّلَفِ [كَمَا يُذكَرُ عَن حُذَيْفَةَ بنِ قَتَادَةَ الْمَرْعَشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «الإِخلَاصُ: استِوَاءُ أَعمَالِ العَبْدِ، فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ»[٢].

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا السِّرُّ وَالإِعـلَانُ فِي الـمُؤمِنِ استَوَى
فَقَد عَزَّ فِي الـدَّارَيـنِ وَاستَوجَبَ الثَّنَا
فَـإِن خَـالَـفَ الإِعـلَانُ سِـرًّا فَمَـا لَـهُ
عَلَى سَعيِهِ فَضلٌ سِوَى الكَدِّ وَالعَنَا[٣]

قَالَ الإِمَامُ ابنُ شَيخِ الحَزَّامِيِّينَ (ت٧١١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِخلَاصُ: هُوَ تَخلِيصُ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ العَمَلِ، عَن رُؤيَةِ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَمُلَاحَظَةِ غَيرِهِ مِن دُنيَا أَو جَاهٍ، أَو رِئَاسَةٍ أَو طَلَبِ مَنزِلَةٍ.

فَمَنِ اجتَمَعَ فِي أَعمَالِهِ، وَمَسَاعِيهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ: الإِخلَاصُ؛ استَقَامَ عَمَلُهُ، وَرُفِعَ إِلَى اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]»[٤].

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ (ت٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِخلَاصُ: أَن يُخلِصَ لِلَّهِ فِي أَفعَالِهِ وَأَقوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُم، وَلَا يَقبَلُ مِن أَحَدٍ غَيرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ

(١) «رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه» (ص٣٤). (٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٧٠).
(٣) «الإحياء» (٤/ ٣٤٠). (٤) «مدخل أهل الفقه واللسان» (ص ٦٦).

الإِسلَامِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وَهِيَ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ: الَّتِي مَن رَغِبَ عَنهَا، فَهُوَ مِن أَسفَهِ السُّفَهَاءِ»[١].

وَقَالَ ابنُ رَجَبٍ (ت٧٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَقَامُ الإِخلَاصِ: وَهُوَ أَن يَعمَلَ العَبدُ عَلَى استِحضَارِ مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيهِ، وَقُربِهِ مِنهُ، فَإِذَا استَحضَرَ العَبدُ هَذَا فِي عَمَلِهِ، وَعَمِلَ عَلَيهِ، فَهُوَ مُخلِصٌ للَّهِ؛ لِأَنَّ استِحضَارَهُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ، يَمنَعُهُ مِنَ الالتِفَاتِ إِلَى غَيرِ اللَّهِ، وَإِرَادَتِهِ بِالعَمَلِ»[٢].

وَقَالَ العَلَّامَةُ ابنُ عُثَيمِينَ (ت١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِخلَاصُ للَّهِ مَعنَاهُ: أَنْ يَقصِدَ المَرءُ بِعِبَادَتِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّوَصُّلَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ: بِأَنْ يَكُونَ العَبدُ مُخلِصًا للَّهِ تَعَالَى فِي قَصدِهِ، مُخلِصًا للَّهِ تَعَالَى فِي مَحَبَّتِهِ، مُخلِصًا للَّهِ تَعَالَى فِي تَعظِيمِهِ، مُخلِصًا للَّهِ تَعَالَى فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، لَا يَبتَغِي بِعِبَادَتِهِ إِلَّا وَجهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالوُصُولَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]»[٣].

وَأَجمَعُ تَعرِيفٍ لِلإِخلَاصِ رَأَيتُهُ، وَهُوَ جَامِعٌ لِشَتَاتِ مَا سَبَقَ، هُوَ مَا قَالَهُ أَبُو عُثمَانَ سَعِيدُ بنُ إِسمَاعِيلَ النَّيسَابُورِيُّ الحِيرِيُّ (ت٢٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «صِدقُ الإِخلَاصِ: نِسيَانُ رُؤيَةِ الخَلقِ لِدَوَامِ النَّظَرِ

---

(١) «الداء والدواء» (ص ٢٠٨).
(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٢٩).
(٣) «رسائل في الأصول» (ص ٤٩).

إِلَى الخَالِقِ، وَالإخلَاصُ: أَن تُرِيدَ بِقَلبكَ وَعَمَلِكَ وَفِعلِكَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، خَوفًا مِن سَخَطِ اللَّهِ؛ كَأَنَّكَ تَرَاهُ بِحَقِيقَةِ عَمَلِكَ بِأَنَّهُ يَرَاكَ، حَتَّى يَذهَبَ الرِّيَاءُ عَن قَلبِكَ. ثُمَّ تَذكُرُ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيكَ إِذ وَفَّقَكَ لِذَلِكَ العَمَلِ، حَتَّى يَذهَبَ العُجبُ مِن قَلبِكَ، وَتَستَعمِلَ الرِّفقَ فِي عَمَلِكَ، حَتَّى تَذهَبَ العَجَلَةُ مِن قَلبِكَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا جُعِلَ الرِّفقُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا نُزِعَ مِن شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[1]. وَالعَجَلَةُ اتِّبَاعُ الهَوَى، وَالرِّفقُ اتِّبَاعُ السُّنَّةِ، فَإِذَا فَرَغتَ مِن عَمَلِكَ، وَجِلَ قَلبُكَ خَوفًا مِنَ اللَّهِ: أَن يَرُدَّ عَلَيكَ عَمَلَكَ، فَلَا يَقبَلَهُ مِنكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ** ٦٠﴾ [المؤمنون]؛ وَمَن جَمَعَ هَذِهِ الخِصَالَ الأَربَعَةَ، كَانَ مُخلِصًا فِي عَمَلِهِ إِن شَاءَ اللَّهُ»[2].

فَلْيَتَأَمَّلِ العَاقِلُ الفَطِنُ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفسِهِ: هَذِهِ التَّعرِيفَاتِ حَقَّ التَّأَمُّلِ، وَمَا تَضَمَّنَتهُ مِنْ بَدَائِعِ الفَوَائِدِ، وَفَرَائِدِ القَلَائِدِ. وَلْيَشغَل بِهَا كُلَّ أَفكَارِهِ، وَلْيَجعَلهَا نُصبَ عَينَيهِ.

فَادخُل فِيهَا بِقَلبٍ سَلِيمٍ، وَتَدَبَّرهَا تَدَبُّرًا جَيِّدًا، وَاعرِضهَا عَلَى نَفسِكَ سَاعَةً بَعدَ سَاعَةٍ، تَظهَر عَلَيكَ فَوَائِدُهَا، وَتَعُد إِلَيكَ عَوَائِدُهَا إِن شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ المُستَعَانُ، وَبِيَدِهِ التَّوفِيقُ وَالإِحسَانُ.



(١) رواه مسلم (٢٥٩٤) بنحوه، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٦٤٧٥) [طبعة مكتبة الرشد].




مَجَالَاتُ الإِخلَاصِ

١ الإِخلَاصُ فِي طَلَبِ العِلمِ:



إِنَّ أَولَى مَا صُرِفَت إِلَيهِ العِنَايَةُ، وَجَرَى الـمُتَسَابِقُونَ فِي مَيدَانِهِ إِلَى أَفضَلِ غَايَةٍ، وَتَنَافَسَ فِيهِ المُتَنَافِسُونَ، وَشَمَّرَ إِلَيهِ العَامِلُونَ: العِلمُ المَورُوثُ عَن خَاتَمِ المُرسَلِينَ، وَرَسُولِ رَبِّ العَالَمِينَ، الَّذِي لَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِهِ، وَلَا فَلَاحَ لَهُ فِي دَارَيهِ إِلَّا بِالتَّعَلُّقِ بِسَبَبِهِ، الَّذِي مَن ظَفَرَ بِهِ فَقَد فَازَ وَغَنِمَ، وَمَن صُرِفَ عَنهُ فَقَد خَسِرَ وَحُرِمَ[١].

وَالْقَلِيلُ مِنَ الْعِلْمِ، مَعَ حُسْنِ النِّيَّةِ فِيهِ، أَنْفَعُ وَأَعْظَمُ بَرَكَةً مِنَ الْكَثِيرِ مِنْهُ، مَعَ تَرْكِ الْمُبَالَاةِ بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ[٢].

فَابذُل نَفسَكَ فِي الإِخلَاصِ فِي طَلَبِ العِلمِ، وَلِيَكُنِ الطَّلَبُ طَلَبَ دِرَايَةٍ لَا طَلَبَ رِوَايَةٍ. وَاعلَم أَنَّ الخَطَرَ عَظِيمٌ فِي طَلَبِ العِلمِ، فَمَن طَلَبَهُ لِيَصرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيهِ، وَيُجَالِسَ بِهِ الأُمَرَاءَ، وَيُبَاهِيَ بِهِ النُّظَرَاءَ، أَو يَتَصَيَّدَ بِهِ الحُطَامَ: فَتِجَارَتُهُ بَائِرَةٌ، وَصَفقَتُهُ خَاسِرَةٌ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلمًا مِمَّا**

---

(١) «تهذيب سنن أبي داود» (١/ ٥)، لابن قيِّم الجوزيَّة ﵀.

(٢) «المدخل» (١/ ٢/ ١٠٤)، لابن الحاج ﵀.

يُبتَغَىٰ بِهِ وَجهُ اللَّهِ ﷻ، لَا يَتعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنيَا، لَم يَجِد عَرفَ الجَنَّةِ يومَ القِيَامَةِ» - يَعنِي: رِيحَهَا -[1].

«وَسَبَبُ هَذَا - وَاللَّهُ أَعلَمُ -: أَنَّ فِي الدُّنيَا جَنَّةً مُعَجَّلَةً، وَهِيَ معرِفَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ، وَالأُنسُ بِهِ وَالشَّوقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَخَشيَتُهُ وَطَاعَتُهُ؛ وَالعِلمُ النَّافِعُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: فَمَن دَلَّهُ عِلمُهُ عَلَى دُخُولِ هَذِهِ الجَنَّةِ المُعَجَّلَةِ فِي الدُّنيَا دَخَلَ الجَنَّةَ فِي الآخِرَةِ، وَمَن لَم يَشُمَّ رَائِحَتَهَا لَم يَشُمَّ رَائِحَةَ الجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ.

وَلِهَذَا كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا فِي الآخِرَةِ: عَالِمٌ لَم يَنفَعهُ اللَّهُ بِعِلمِهِ، وَهُوَ مِن أَشَدِّ النَّاسِ حَسرَةً يومَ القِيَامَةِ، حَيثُ كَانَ مَعَهُ آلَةٌ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى أَعلَى الدَّرَجَاتِ وَأَرفَعِ المَقَامَاتِ، فَلَم يَستَعمِلهَا إِلَّا فِي التَّوَصُّلِ إِلَى أَخَسِّ الأُمُورِ وَأَدنَاهَا وَأَحقَرِهَا، فَهُوَ كَمَن كَانَ مَعَهُ جَوَاهِرُ نَفِيسَةٌ لَهَا قِيمَةٌ، فَبَاعَهَا بِبَعرَةٍ أَو شَيءٍ مُستَقذَرٍ لَا يُنتَفَعُ بِهِ»[2].

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ (ت٤٦٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَن طَلَبَ العِلمَ لِلَّهِ، فَالقَلِيلُ يَكفِيهِ إِن شَاءَ اللَّهُ، وَبِاللَّهِ التَّوفِيقُ»[3].

وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو العَبَّاسِ القُرطُبِيُّ (ت٦٥٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَعَلُّمُ العِلمِ مِن أَعظَمِ العِبَادَاتِ وَأَهَمِّهَا، فَيَجِبُ فِيهَا النِّيَّةُ وَالإِخلَاصُ. وَقَد رَوَى أَبُو دَاوُدَ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَن تَعَلَّمَ عِلمًا مِمَّا يُبتَغَى بِهِ وَجهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنيَا،**

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤١٢).
(٢) شرح حديث: «مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ» (ص٣٤). (٣) «التمهيد» (٢/ ٢٨٤).

لَم يَجِد عَرفَ الجَنَّةِ»[١]. وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ العُلُوم الشَّرعِيَّةِ؛ سَوَاءٌ كَانَ مِنَ العُلُوم المَقْصُودَةِ لِعَينِهَا، أَو لِلعَمَلِ بِهَا: كَعِلمِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَالفِقهِ، أَو مِنَ العُلُومِ المُوصِلَةِ إِلَى ذَلِكَ: كَعِلمِ الأُصُولِ وَاللِّسَانِ. وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ، وَالتَّخَلُّصُ مِنهُ بَعِيدٌ، إِذِ الإِخلَاصُ فِي طَلَبِ العِلمِ عَسِيرٌ، وَالمُجَاهِدُ نَفسَهُ عَلَيهِ قَلِيلٌ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ»[٢].

وَقَالَ الإِمَامُ ابنُ شَيخِ الحَزَّامِيِّينَ (ت٧١١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «اطلُبِ العِلمَ لِتَبتَغِيَ بِهِ وَجهَ اللهِ تَعَالَى، وَتَعرِفَ بِهِ أَحكَامَهُ وَفَرَائِضَهُ وَحُدُودَهُ، لِتَعمَلَ وَتُعَلِّمَ غَيرَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ، فَتُقِيمَ بِهِ دِينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَينَ أَظهُرِ المُسلِمِينَ، فَتَكُونَ بِذَلِكَ نَاصِرًا لِلشَّرِيعَةِ وَجُندِيًّا مِن جُنُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِذَا اهتَدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، كَانَ ذَلِكَ أَفضَلَ لَكَ مِمَّا طَلَعَت عَلَيهِ الشَّمسُ، وَتَصِيرُ بِهَذِهِ النِّيَّةِ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى مِن خَوَاصِّ العُلَمَاءِ، أَهلِ القُلُوبِ المُنَوَّرَةِ، الَّذِينَ وَرِثُوا ثَمَرَةَ العِلمِ، وَوَصَلُوا إِلَى حَقِيقَتِهِ، وَهُم أَهلُ الخَشيَةِ وَالمَخَافَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وَاحذَر أَن يَكُونَ قَلبُكَ كَقُلُوبِ عُلَمَاءِ الدُّنيَا؛ فَإِنَّ قُلُوبَهُم لَاهِيَةٌ، وَعَلَى الدُّنيَا وَالمَنَاصِبِ مُقبِلَةٌ، يَفرَحُونَ بِوُجُودِ الدُّنيَا، وَيَحزَنُونَ عَلَى فَوَاتِهَا، يُحِبُّونَ الرِّفعَةَ وَالسُّمعَةَ؛ فَأُولَئِكَ صَارَ العِلمُ لَهُم كَسبًا يَنَالُونَ بِهِ دُنيَاهُم وَمَنَاصِبَهُم؛ إِذ لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى، وَمَن عَامَلَ اللهَ لَم يَخسَر.

فَطُوبَى لِمَن كَانَت مُعَامَلَتُهُ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرُزِقَ الزُّهدَ فِي الدُّنيَا وَالإِقبَالَ عَلَى الآخِرَةِ، وَأَرَادَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعِلمِهِ وَعَمَلِهِ، وَسَائِرِ سِعَايَاتِهِ

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٥).

(٢) «المفهم» (٦/ ٧٠١).

الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ»[١].

وَقَالَ ابنُ جُمَاعَةَ (ت٧٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُسنُ النِّيَّةِ فِي طَلَبِ العِلمِ: بِأَن يَقصِدَ بِهِ وَجهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالعَمَلَ بِهِ، وَإِحيَاءَ الشَّرِيعَةِ، وَتَنوِيرَ قَلبِهِ، وَتَحلِيَةَ بَاطِنِهِ، وَالقُربَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَومَ القِيَامَةِ، وَالتَّعَرُّضَ لِمَا أَعَدَّ لِأَهلِهِ مِن رِضوَانِهِ، وَعَظِيمِ فَضلِهِ.

وَلَا يَقصِدُ بِهِ الأَغرَاضَ الدُّنيَوِيَّةَ: مِن تَحصِيلِ الرِّيَاسَةِ، وَالجَاهِ، وَالمَالِ، وَمُبَاهَاةِ الأَقرَانِ، وَتَعظِيمِ النَّاسِ لَهُ، وَتَصدِيرِهِ فِي المَجَالِسِ، وَنَحوِ ذَلِكَ، فَيَستَبدِلَ بِهِ الأَدنَى بِالَّذِي هُوَ خَيرٌ.

وَالعِلمُ عِبَادَةٌ مِنَ العِبَادَاتِ، وَقُربَةٌ مِنَ القُرَبِ، فَإِن خَلُصَت فِيهِ النِّيَّةُ، قُبِلَ وَزَكَا وَنَمَت بَرَكَتُهُ؛ وَإِن قَصَدَ بِهِ غَيرَ وَجهِ اللَّهِ تَعَالَى، حَبِطَ وَضَاعَ وَخَسِرَت صَفقَتُهُ، وَرُبَّمَا تَفُوتُهُ تِلكَ المَقَاصِدُ، وَلَا يَنَالُهَا؛ فَيَخِيبَ قَصدُهُ، وَيَضِيعَ سَعيُهُ»[٢].

وَقَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ (ت١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَتَعَيَّنُ عَلَى أَهلِ العِلمِ مِنَ المُتَعَلِّمِينَ وَالمُعَلِّمِينَ: أَن يَجعَلُوا أَسَاسَ أَمرِهِمُ الَّذِي يَبنُونَ عَلَيهِ حَرَكَاتِهِم وَسَكَنَاتِهِم: الإِخلَاصَ الكَامِلَ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ العِبَادَةِ الَّتِي هِيَ أَجَلُّ العِبَادَاتِ وَأَكمَلُهَا وَأَنفَعُهَا وَأَعَمُّهَا نَفعًا، وَيَتَفَقَّدُوا هَذَا الأَصلَ النَّافِعَ فِي كُلِّ دَقِيقٍ مِن أُمُورِهِم وَجَلِيلٍ، فَإِن دَرَسُوا أَو دَارَسُوا، أَو بَحَثُوا أَو نَاظَرُوا، أَو أَسمَعُوا أَوِ استَمَعُوا، أَو كَتَبُوا أَو حَفِظُوا، أَو كَرَّرُوا

---

(١) «مفتاح طريق الأولياء» (ص ٣٢-٣٣)، باختصار.

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص ١١٢-١١٤)، باختصار.

دُرُوسَهُمُ الخَاصَّةَ، أَو رَاجَعُوا عَلَيهَا أَو عَلَى غَيرِهَا الكُتُبَ الأُخرَى، أَو جَلَسُوا مَجلِسَ عِلمٍ، أَو نَقَلُوا أَقدَامَهُم لِمَجَالِسِ العِلمِ، أَوِ اشتَرَوا كُتُبًا، أَو مَا يُعِينُ عَلَى العِلمِ، كَانَ الإِخلَاصُ للهِ وَاحتِسَابُ أَجرِهِ وَثَوَابِهِ مُلَازِمًا لَهُم، لِيَصِيرَ اشتِغَالُهُم كُلُّهُ قُوَّةً وَطَاعَةً، وَسَيرًا إِلَى اللهِ وَإِلَى كَرَامَتِهِ»[١].

وَقَالَ العَلَّامَةُ بَكرُ أَبُو زَيدٍ (ت١٤٢٩هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «إِنْ فَقَدَ العِلمُ إِخلَاصَ النِّيَّةِ، انتَقَلَ مِن أَفضَلِ الطَّاعَاتِ إِلَى أَحَطِّ المُخَالَفَاتِ، وَلَا شَيءَ يُحَطِّمُ العِلمَ مِثلَ: الرِّيَاءِ؛ رِيَاءِ شِركٍ، أَو رِيَاءِ إِخلَاصٍ، وَمِثلَ التَّسمِيعِ: بِأَن يَقُولَ مُسَمِّعًا: عَلِمتُ وَحَفِظتُ، وَعَلَيهِ؛ فَالتَزِمِ التَّخَلُّصَ مِن كُلِّ مَا يَشُوبُ نِيَّتَكَ فِي صِدقِ الطَّلَبِ: كَحُبِّ الظُّهُورِ، وَالتَّفَوُّقِ عَلَى الأَقرَانِ، وَجَعلِهِ سُلَّمًا لِأَغرَاضٍ وَأَعرَاضٍ: مِن جَاهٍ، أَو مَالٍ، أَو تَعظِيمٍ، أَو سُمعَةٍ، أَو طَلَبِ مَحمَدَةٍ، أَو صَرفِ وُجُوهِ النَّاسِ إِلَيكَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ وَأَمثَالَهَا، إِذَا شَابَتِ النِّيَّةَ، أَفسَدَتهَا، وَذَهَبَت بَرَكَةُ العِلمِ، وَلِهَذَا يَتَعَيَّنُ عَلَيكَ أَن تَحمِيَ نِيَّتَكَ مِن شَوبِ الإِرَادَةِ لِغَيرِ اللهِ تَعَالَى، بَل وَتَحمِيَ الحِمَى؛ فَاستَمسِك - رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَى - بِالعُروَةِ الوُثقَى العَاصِمَةِ مِن هَذِهِ الشَّوَائِبِ؛ بِأَن تَكُونَ - مَعَ بَذلِ الجَهدِ فِي الإِخلَاصِ - شَدِيدَ الخَوفِ مِن نَوَاقِضِهِ، عَظِيمَ الافتِقَارِ وَالالتِجَاءِ إِلَيهِ سُبحَانَهُ»[٢].

وَقَولُهُ: «وَتَحمِي الحِمَى»: تَحمِي النِّيَّةَ، وَتَحمِي مَا حَولَهَا، وَحِمَى الشَّيءِ وَمَا حَولَهُ[٣]، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا**

---

(١) «المجموعة الكاملة» (٧/ ٤٤٩).

(٢) «حلية طالب العلم» (ص٩ - ١١) باختصار، للعلَّامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) «شرح حلية طالب العلم» (ص٢٨)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ»[(١)].

وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ عَبدِ القَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا تَطلُبَنَّ العِلمَ لِلمَالِ وَالرِّيَا فَإِنَّ مِلَاكَ الأَمرِ فِي حُسنِ مَقْصَدِ

وَالمَعنَى: وَلَا تَطلُبَنَّ العِلمَ لِنَيلِ المَالِ الَّذِي مَآلُهُ إِلَى التُّرَابِ، وَلَا لِطَلَبِ عِمَارَةِ الدُّنيَا الَّتِي سَبِيلُهَا إِلَى الخَرَابِ، وَلَا لِلرِّيَاءِ وَالسُّمعَةِ؛ فَتَحصُلَ عَلَى الخُسرَانِ مِن رَبِّ الأَربَابِ، وَتَضمَنَ التَّبِعَةَ يَومَ الحِسَابِ.

فَإِذَا عَلِمتَ هَذَا، فَقَد ظَهَرَ لَكَ أَنَّ مِلَاكَ الأَمرِ: فِي حُسنِ القَصدِ وَالإِخلَاصِ لِلَّهِ، وَرَفضِ شَائِبَةِ الرِّيَاءِ وَالسُّمعَةِ وَالأَغرَاضِ الدَّنِيَّةِ، وَالأَعرَاضِ الدُّنيَوِيَّةِ[(٢)].

فَلَا بُدَّ مِنَ الإِخلَاصِ لِتَنَالَ الخَلَاصَ، وَإِلَّا وَقَعْتَ فِي قَيدِ الأَقفَاصِ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ[(٣)].

٢ الإِخلَاصُ فِي تِلَاوَةِ القُرآنِ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، وَسَلُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِيءَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ»**[(٤)].

(١) قطعة من حديث: رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) «تحفة الأحباب شرح نظم الآداب» (ص١٢٤). (٣) «غذاء الألباب» (٢/ ٥١٩).
(٤) رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، والترمذي (٢٩١٧). وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٤١).

وَقد وَقَعَ مَا أَخبَرَ بِهِ الصَّادِقُ المَصدُوقُ ﷺ. فَينبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَقرَأَ القُرآنَ لِوَجهِ اللهِ، لِيَنَالَ الأُجُورَ العَظِيمَةَ وَالدَّرَجَاتِ العَالِيَةَ.

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**»[1].

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَحَسبُكَ بِمَا تَرَى مِن تَضيِيعِ حُدُودِ القُرآنِ، وَكَثرَةِ تِلَاوَتِهِ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِالأَمصَارِ وَغَيرِهَا، مَعَ فِسقِ أَهلِهَا. وَاللهَ أَسأَلُهُ العِصمَةَ وَالتَّوفِيقَ وَالرَّحمَةَ، فَذَلِكَ مِنهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[2].

قُلتُ: هَذَا فِي زَمَانِهِ، وَأَمَّا فِي زَمَانِنَا، فَالأَمرُ أَعظَمُ مِن ذَلِكَ. نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ.

٣ الإِخلَاصُ فِي التَّوحِيدِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[3].

فَإِنَّ الإِخلَاصَ يَنفِي أَسبَابَ دُخُولِ النَّارِ؛ فَمَن دَخَلَ النَّارَ مِنَ القَائِلِينَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَم يُحَقِّق إِخلَاصَهَا المُحَرِّمَ لَهُ عَلَى النَّارِ؛ بَل كَانَ فِي قَلبِهِ نَوعٌ مِنَ الشِّركِ الَّذِي أَوقَعَهُ فِيمَا أَدخَلَهُ النَّارَ.

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا**

---

(١) رواه أحمد (٦٦٣٣ و٦٦٣٤ و٦٦٣٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٧٥٠).

(٢) «الاستذكار» (٢/ ٥٠١).

(٣) رواه البزار «كشف الأستار» (٧)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٢٣٥٥).

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»[١].

فَقَد شَرَطَ لِقَبُولِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَنَفعِهَا عِندَ اللَّهِ: كَونَ القَائِلِ مُخلِصًا وَمُعتَقِدًا لِأُلُوهِيَّةِ رَبِّهِ، وَأَنْ يَجتَنِبَ الكَبَائِرَ كُلَّهَا. فَتَدَبَّرْ وَتَذَكَّرْ وَتَنَبَّهْ. وَفَّقَنِي اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ لِمَرضَاتِهِ[٢].

وَعَن مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَن شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُخلِصًا مِن قَلبِهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[٣].

قَولُهُ: «**مُخلِصًا**» : أَي سَالِمًا مِن كُلِّ شَوبٍ، فَلَا يَشُوبُهَا رِيَاءٌ وَلَا سُمعَةٌ، بَل هِيَ شَهَادَةُ يَقِينٍ.

قَولُهُ: «**مِن قَلبِهِ**»، لِأَنَّ المَدَارَ عَلَى القَلْبِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «... **أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[٤].

وَمَن قَالَ كَلِمَةَ الإِخلَاصِ خَالِصًا مِن قَلبِهِ، فَلَا بُدَّ أَن يَطلُبَ رِضَى هَذَا المَعبُودِ بِاتِّبَاعِ الأَوَامِرِ وَاجتِنَابِ النَّوَاهِي[٥]. لَا بُدَّ مِن أَعمَالٍ يَتَعَبَّدُ بِهَا الإِنسَانُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٧٣).
(٢) «مفتاح الجنة» (ص٣١).
(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٦ رقم ٢٢١٩٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (٢٣٥٥).
(٤) قطعة من حديث: أخرجه البخاري (٥٢ و٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا.
(٥) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٤٤-٣٤٥)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
(٦) المصدر السابق (٢/ ٢٣٣).

وَعَن عِتبَانَ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **فَإِنَّ اللهَ قَد حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ**»[1].

وَهَذَا فَضلٌ عَظِيمٌ؛ نَسأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا: أَن يَجعَلَنَا مِن أَهلِهِ[2].

وَ«الـمُرَادُ بِالقَولِ هُنَا: القَولُ الَّذِي مَعَهُ تَمَامُ الشُّرُوطِ؛ كَقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[3]، يَعنِي: إِذَا أَتَى بِبَقِيَّةِ الأَركَانِ وَالوَاجِبَاتِ، فَيَكُونُ مَعنَى قَولِهِ هُنَا: «**مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» يَعنِي: بِاجتِمَاعِ شُرُوطِهَا، وَبِالإِتيَانِ بِلَازِمِهَا»[4].

«وَمَن طَلَبَ وَجهًا، فَلَا بُدَّ أَن يَعمَلَ كُلَّ مَا فِي وُسعِهِ لِلوُصُولِ إِلَيهِ، لِأَنَّ مُبتَغِي الشَّيءِ يَسعَى فِي الوُصُولِ إِلَيهِ. فَالحَدِيثُ وَاضِحُ الدِّلَالَةِ عَلَى شَرطِيَّةِ العَمَلِ، لِمَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبتَغِي وَجهَ اللهِ»[5].

فَكُلُّ مَن قَالَهَا يَبتَغِي وَجهَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ عَلَى النَّارِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَهَا يَبتَغِي بِهَا وَجهَ اللهِ، فَإِنَّهُ سَيَقُومُ بِمُقتَضَاهَا، وَيَعمَلُ بِمَا تَقتَضِيهِ هَذِهِ الكَلِمَةُ العَظِيمَةُ: مِن أَدَاءِ الوَاجِبِ، وَتَركِ المُحَرَّمِ؛ وَالإِنسَانُ إِذَا أَدَّى الوَاجِبَ وَتَرَكَ المُحَرَّمَ: أَحَلَّ الحَلَالَ وَحَرَّمَ الحَرَامَ، وَقَامَ بِالفَرَائِضِ، وَاجتَنَبَ النَّوَاهِيَ، فَإِنَّ هَذَا مِن أَهلِ الجَنَّةِ: يَدخُلُ الجَنَّةَ، وَيُحَرِّمُ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ[6].

---

(١) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٢) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٢٧)، لصاحب المعالي: العلَّامة صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ حفظه الله.

(٣) رواه الترمذي (٨٨٩) من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «التعليق على هداية الرواة» (٣/ ١١٤).

(٤) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٢٧).

(٥) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٧٧) ببعض تصرُّف، للعلَّامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٦) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٣١١).

فَمَن «زَنَى، أَو شَرِبَ الخَمرَ، أَو سَرَقَ، فَإِذَا فَعَلَ شَيئًا مِن ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَعَلَهُ: أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ؛ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي زَعمِهِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزنِي الزَّانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ**»، فَضلًا عَن أَن يَكُونَ مُبتَغِيًا وَجْهَ اللهِ»[١].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَيْسَ التَّوحِيدُ مُجَرَّدَ إِقرَارِ العَبدِ بِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ اللهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ ، كَمَا كَانَ عُبَّادُ الأَصنَامِ مُقِرِّينَ بِذَلِكَ وَهُم مُشرِكُونَ، بَلِ التَّوحِيدُ يَتَضَمَّنُ - مِن مَحَبَّةِ اللهِ، وَالخُضُوعِ لَهُ، وَالذُّلِّ لَهُ، وَكَمَالِ الِانقِيَادِ لِطَاعَتِهِ، وَإِخلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ، وَإِرَادَةِ وَجهِهِ الأَعلَى بِجَمِيعِ الأَقوَالِ وَالأَعمَالِ، وَالمَنعِ، وَالعَطَاءِ، وَالحُبِّ، وَالبُغضِ-: مَا يَحُولُ بَينَ صَاحِبِهِ وَبَينَ الأَسبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى المَعَاصِي، وَالإِصرَارِ عَلَيهَا، وَمَن عَرَفَ هَذَا، عَرَفَ قَولَ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ**»»[٢].

٤ الإِخلَاصُ فِي النِّيَّةِ:

اعلَم رَحِمَكَ اللهُ «أَنَّهُ بِبَرَكَةِ حُسنِ النِّيَّةِ، يَنَالُ الرُّتبَةَ العَلِيَّةَ مِنَ العِلمِ وَالعَمَلِ، وَفَيضِ اللَّطَائِفِ، وَأَنوَاعِ الحِكَمِ، وَتَنوِيرِ القَلبِ، وَانشِرَاحِ الصَّدرِ؛ وَتَوفِيقِ العَزمِ، وَإِصَابَةِ الحَقِّ، وَحُسنِ الحَالِ، وَالتَّسدِيدِ فِي المَقَالِ، وَعُلُوِّ الدَّرَجَاتِ يَومَ القِيَامَةِ»[٣].

---

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٧٨) ببعض تصرُّف، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) «تهذيب مدارج السالكين» (١/ ٢٩٨ - ٢٩٩). (٣) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص٨٧).

عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[١].

وَهَذَا الحَدِيثُ هُوَ مِيزَانُ الأَعمَالِ البَاطِنَةِ. «وَأَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ، إِنَّمَا يَكُونُ بِالإِخلَاصِ فِي الدِّينِ للهِ»[٢].

وَحَقِيقٌ «بِالمُؤمِنِ الَّذِي يُرِيدُ نَجَاةَ نَفسِهِ وَنَفعَهَا، أَن يَفهَمَ مَعنَى هَذَا الحَدِيثِ، وَأَن يَكُونَ العَمَلُ بِهِ نُصبَ عَينَيهِ فِي جَمِيعِ أَحوَالِهِ وَأَوقَاتِهِ»[٣].

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ الحُسَينِ الآجُرِّيُّ (ت٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «اعلَم - رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ - : أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ أَصلٌ مِن أُصُولِ الدِّينِ، لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ المُسلِمِينَ أَن يُؤَدِّيَ مَا افتَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيهِ مِن فَرِيضَةٍ، وَلَا يَتَقَرَّبُ إِلَيهِ بِنَافِلَةٍ، إِلَّا بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ صَادِقَةٍ، لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمعَةَ، وَلَا يُرِيدُ بِهَا إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يُشرِكُ فِيهَا مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيرَهُ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا أُخلِصَ لَهُ وَأُرِيدَ بِهِ وَجهُهُ، لَا يَختَلِفُ فِي هَذَا العُلَمَاءُ»[٤].

قَولُهُ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» أَي: صَلَاحُ الأَعمَالِ وَفَسَادُهَا، بِحَسَبِ صَلَاحِ النِّيَّاتِ وَفَسَادِهَا، كَقَولِهِ ﷺ: «**وَإِنَّمَا الأَعمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**»[٥]؛ أَي: إِنَّ صَلَاحَهَا وَفَسَادَهَا، وَقَبُولَهَا وَعَدَمَهُ، بِحَسَبِ الخَاتِمَةِ[٦].

فَأَخْبَرَ ﷺ «أَنَّ الأَعْمَالَ تَابِعَةٌ لِمَقَاصِدِهَا وَنِيَّاتِهَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ

---

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧). (٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٥٠).
(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٩).
(٤) «كتاب الأربعين حديثًا» (ص١٨)، للآجري رَحِمَهُ اللهُ.
(٥) قطعة من حديث: رواه البخاري (٦٦٠٧)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنهُ.
(٦) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٦٥).

مِنْ ظَاهِرِ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، إِلَّا مَا نَوَاهُ وَأَبْطَنَهُ، لَا مَا أَعْلَنَهُ وَأَظْهَرَهُ»[١].

فَمَن نَوَى فِعلَ الخَيرِ، وَقَصَدَ بِهِ المَقَاصِدَ العُليَا - وَهِيَ مَا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ -، فَلَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالجَزَاءِ، الجَزَاءُ الكَامِلُ الأَوفَى. وَمَن نَقَصَت نِيَّتُهُ وَقَصدُهُ، نَقَصَ ثَوَابُهُ. وَمَن تَوَجَّهَت نِيَّتُهُ إِلَى غَيرِ هَذَا المَقصَدِ الجَلِيلِ، فَاتَهُ الخَيرُ، وَحَصَلَ عَلَى مَا نَوَى مِنَ المَقَاصِدِ الدَّنِيئَةِ النَّاقِصَةِ[٢].

«فَليُرَاقِب كُلٌّ نَفسَهُ: هَل أَرَادَ بِحِفظِهِ لِلقُرآنِ، أَو طَلَبِهِ لِلعِلمِ، أَو قِيَامِهِ اللَّيلَ، أَو أَيِّ عَمَلٍ كَانَ، هَل أَرَادَ بِهِ وَجهَ اللهِ تَعَالَى؟ أَو أَرَادَ مَدحَ النَّاسِ وَثَنَاءَهُم، وَالنَّجَاةَ مِن ذَمِّهِم؟!

هَل أَرَادَ بِعَمَلِهِ دُخُولَ الجِنَانِ، وَالنَّظَرَ إِلَى وَجهِ رَبِّهِ الرَّحمَنِ، وَالتَّنَعُّمَ بِالحُورِ العِينِ، وَمُجَاوَرَةَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ؟ أَم أَرَادَ بِعَمَلِهِ مَالًا أَو مَنصِبًا أَو جَاهًا، أَو أَيَّ مَقصَدٍ آخَرَ مِنَ المَقَاصِدِ الدُّنيَوِيَّةِ الدَّنِيئَةِ؟!

فَليُصَحِّح كُلٌّ عَمَلَهُ قَبلَ الشُّرُوعِ فِيهِ، وَليَنظُر مَاذَا أَرَادَ بِهِ؟ وَلتَكُن نِيَّتُهُ للهِ خَالِصَةً»[٣].

قَالَ حَافِظٌ الحَكَمِيُّ (ت١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ:

وَالنِّيَّةَ اجعَل لِوَجهِ اللهِ خَالِصَةً ... إِنَّ البِنَاءَ بِدُونِ الأَصلِ لَم يَقُمِ[٤]

وَقَالَ صِدِّيقُ بنُ حَسَنٍ خَانَ (ت١٣٠٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ: «مَن أَرَادَ

---

(١) «إعلام الموقِّعين» (٣/ ٢١٥). (٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٧).
(٣) «الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ» (ص٥٠ - ٥١).
(٤) «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية» (ص١٤، البيت رقم ٦٨).

المَوَاهِبَ السَّنِيَّةَ أَخلَصَ النِّيَّةَ، وَمَن أَخلَصَ الهِجرَةَ ضَاعَفَ الإِخلَاصُ أَجرَهُ؛ وَإِنَّمَا تُنَالُ المَطَالِبُ عَلَى قَدرِ هِمَّةِ الطَّالِبِ، وَإِنَّمَا تُدرَكُ المَقَاصِدُ عَلَى قَدرِ عَنَاءِ القَاصِدِ»[1].

عَلَى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِي العَزَائِمُ وَتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ[2]

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى الإِخلَاصِ فِي عَمَلٍ فَإِنَّمَا العَمَلُ الزَّاكِي بِنِيَّاتِ[3]

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَمَّا النِّيَّةُ: فَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ، وَأَسَاسُهُ وَأَصْلُهُ الَّذِي عَلَيْهِ يُبْنَى؛ فَإِنَّهَا رُوحُ الْعَمَلِ وَقَائِدُهُ وَسَائِقُهُ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ لَهَا: يُبْنَى عَلَيْهَا، يَصِحُّ بِصِحَّتِهَا، وَيَفْسُدُ بِفَسَادِهَا، وَبِهَا يُسْتَجْلَبُ التَّوْفِيقُ، وَبِعَدَمِهَا يَحْصُلُ الْخِذْلَانُ، وَبِحَسَبِهَا تَتَفَاوَتُ الدَّرَجَاتُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[4].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالنِّيَّةُ رُوحُ الْعَمَلِ وَلُبُّهُ وَقِوَامُهُ، وَهُوَ تَابِعٌ لَهَا: يَصِحُّ بِصِحَّتِهَا، وَيَفْسُدُ بِفَسَادِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ كَلِمَتَيْنِ كَفَتَا وَشَفَتَا، وَتَحْتَهُمَا كُنُوزُ الْعِلْمِ، وَهُمَا قَوْلُهُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» فَبَيَّنَ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى: أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالنِّيَّةِ، وَلِهَذَا لَا يَكُونُ عَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، ثُمَّ بَيَّنَ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ: أَنَّ الْعَامِلَ لَيْسَ لَهُ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَا نَوَاهُ، وَهَذَا يَعُمُّ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْأَيْمَانَ وَالنُّذُورَ،

---

(١) «عون الباري» (١/ ٣٤)، باختصار.
(٢) «ديوان المُتَنَبِّي» (ص ١٣١).
(٣) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٤٧).
(٤) «إعلام الموقِّعين عن رب العالمين» (٤/ ٢٥٠).

وَسَائِرَ الْعُقُودِ وَالْأَفْعَالِ»[(١)].

وَقَالَ ابنُ الحَاجِّ (ت٧٣٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ إِرَادَتَكَ الْعَمَلَ عَمَلٌ، فَانْظُرْ فِي إِرَادَتِكَ حَتَّى يَصِحَّ لَكَ عَمَلُكَ، وَيَرَاكَ اللهُ لِنِيَّتِكَ طَالِبًا، وَلَهَا مُصَحِّحًا كَمَا يَرَاكَ فِي عَمَلِكَ مُخْلِصًا، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِتَصْحِيحِ النِّيَّةِ مَعَ قَلِيلِ الْعَمَلِ، رَبِحْتَ عَمَلَكَ، وَظَفِرْتَ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ عَدُوَّكَ يَنْظُرُ إِلَى ابْتِدَاءِ نِيَّتِكَ، وَابْتِدَاءِ عَمَلِكَ، وَقَدْ يَخْفَى عَلَيْكَ سَقَمُ نِيَّتِكَ، كَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ سَقَمُ غَيْرِكَ، فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ نِيَّتُكَ سَقِيمَةً، فَقُمْ عَلَى تَصْحِيحِهَا، فَإِنَّ الْعَمَلَ تَابِعٌ لِلنِّيَّةِ: إِنْ صَحَّتْ صَحَّ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ»[(٢)].

وَقَالَ الشَّوكَانِيُّ (ت١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلَم أَنَّ عُمدَةَ الأَعمَالِ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَيهَا صِحَّتُهَا أَو فَسَادُهَا: هِيَ النِّيَّةُ وَالإِخلَاصُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا مِنَ الأُمُورِ البَاطِنَةِ. فَمَن لَم تَكُن نِيَّتُهُ صَحِيحَةً، لَم يَصِحَّ عَمَلُهُ الَّذِي عَمِلَهُ، وَلَا أَجرُهُ المُتَرَتِّبُ عَلَيهِ، وَمَن لَم يُخلِص عَمَلَهُ للهِ سُبحَانَهُ، فَهُوَ مَردُودٌ عَلَيهِ، مَضرُوبٌ بِهِ فِي وَجهِهِ، وَذَلِكَ كَالعَامِلِ الَّذِي يَشُوبُ نِيَّتَهُ بِالرِّيَاءِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]»[(٣)].

وَقَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنِيَّتُنَا شَرْطٌ لِسَائِرِ العَمَلْ ... بِهَا الصَّلَاحُ وَالفَسَادُ لِلعَمَلْ[(٤)]

وَقَالَ العَلَّامَةُ ابنُ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النِّيَّاتُ تَختَلِفُ اختِلَافًا عَظِيمًا،

---

(١) «إعلام الموقِّعين» (٣/ ١٤٨). (٢) «المدخل» (٢/ ١/ ٥٣).

(٣) «قطر الولي على حديث الولي» (ص٢٩٣ - ٢٩٤).

(٤) «القواعد الفقهية» (ص ١١١).

وَتَتَبَايَنُ تَبَايُنًا بَعِيدًا، كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ.

مِنَ النَّاسِ مَن نِيَّتُهُ فِي القِمَّةِ فِي أَعلَى شَيءٍ، وَمِنَ النَّاسِ مَن نِيَّتُهُ فِي القُمَامَةِ فِي أَخَسِّ شَيءٍ وَأَدنَى شَيءٍ»[١].

فَيَجِبُ عَلَى مَن نَصَحَ نَفسَهُ: أَن يَكُونَ اهتِمَامُهُ بِتَصحِيحِ نِيَّتِهِ، وَتَخلِيصِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ، فَوقَ اهتِمَامِهِ بِكُلِّ شَيءٍ، لِأَنَّ الأَعمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امرِيءٍ مَا نَوَى[٢].

٥ الإِخــلَاصُ فِـي الـصَّـومِ:

عَن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَامَ يَومًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا، كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[٣].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»[٤].

يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ: فَضِيلَةُ الصَّومِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفَضِيلَةُ الإِخْلَاصِ؛ وَأَنَّ اليَومَ المُخلَصَ فِيهِ: يَكُونُ ثَوَابُهُ أَكبَرَ[٥].

٦ الإِخــلَاصُ فِـي الصَّدَقَةِ:

قَــالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ١٨). (٢) «الدرر السنية» (٢/ ٥٩٢).

(٣) رواه الترمذي (١٦٢٤)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩١): «حسن صحيح».

(٤) رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

(٥) «شرح بلوغ المرام» (٣/ ٢٣٧) بتصرُّف يسير، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة]؛ هَذَا مَثَلُ الَّذِي مَصدَرُ نَفَقَتِهِ عَنِ الإِخلَاصِ وَالصِّدقِ، فَإِنَّ ابتِغَاءَ مَرضَاتِهِ سُبحَانَهُ هُوَ الإِخلَاصُ، وَالتَّثبِيتَ مِنَ النَّفسِ هُوَ الصِّدقُ فِي البَذلِ، فَإِنَّ المُنفِقَ يَعتَرِضُهُ عِندَ إِنفَاقِهِ آفَتَانِ، إِن نَجَا مِنهُمَا كَانَ مَثَلُهُ مَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: **إِحدَاهُمَا:** طَلَبُهُ بِنَفَقَتِهِ مَحمَدَةً أَو ثَنَاءً أَو غَرَضًا مِن أَغرَاضِهِ الدُّنيَوِيَّةِ، وَهَذَا حَالُ أَكثَرِ المُنفِقِينَ. **وَالآفَةُ الثَّانِيَةُ:** ضَعفُ نَفسِهِ وَتَقَاعُسُهَا وَتَرَدُّدُهَا: هَل يَفعَلُ أَم لَا؟ فَالآفَةُ الأُولَى تَزُولُ بِابتِغَاءِ مَرضَاةِ اللهِ؛ وَالآفَةُ الثَّانِيَةُ تَزُولُ بِالتَّثبِيتِ، فَإِنَّ تَثبِيتَ النَّفسِ: تَشجِيعُهَا وَتَقوِيَتُهَا، وَالإِقدَامُ بِهَا عَلَى البَذلِ. وَهَذَا هُوَ صِدقُهَا. وَطَلَبُ مَرضَاةِ اللهِ: إِرَادَةُ وَجهِهِ وَحدَهُ، وَهَذَا إِخلَاصُهَا. فَإِذَا كَانَ مَصدَرُ الإِنفَاقِ عَن ذَلِكَ، كَانَ مَثَلُهُ كَجَنَّةٍ[1]؛ بِرَبْوَةٍ وَهِيَ المَكَانُ المُرْتَفِعُ الَّذِي تَكُونُ الْجَنَّةُ فِيهِ نُصْبَ الشَّمْسِ وَالرِّيَاحِ، فَتَتَرَبَّى الْأَشْجَارُ هُنَاكَ أَتَمَّ تَرْبِيَةٍ، فَنَزَلَ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَرٌ عَظِيمُ الْقَطْرِ مُتَتَابِعٌ، فَرَوَاهَا وَنَمَّاهَا، فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْ مَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الْوَابِلِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ- مَطَرٌ صَغِيرُ الْقَطْرِ-، يَكْفِيهَا لِكَرَمِ مَنْبَتِهَا، يَزْكُو عَلَى الطَّلِّ وَيَنْمَى عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّ فِي ذِكْرِ نَوْعَيِ الْوَابِلِ وَالطَّلِّ، إِشَارَةً إِلَى نَوْعَيِ الْإِنْفَاقِ الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ. فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ إِنْفَاقُهُ وَابِلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِنْفَاقُهُ طَلًّا، وَاللهُ لَا يُضِيعُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[2]؛ وَكَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ المَطَرَينِ يُوجِبُ زَكَاءَ

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٦٤٤).

(٢) «إعلام الموقِّعين» (١/ ٢٣٩).

ثَمَرِ الجَنَّةِ وَنَحوَهُ بِالأَضعَافِ، فَكَذَلِكَ نَفَقَتُهُم كَثِيرَةً كَانَت أَو قَلِيلَةً، بَعدَ أَن صَدَرَت عَنِ ابتِغَاءِ مَرضَاةِ اللهِ وَالتَّثبِيتِ مِن نُفُوسِهِم، فَهِيَ زَاكِيَةٌ عِندَ اللهِ نَامِيَةٌ مُضَاعَفَةٌ[1].

وَكُلٌّ يُنَمَّى لَهُ مَا أَنفَقَ أَتَمَّ تَنمِيَةٍ وَأَكمَلَهَا، وَالمُنَمِّي لَهَا هُوَ أَرحَمُ بِكَ مِن نَفسِكَ، الَّذِي يُرِيدُ مَصلَحَتَكَ حَيثُ لَا تُرِيدُهَا[2].

وَفِي حَدِيثِ السَّبعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ**»[3].

وَالمَعنَى: أَنَّهُ لِشِدَّةِ إِخفَائِهَا لَا تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَهَذَا لِكَمَالِ إِخلَاصِهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَمَالِ رَحمَتِهِ بِأَخِيهِ الَّذِي تَصَدَّقَ عَلَيهِ، لَا يُخجِلُهُ أَمَامَ النَّاسِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، يَكرَهُ أَن يَطَّلِعَ النَّاسُ أَنَّهُ فَقِيرٌ يُتَصَدَّقُ عَلَيهِ، فَهَذَا الرَّجُلُ لِشِدَّةِ إِخلَاصِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَن يَمدَحَهُ أَحَدٌ لِنَفَقَاتِهِ أَو صَدَقَاتِهِ، وَلِشِدَّةِ رَحمَتِهِ بِأَخِيهِ، حَتَّى لَا يَرَى أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَنَّ عَلَيهِ بِالصَّدَقَةِ، أَخفَى هَذِهِ الصَّدَقَةَ[4].

فَيُستَفَادُ مِن هَذَا الحَدِيثِ: فَضِيلَةُ إِخفَاءِ الصَّدَقَةِ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا أَخفَاهَا الإِنسَانُ، كَانَ ثَوَابُهُ أَكثَرَ.

فَإِن قُلتَ: أَلَيسَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يُثنِي عَلَى العِبَادِ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَمَا هُوَ الجَمعُ بَينَ الحَدِيثِ وَبَينَ الآيَةِ؟

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص **٦٤٥**). (٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص **١٣٥**).

(٣) رواه البخاري (**٦٦٠**)، ومسلم (**١٠٣١**) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «شرح بلوغ المرام» (**٣/ ٩٠**)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

وَكَذَلِكَ مَا الجَمعُ بَينَ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قُلنَا: الأَصلُ فِي الصَّدَقةِ مِن حَيثُ هِيَ: أَنَّ إِخفَاءَهَا أَفضَلُ؛ لِأَنَّهُ أَبعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، وَأَبعَدُ عَن إِظهَارِ المِنَّةِ عَلَى مَن تَصدَّقَ عَلَيهِ، وَأَبعَدُ أَيضًا عَن كَسرِ خَاطِرِهِ أَمَامَ النَّاسِ، هَذَا مِن حَيثُ هِيَ صَدَقَةٌ، فَإِنِ اقترَنَ بِهَا مَا يَجعَلُ إِعلَانَهَا خَيرًا مِن إِسرَارِهَا، صَارَ إِعلَانُهَا خَيرًا؛ لِأَنَّهُ قَد يَعرِضُ لِلمَفضُولِ مَا يَجعَلُهُ أَفضَلَ، كَيفَ يَكُونُ الإِعلَانُ خَيرًا مِنَ الإِسرَارِ؟ إِذَا كَانَ المَقصُودُ الِاقتِدَاءَ؛ يَعنِي: هَذَا الرَّجُلُ تَصَدَّقَ لِيَرَاهُ النَّاسُ فَيَقتَدُوا بِهِ، هَذَا وَاحِدٌ.

ثَانِيًا: رُبَّمَا يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي تُصُدِّقَ عَلَيهِ مُحتَاجًا وَلَا تَكفِيهِ صَدَقَتُهُ، فَيَتَصَدَّقُ إِظهَارًا لِحَاجَةِ الرَّجُلِ لِأَجلِ أَن يُعطِيَهُ النَّاسُ، فَإِذَن قَد يَكُونُ فِي إِظهَارِهَا خَيرٌ، إِمَّا لِلمُتَصَدِّقِينَ، أَو لِلمُتَصَدَّقِ عَلَيهِ، إِمَّا لِلمُتَصَدِّقِينَ: إِذَا اقتَدَوا بِهَذَا المُتَصَدِّقِ، وَإِمَّا لِلمُتَصَدَّقِ عَلَيهِ: إِذَا أَعطَاهُ النَّاسُ كَمَا أَعطَاهُ هَذَا الرَّجُلُ، وَإِلَّا فَإِنَّ الأَصلَ هُوَ الإِخفَاءُ[1].

وَعَن مُعَاوِيَةَ بنِ حَيدَةَ ﵁: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»[2].

وَإِنَّمَا كَانَت صَدَقَةُ السِّرِّ مُطفِئَةً لِغَضَبِ الرَّبِّ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا لَم يُرِد بِهَا إِلَّا وَجهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَم يَطلُب بِهَا جَزَاءً مِن مَخلُوقٍ، وَلَا رِيَاءً، وَلَا

(١) «شرح بلوغ المرام» (٣/ ٩١).

(٢) رواه الطبراني ١٩/ رقم (١٠١٨)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٨٨).

سُمعَةً، وَلَا مَحمَدَةً، وَلَا شُكُورًا.

وَاللَّهُ تَعَالَى «يَقبَلُ القَلِيلَ، وَيُعطِي الجَزِيلَ، وَيُرَبِّي النَّزرَ اليَسِيرَ مِنَ القُرُبَاتِ، وَيُجَازِي عَلَيهِ الكَثِيرَ مِنَ المَثُوبَاتِ»[١].

فَالقَلِيلُ مِنَ الإِنفَاقِ مَعَ الإِخلَاصِ يَكُونُ كَثِيرًا، وَيُعطِي اللَّهُ صَاحِبَهُ مَغفِرَةً وَأَجرًا كَبِيرًا[٢].

«فَمَا بَالُ مَن عَرَفَ هَذَا يَغفُلُ عَنهُ؟! وَمَا التَّوفِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ»[٣].

٧ الإِخلَاصُ فِي الحُبِّ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَن سَرَّهُ أَن يَجِدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، فَلْيُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»[٤].

وَقَد أَفَادَ هَذَا الحَدِيثُ: أَنَّ مَحَبَّةَ المُؤمِنِ المُوصِلَةَ لِحَلَاوَةِ الإِيمَانِ لَا بُدَّ أَن تَكُونَ خَالِصَةً لِلَّهِ تَعَالَى، غَيرَ مَشُوبَةٍ بِالأَغرَاضِ الدُّنيَوِيَّةِ، وَلَا الحُظُوظِ البَشَرِيَّةِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّهُ لِذَلِكَ، انقَطَعَتْ مَحَبَّتُهُ إِنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ الغَرَضُ، أَو يَئِسَ مِنْ حُصُولِهِ.

وَمَحَبَّةُ المُؤمِنِ: وَظِيفَةٌ مُتَعَيِّنَةٌ عَلَى الدَّوَامِ، وُجِدَتِ الأَغْرَاضُ أَو عُدِمَتْ، وَلَمَّا كَانَتِ المَحَبَّةُ لِلأَغرَاضِ هِيَ الغَالِبَةَ، قَلَّ وِجْدَانُ تِلكَ الحَلَاوَةِ، بَل قَدِ انعَدَمَ، لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الأَزمَانِ، الَّتِي قَدِ

---

(١) «كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين» (ص١٦٧)، لأبي الفتوح الطَّائي.

(٢) «المجموعة الكاملة» (٦/ ٢٠١)، للعلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «التمهيد» (٤/ ٣٠٢).

(٤) رواه الحاكم (١/ ٣) رقم (٣)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٢).

امَّحَى فِيهَا أَكثَرُ رُسُومِ الإِيمَانِ.

وَعَلَى الجُملَةِ: فَمَحَبَّةُ المُؤمِنِينَ مِنَ العِبَادَاتِ الَّتِي لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ الإِخلَاصِ فِي حُسْنِ النِّيَّاتِ[١].

وَاعلَم بِأَنَّ التَّحَابَّ فِي اللهِ: مِن أَصعَبِ الأُمُورِ وَأَشَدِّهَا، وَوُجُودُهُ فِي الأَشخَاصِ الإِنسَانِيَّةِ: أَعَزُّ مِنَ الكِبرِيتِ الأَحمَرِ. وَهَذِهِ الخَصلَةُ لَا يَقُومُ بِهَا: إِلَّا مَن سَبَقَت لَهُ العِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ.

وَالمَحَبَّةُ فِي هَذَا الزَّمَانِ قَائِمَةٌ عَلَى المَصَالِحِ الشَّخصِيَّةِ. «وَهَذِهِ هِيَ المَحَبَّةُ الْعَرَضِيَّةُ الَّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ مُوجِبِهَا؛ فَإِنَّ مَنْ وَدَّكَ لِأَمْرٍ، وَلَّى عَنْكَ عِنْدَ انْقِضَائِهِ»[٢].

وَعَلَى هَذَا تَجْرِي عَامَّةُ مَحَبَّةِ الْخَلْقِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَهَذَا لَا يُثَابُونَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ؛ بَلْ رُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى النِّفَاقِ وَالمُدَاهَنَةِ، فَكَانُوا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَخِلَّاءِ الَّذِينَ ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف][٣].

فَالمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ تَدُومُ وَتَتَّصِلُ مَحَبَّتُهُم وَخِلَّتُهُم، بِدَوَامِ مَن كَانَتِ المَحَبَّةُ لِأَجلِهِ، كَمَا قِيلَ:

مَا كَانَ للهِ، دَامَ وَاتَّصَلَ؛ وَمَا كَانَ لِغَيرِ اللهِ، انقَطَعَ وَانفَصَلَ.

وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا تَصَدَّعَ شَملُ الوَصلِ بَينَهُم ... فَلِلمُحِبِّينَ شَملٌ غَيرُ مُنصَدِعِ

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/ ٢١٤ - ٢١٥)، لأبي العبَّاس القرطبي.

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٢٧٠ - ٢٧١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦١٠).

وَإِن تَقَطَّعَ حَبلُ الوَصلِ يَومَئِذٍ فَلِلمُحِبِّينَ حَبلٌ غَيرُ مُنقَطِعِ[١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الـمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»[٢].

فَقَولُهُ: «**أَيْنَ الـمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟**» تَنبِيهٌ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِم: مِن إجلَالِ اللَّهِ وَتَعظِيمِهِ، مَعَ التَّحَابِّ فِيهِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُونَ حَافِظِينَ لِحُدُودِهِ، دُونَ الَّذِينَ لَا يَحْفَظُونَ حُدُودَهُ، لِضَعْفِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ[٣].

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَولُهُ: «**الـمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي**» أَي: المُتَحَابُّونَ فِيَّ، وَمِن أَجلِي إِجلَالًا وَمَحَبَّةً، وَابتِغَاءَ مَرضَاتِي.

وَالمَعنَى فِي ذَلِكَ: أَن يَكُونَ العَمَلُ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِصًا، لَا يَكُونُ لِشَيءٍ مِن عَرَضِ الدُّنيَا، إِنَّهُ يُحِبُّهُ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُؤمِنٌ بِهِ، مُخلِصٌ لَهُ، وَيُحِبُّهُ لِدُعَائِهِ إِلَى الخَيرِ، وَلِفِعلِهِ الخَيرَ، وَتَعلِيمِهِ الدِّينَ.

وَالدِّينُ جِمَاعُ الخَيرِ كُلِّهِ، فَإِذَا أَحَبَّهُ لِذَلِكَ، فَقَد أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١]»[٤].

فَمِنَ الحُبِّ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: حُبُّ أَولِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ حُبُّ الأَتقِيَاءِ الأَولِيَاءِ؛ مِنهُمُ المُعَلِّمُونَ لِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، العَامِلُونَ بِهِ[٥].

---

(١) «روضة المحبين» (ص٢٨٧).
(٢) رواه مسلم (٢٥٦٦).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٨٣).
(٤) «الاستذكار» (٨/ ٤٤٥).
(٥) المصدر السابق (٨/ ٤٤٧).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَن أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللَّهُ**»[١].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ، عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا؛ فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ: لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**». وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس][٢].

وَفَسَّرَهُم بِالمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيسَ المُرَادُ أَنَّ الأَنبِيَاءَ يَتَمَنَّونَ أَن يَكُونُوا بِمَنزِلَتِهِم لِقُصُورِهِم عَن دَرَجَاتِهِم، وَإِنَّمَا المُرَادُ أَنَّهُم يَبتَهِجُونَ وَيُسَرُّونَ بِهِم بِمَكَانِهِم مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣].

وَاعلَم أَنَّ هَذَا الثَّوَابَ فِي هَذِهِ المَحَبَّةِ، إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَت لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصَةً، لَا يَشُوبُهَا شَيءٌ مِنَ الكَدَرِ.

فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مَن يُؤَاخِي، وَمَن يُحِبُّ؟ وَلَا يَنبَغِي أَن يَتَخَيَّرَ، إِلَّا مَن قَد سَلِمَ دِينُهُ.

عَن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٣٥)، وقوّاه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٧٣٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٢٧)، وصححه لغيره العلّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢٦).

(٣) «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٧٤٢).

«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»[١].

مَا أَجمَلَ، وَمَا أَعظَمَ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ! وَمَا أَجمَلَ أَن يَتلَاقَى المُحِبُّونَ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى طَاعَتِهِ وَابتِغَاءَ مَرضَاتِهِ! وَمَا أَجمَلَ أَن يَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ، وَيَتَبَاذَلُوا فِيهِ! فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ ذَلِكَ مِنهُم، وَيُحِبُّهُم لِأَجلِ ذَلِكَ .

إِنَّهَا دَعوَةٌ إِلَى التَّحَابِّ فِي اللَّهِ، وَدَعوَةٌ لِمُجَالَسَةِ المُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَدَعوَةٌ لِلتَّزَاوُرِ فِي اللَّهِ، وَدَعوَةٌ لِبَذلِ المَالِ.

أَجَل إِنَّهَا دَعوَةٌ إِلَى هَذِهِ الخِلَالِ الأَربَعِ، لِيُسَارِعَ النَّاسُ إِلَيهَا وَيَتَنَافَسُوا عَلَيهَا.

الأُولَى: الحُبُّ فِي اللَّهِ:

اعلَمُوا - بَارَكَ اللَّهُ فِيكُم - بِأَنَّ المَحَبَّةَ فِي اللَّهِ مِن تَمَامِ مَحَبَّةِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَقتَضِي مَحَبَّةَ مَا يُحِبُّ، وَمَحَبَّةَ مَا يُعِينُ عَلَى حُبِّهِ وَيُوصِلُ إِلَى رِضَاهُ وَقُربِهِ، وَهُوَ يُحِبُّ الأَنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَيُحِبُّ الأَعمَالَ الصَّالِحَةَ، فَحُبُّهَا للَّهِ هُوَ مِن تَمَامِ حُبِّهِ.

وَكَيفَ لَا يُحِبُّ المُؤمِنُ مَا يَستَعِينُ بِهِ عَلَى مَرضَاةِ رَبِّهِ، وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى حُبِّهِ وَقُربِهِ؟!

عَنْ أَبِي الدَّردَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرفَعُهُ - أَي: إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: **«مَا مِنْ رَجُلَيْنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ، إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَىٰ اللَّهِ،**

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٢٩٥٩) [طبعة دار ابن حزم]، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٨).

أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»[١].

فَمَن أَحَبَّ أَخًا لَهُ فَليَقُل: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ.

وَهَذِهِ أَوَّلُ ثَمَرَاتِ الإِخبَارِ بِالمَحَبَّةِ: أَن يَحظَى المُخبِرُ بِهَذَا الدُّعَاءِ العَظِيمِ، وَمَاذَا يُرِيدُ أَعظَمَ مِن أَن يُحِبَّهُ اللَّهُ سُبحَانَهُ؟![٢]

هَذِهِ المَحَبَّةُ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا إِذَا كَانَت خَالِيَةً مِنَ الغَرَضِ، إِيجَابِيَّةً فِي الخَيرِ. فَإِنَّ مَن أَحَبَّ إِنسَانًا لِكَونِهِ يُعطِيهِ، فَمَا أَحَبَّ إِلَّا العَطَاءَ. وَمَن قَالَ: إِنَّهُ يُحِبُّ مَن يُعطِيهِ لِلَّهِ، فَهَذَا كَذِبٌ وَمُحَالٌ، وَزُورٌ مِنَ القَولِ.

وَكَذَلِكَ مَن أَحَبَّ إِنسَانًا لِكَونِهِ يَنصُرُهُ، إِنَّمَا أَحَبَّ النَّصرَ لَا النَّاصِرَ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ اتِّبَاعِ مَا تَهوَى الأَنفُسُ، لَم يُحِبَّ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا مَا يَصِلُ إِلَيهِ مِن جَلبِ مَنفَعَةٍ أَو دَفعِ مَضَرَّةٍ، فَهُوَ إِنَّمَا أَحَبَّ تِلكَ المَنفَعَةَ وَدَفعَ المَضَرَّةِ.

فَإِذَا كَانَ الحُبُّ لِمُجَرَّدِ كَونِ المَحبُوبِ مُسلِمًا صَالِحًا، وَأَدَّى بِالمُتَحَابِّينَ إِلَى النُّهُوضِ بِبَعضِهِم إِلَى اللَّهِ، وَالتَّوَاصِي بِالحَقِّ وَالصَّبرِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الخَيرِ وَالذِّكرِ وَالدَّعوَةِ وَالعِلمِ، فَتِلكَ مَحَبَّةٌ فِي اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٢٧٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٦).

(٢) «شرح صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري» (٢/ ١٧٥)، للشيخ الفاضل حسين العوايشة.

﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ [طه]؛ ثُمَّ بَيَّنَ الهَدَفَ مِن تَعَاوُنِهِ مَعَ أَخِيهِ، فَقَالَ: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه]؛ فَالتَّسبِيحُ الكَثِيرُ، وَالذِّكرُ الكَثِيرُ: هُوَ الهَدَفُ مِنَ التَّآخِي فِي اللهِ.

فَالمَحَبَّةُ فِي اللهِ تَعَالَى لَيسَت - فَقَط - كَلِمَةً يَقُولُهَا كُلُّ امرِىءٍ لِصَاحِبِهِ، وَلَكِنَّهَا مَحَبَّةٌ فِي القَلبِ لَهَا آثَارُ أَعمَالٍ، مِنهَا:

أَنْ تَكُونَ نَاصِحًا لَهُ، نَاصِرًا لَهُ بِمَنعِهِ عَنِ الظُّلمِ وَالمَعصِيَةِ، نَاصِرًا لَهُ فِي الطَّاعَةِ، ذَابًّا عَن عِرضِهِ، دَاعِيًا لَهُ فِي غَيبَتِهِ بِالخَيرِ، عَائِدًا لَهُ فِي مَرَضِهِ، مُعِينًا لَهُ عَلَى دُنيَاهُ، تُحِبُّ لَهُ مِنَ الخَيرِ مَا تُحِبُّ لِنَفسِكَ، وَتَكرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا تَكرَهُهُ لِنَفسِكَ.

فَلنَنظُر فِي وَاقِعِ هَذِهِ الأُخُوَّةِ، وَأَينَ نَحنُ مِنهَا؟!

فَالتَّحَابُبُ فِي اللهِ، عَظِيمٌ قَدرُهُ، وَهُوَ مِنَ المُهِمَّاتِ، وَهُوَ اليَومَ قَلِيلٌ، لَا يُوَفَّقُ لَهُ إِلَّا الشَّاذُّ الفَاذُّ مِنَ النَّاسِ. فَليُفَتِّش كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا عَن نَفسِهِ، بِأَن لَا يَكُونَ مَعَ الكَثرَةِ الَّتِي ضَيَّعَت هَذَا الأَمرَ العَظِيمَ، كَالَّذِينَ لَا يُوَالُونَ، إِلَّا عَلَى الحِزبِيَّةِ وَالمَنهَجِيَّةِ: فَمَن وَافَقَهُم عَلَى حِزبِيَّتِهِم وَمَنهَجِهِم أَحَبُّوهُ، وَلَو كَانَ فَاسِقًا، وَمَن خَالَفَهُم أَبغَضُوهُ، وَلَو كَانَ صَالِحًا.

اللَّهُمَّ وَفِّقنَا لِلحُبِّ فِيكَ، وَاجعَلنَا مِن أَهلِهِ.

الثَّانِيَةُ: المُجَالَسَةُ فِي اللهِ:

إِنَّ مُجَالَسَةَ الْمُخْلِصِينَ لِلتَّعَاوُنِ «عَلَى أَسبَابِ النَّجَاةِ وَالتَّوَاصِي بِالحَقِّ وَالصَّبرِ، فَهَذَا مِن أَعظَمِ الغَنِيمَةِ وَأَنفَعِهَا»[1]. وَفِي أَمثَالِ هَؤُلَاءِ،

(١) «الفوائد» (ص ٩٣).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هُمُ الْقَوْمُ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»[١].

هَذِهِ مُبَالَغَةٌ فِي إِكْرَامِهِم، وَزِيَادَةٌ فِي إِعلَاءِ مَكَانَتِهِم ...؛ وَهَذِهِ حَالَةٌ شَرِيفَةٌ، وَمَنزِلَةٌ مُنِيفَةٌ، لَا خَيَّبَنَا اللَّهُ مِنهُم، وَجَعَلَنَا مِن أَهلِهَا[٢].

وَهَذَا يُذَكِّرُنَا بِمَجَالِسِ الصَّحَابَةِ. فَقَد كَانَت عَامِرَةً بِذِكرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يُقَرِّبُ مِنهُ.

عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قَالَ لِي مُعَاذٌ: اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً، يَعْنِي: نَذْكُرُ اللَّهَ[٣].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّهِ! مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي؛ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: «**آللَّهِ! مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**»[٤] قَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللَّهَ عز وجل يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ**»[٥].

---

(١) قطعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) - واللفظ له -.

(٢) «المفهم» (٧/ ١٣).

(٣) رواه البخاري معلَّقًا مجزومًا به: قبل الحديث (٨). ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٥٤) - واللفظ له -، وصححه الألباني رحمه الله في تخريج «كتاب الإيمان» لابن تيميَّة (ص٩٢).

(٤) «**آللَّهِ! مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» أي: أَستحلِفُكُم بِاللَّهِ، مَا جَلَستُم إِلَّا مِن أَجلِ ذِكرِ اللَّهِ تَعَالَى؟

(٥) رواه مسلم (٢٧٠١).

مَعنَاهُ: يُظهِرُ فَضلَكُم لَهُم، وَيُرِيهِم حُسنَ عَمَلِكُم، وَيُثنِي عَلَيكُم عِندَهُم؛ وَأَصلُ البَهَاءِ: الحُسنُ وَالجَمَالُ، وَفُلَانٌ يُبَاهِي بِمَالِهِ: أَي: يَفخَرُ وَيَتَجَمَّلُ بِهِم عَلَى غَيرِهِم، وَيُظهِرُ حُسنَهُم[(١)].

فَهَذِهِ المُبَاهَاةُ مِنَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَلِيلٌ عَلَى شَرَفِ الذِّكرِ عِندَهُ، وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَأَنَّ لَهُ مَزِيَّةً عَلَى غَيرِهِ مِنَ الأَعمَالِ[(٢)].

فَاحْرِصْ - بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ - عَلَى مُجَالَسَةِ المُخلِصِينَ المُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَالتِقَاطِ «أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِم، كَمَا تُنتَقَى أَطَايِبُ الثَّمَرِ؛ وَلَا تتكَلَّم إِلَّا إِذَا تَرَجَّحَت مَصلَحَةُ الكَلَامِ، وَعَلِمتَ أَنَّ فِيهِ مَزِيدًا لِحَالِكَ، وَمَنفَعَةً لِغَيرِكَ»[(٣)].

الثَّالِثَةُ: التَّزَاوُرُ فِي اللَّهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَل لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا! غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ: بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ، كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»**[(٤)].

(**فَأَرْصَدَ اللَّهُ**) أَي: أَقعَدَهُ بِمِرصَادِهِ يَرقُبُهُ.

(**عَلَى مَدْرَجَتِهِ**) أَي: عَلَى مَوضِعِ مُرُورِهِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ؛ سُمِّيَت بِالمَدرَجَةِ: لِأَنَّ النَّاسَ يَدرُجُونَ عَلَيهَا، أَي: يَمضُونَ وَيَمشُونَ

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧/ ٢٣). (٢) «الوابل الصيب» (١/ ١٠٢).
(٣) «تهذيب المدارج» (٢/ ٨١٤). (٤) رواه مسلم (٢٥٦٧).

عَلَيهَا، وَيَمُرُّونَ بِهَا.

(تَرُبُّهَا) أَي: تُرَاعِيهَا، وَتَقُومُ بِمُجَازَاتِهَا وَشُكرِهَا، بِذَهَابِكَ إِلَيهِ[١].

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ «مَا يَدُلُّ: عَلَى أَنَّ الحُبَّ فِي اللهِ وَالتَّزَاوُرَ فِيهِ مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ، وَأَعظَمِ القُرَبِ، إِذَا تَجَرَّدَ ذَلِكَ عَن أَغرَاضِ الدُّنيَا وَأَهوَاءِ النُّفُوسِ»[٢].

فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ نَالَ مَا نَالَهُ، لِحُبِّهِ لِذَلِكَ الأَخِ فِي اللهِ، ابتِغَاءَ وَجهِهِ؛ لَا مِن أَجلِ إِنعَامِهِ عَلَيهِ، وَلَا مِن أَجلِ مَصَالِحَ بَينَهُ وَبَينَهُ.

الرَّابِعَةُ: التَّبَاذُلُ فِي اللهِ:

وَبَذلُ المَالِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ: أَهوَنُهَا: المُسَاهَمَةُ فِي المَالِ، وَأَوسَطُهَا: المُوَاسَاةُ، وَأَعلَاهَا: تَقدِيمُ الأَخِ فِي المَالِ عَلَى النَّفسِ. وَهَذِهِ رُتبَةُ الصِّدِّيقِينَ، وَمُنتَهَى دَرَجَاتِ المُتَحَابِّينَ، وَتُسَمَّى دَرَجَةَ الإِيثَارِ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ - أَو قَالَ: حِينٌ -، وَمَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرهَمُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**كَم مِن جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَومَ القِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ! هَذَا أَغلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعرُوفَهُ!**»[٣].

وَأَبلَغُ مِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

---

(١) «منة المنعم في شرح صحيح مسلم» (٤/ ١٧٨)، لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.
(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/ ٥٤٣).
(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١١)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٨١).

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

فَهَذَا كَانَ حَالُهُم فِي ذَلِكَ الوَقتِ الطَّيِّبِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ المُتَحَابُّونَ لِجَلَالِ اللَّهِ.

فَهَذِهِ هِيَ المَحَبَّةُ النَّافِعَةُ لَا لِمَحَبَّةِ الدُّنيَا، وَهِيَ الَّتِي أَوجَبَت لَهُمُ المُوَاسَاةَ وَالإِيثَارَ عَلَى الأَنفُسِ، وَ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد].

فَإِنْ لَم تُصَادِف نَفسَكَ فِي رُتبَةٍ مِنْ هَذِهِ الرُّتَبِ مَعَ أَخِيكَ، فَاعلَمْ أَنَّ عَقدَ الأُخُوَّةِ لَم يَنْعَقِدْ بَعْدُ فِي البَاطِنِ، وَإِنَّمَا الجَارِي بَينَكُمَا مُخَالَطَةٌ رَسمِيَّةٌ.

٨ الإِخلَاصُ فِي الزِّيَارَةِ فِي اللهِ:

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِن عَبدٍ مُسلِمٍ أَتَى أَخًا لَهُ يَزُورُهُ فِي اللَّهِ، إِلَّا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَن طِبتَ وَطَابَت لَكَ الجَنَّةُ، وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِ عَرشِهِ: [عَبدِي] زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَم أَرضَ لَهُ بِقِرًى دُونَ الجَنَّةِ**»[1].

فَمَن زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى يَقُولُ فِي مَلَكُوتِ عَرشِهِ - وَكَلَامُهُ البَلِيغُ الوَجِيزُ - : «**عَبدِي زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَم أَرضَ لَهُ بِقِرًى دُونَ الجَنَّةِ**».

---

(١) رواه البزّار «البحر الزخّار» (٦٤٦٦)، وأبو يعلى (٤١٤٠) - واللفظ له -. وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٧٩): «حسن صحيح».

فَانظُر يَا أَخِي - وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - إِلَى عَظِيمِ فَضلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَأَمَّل هَذِهِ الأَلفَاظَ: «**عَبدِي زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ**».

وَأَيُّ ضِيَافَةٍ أَجَلُّ، وَأَكبَرُ، وَأَعظَمُ، مِن هَذِهِ الضِّيَافَةِ؟! فَلِلَّهِ تِلكَ الضِّيَافَةُ، مَا أَجَلَّهَا وَأَجمَلَهَا! وَأَدوَمَهَا وَأَكمَلَهَا!

فَاحْرِصْ - بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ - عَلَى زِيَارَةِ الإِخوَانِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهَا عِبَادَةٌ جَلِيلَةٌ، وَفِيهَا الزُّلفَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِيهَا مِن ضُرُوبِ الفَوَائِدِ وَصَلَاحِ القُلُوبِ. وَتَذَكَّرِ الحَدِيثَ التَّالِيَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مَنْزِلًا فِي الْجَنَّةِ**»[1].

وَفِي الحَدِيثِ: فَضلُ عِيَادَةِ المَرِيضِ، وَالزِّيَارَةِ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَسَعَةِ رَحمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِيهِ كَلَامُ اللَّهِ لِلعَبدِ عَلَى الحَقِيقَةِ؛ إِخبَارًا بِمَا أَعَدَّ لَهُ فِي الجَنَّةِ[2].

٩ الإِخلَاصُ فِي إِطعَامِ الطَّعَامِ:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي حَقِّ نَفَرٍ مِنَ المُخلِصِينَ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى «بِالإِخلَاصِ، وَأَنَّهُم إِنَّمَا قَصَدُوا بِإِطعَامِ

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٥)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الأدب المفرد» (٢٦٢).

(٢) «شرح صحيح الأدب المفرد» (١/ ٤٤٦ - ٤٤٧).

الطَّعَامِ: وَجهَهُ، وَلَم يُرِيدُوا مِنَ المُطعَمِينَ: جَزَاءً وَلَا شُكُورًا»[١].

وَلِهَذَا كَانَ المُحَقِّقُونَ لِلإخلَاصِ، لَا يَطلُبُونَ مِنَ المُحْسَنِ إِلَيهِ: لَا دُعَاءً وَلَا ثَنَاءً وَلَا غَيرَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ نَوعٌ مِنَ الجَزَاءِ وَالإحسَانِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «... **وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»[٢].

وَأَيضًا كَانُوا إِذَا كَافَأَهُمُ المُعطِي بِدُعَاءٍ وَغَيرِهِ، قَابَلُوهُ بِمِثلِ ذَلِكَ، لِيَبقَى أَجرُهُم عَلَى اللَّهِ تَعَالَى[٣].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: أُهدِيَت لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ، فَقَالَ: «**اقسِمِيهَا**»، قَالَ: وَكَانَت عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَتِ الخَادِمُ، قَالَت: مَا قَالُوا لَكَ؟ تَقُولُ [الخَادِمُ] مَا يَقُولُونَ، يَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُم، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِم بَارَكَ اللَّهُ، نَرُدُّ عَلَيهِم مِثلَ مَا قَالُوا، وَيَبقَى أَجرُنَا لَنَا[٤].

إِنَّ مِن تَمَامِ إِخْلَاصِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّها لَم تَكُن تَنتَظِرُ شَيئًا، حَتَّى الدُّعَاءَ.

١٠ الإِخلَاصُ فِي الدُّعَاءِ لِلمَيِّتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ**

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٥٢٢).

(٢) قطعة من حديث: رواه أبو داود (١٦٧٢) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٥٢).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٢٧ - ٥٢٩).

(٤) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣) بسند جيد، وأورده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الكلم الطيب» (رقم: ١٨٥- ٢٣٩).

عَلَى المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»[(١)].

فَالمَعنَى: أَنَّكَ تَدعُو بِحُضُورِ قَلبٍ، وَإِلحَاحٍ عَلَى اللهِ لِأَخِيكَ المَيِّتِ، لِأَنَّهُ مُحتَاجٌ لِدُعَائِكَ[(٢)]. فَهُنَاكَ فَرقٌ بَينَ دُعَاءِ الإِنسَانِ المُخلِصِ، وَبَينَ دُعَاءِ الغَافِلِ اللَّاهِي[(٣)].

١١ الإِخلَاصُ فِي الحُبِّ وَالبُغضِ وَالعَطَاءِ وَالمَنعِ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وأَبغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، ومَنَعَ للهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[(٤)].

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رحمه الله: «فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حُبُّهُ للهِ، وَبُغْضُهُ للهِ، وَهُمَا عَمَلُ قَلْبِهِ؛ وَعَطَاؤُهُ للهِ، وَمَنْعُهُ للهِ، وَهُمَا عَمَلُ بَدَنِهِ: دَلَّ عَلَى كَمَالِ مَحَبَّتِهِ للهِ، وَ[دَلَّ] ذَلِكَ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، وَذَلِكَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَالْعِبَادَةُ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحُبِّ، وَكَمَالَ الذُّلِّ، وَالْحُبُّ مَبْدَأُ جَمِيعِ الْحَرَكَاتِ الْإِرَادِيَّةِ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ حُبٍّ وَبُغْضٍ؛ فَإِذَا كَانَتْ مَحَبَّتُهُ لِمَنْ يُحِبُّهُ اللهُ، وَبُغْضُهُ لِمَنْ يُبْغِضُهُ اللهُ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، لَكِنْ قَدْ يَقْوَى ذَلِكَ وَقَدْ يَضْعُفُ، بِمَا يُعَارِضُهُ مِنْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَأَهْوَائِهَا، الَّذِي يَظْهَرُ فِي بَذْلِ المَالِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ النَّفْسِ؛ فَإِذَا كَانَ حُبُّهُ للهِ، وَعَطَاؤُهُ

(١) رواه أبو داود (٣١٩٩)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٢٩٩).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٥٤٥)، للعلَّامة ابن عثيمين رحمه الله.
(٣) «شرح بلوغ المرام» (٢/ ٥٣٤)، للعلَّامة ابن عثيمين رحمه الله.
(٤) رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٤١).

لِلَّهِ، وَمَنْعُهُ لِلَّهِ، دَلَّ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ...؛ وَمَنْ كَانَ حُبُّهُ لِلَّهِ، وَبُغْضُهُ لِلَّهِ، لَا يُحِبُّ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يُبْغِضُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يُعْطِي إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا لِلَّهِ: فَهَذِهِ حَالُ السَّابِقِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ»(١).

وَقَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالدِّينُ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى أَربَعِ قَوَاعِدَ: حُبٌّ وَبُغضٌ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيهِمَا فِعلٌ وَتَركٌ، فَمَنْ كَانَ حُبُّهُ وَبُغضُهُ وَفِعلُهُ وَتَركُهُ لِلَّهِ، فَقَدِ استَكمَلَ الإِيمَانَ، بِحَيثُ إِذَا أَحَبَّ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَإِذَا أَبغَضَ أَبغَضَ لِلَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ فَعَلَ لِلَّهِ، وَإِذَا تَرَكَ تَرَكَ لِلَّهِ، وَمَا نَقَصَ مِن أَصنَافِ هَذِهِ الأَربَعَةِ، نَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِ وَدِينِهِ بِحَسَبِهِ»(٢).

١٢ الإِخلَاصُ فِي كَظمِ الغَيظِ:

عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ جُرعَةٍ أَعظَمَ أَجرًا عِندَ اللَّهِ، مِنْ جُرعَةِ غَيظٍ، كَظَمَهَا عَبدٌ ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٣).

يَكظِمُهَا: «أَي: يَبلَعُهَا وَيَمنَعُهَا مِن إِظهَارِهَا، مَعَ كَثرَتِهَا وَمَلءِ بَاطِنِهِ مِنهَا؛ مِن (كَظَمَ القُربَةَ): مَلَأَهَا وَشَدَّ فَمَهَا»(٤).

وَمَتَى عَلِمَ العَبدُ مَا فِي كَظمِ الغَيظِ مِنَ الثَّوَابِ الجَزِيلِ، وَالأَجرِ الجَمِيلِ، سَهُلَ عَلَيهِ. وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ تَحَلَّى بِالأَخلَاقِ الجَمِيلَةِ، وَتَخَلَّى عَنِ الأَخلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِمَّنْ تَاجَرَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٧٥٤). (٢) «الروح» (ص ٣٤٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٤١٨٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٩٦) [طبعة مكتبة المعارف].

(٤) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣١٥).

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوثِق غَضَبَكَ بِسِلسِلَةِ الحِلمِ، فَإِنَّهُ كَلبٌ إِذَا أَفلَتَ أَتلَفَ»[١].

١٣ الإِخْلَاصُ فِي بِنَاءِ المَسَاجِدِ:

عَنْ عُثمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ بَنَىٰ مَسجِدًا يَبتَغِي بِهِ وَجهَ اللَّهِ، بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ مِثلَهُ فِي الجَنَّةِ**»[٢].

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِخلَاصُ شَرطٌ لِحُصُولِ الثَّوَابِ فِي جَمِيعِ الأَعمَالِ، فَإِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِامرِئٍ مَا نَوَى، وَبِنَاءُ المَسَاجِدِ مِن جُملَةِ الأَعمَالِ، فَإِن كَانَ البَاعِثُ عَلَى عَمَلِهِ ابتِغَاءَ وَجهِ اللَّهِ حَصَلَ لَهُ هَذَا الأَجرُ، وَإِن كَانَ البَاعِثُ عَلَيهِ الرِّيَاءَ وَالسُّمعَةَ أَوِ المُبَاهَاةَ، فَصَاحِبُهُ مُتَعَرِّضٌ لِمَقتِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، كَسَائِرِ مَن عَمِلَ شَيئًا مِن أَعمَالِ البِرِّ يُرِيدُ بِهِ الدُّنيَا، كَمَن صَلَّى يُرَائِي أَو حَجَّ يُرَائِي أَو تَصَدَّقَ يُرَائِي»[٣].

١٤ الإِخْلَاصُ فِي تَركِ المَعصِيَةِ لِلَّهِ:

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَدخُلُ فِي الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ الإِخلَاصِ: تَركُ مَا تَشتَهِيهِ النُّفُوسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ، إِذَا تَرَكَهَا خَالِصًا مِن قَلبِهِ، وَلَم يَكُن لِتَركِهَا مِنَ الدَّوَاعِي غَيرُ الإِخلَاصِ»[٤].

---

(١) «الفوائد» (ص٩١).
(٢) رواه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (٥٣٣).
(٣) «فتح الباري» (٣/ ٣٢٢-٣٢٣)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) «المجموعة الكاملة» (٧/ ٣٥-٣٦).

فَـإِذَا نَـزَعـتَ عَـنِ الـغِـوَايَـةِ فَلْيَكُـن ﷲِ ذَاكَ الـنَّـزعُ لَا لِـلـنَّـاسِ[١]

عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا [فِي غَارٍ] فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيهِم صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ... وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِن بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِئَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ**»[٢].

«فَهَذَا الرَّجُلُ دَعَا امرَأَةً يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا لِيُجَامِعَهَا بِالزِّنَا - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيهِمَا أَحَدٌ، وَهُوَ فِيهِ شَهوَةٌ، وَيُحِبُّ المَرأَةَ، لَكِن لَمَّا قَالَتْ لَهُ: اتَّقِ اللهَ، قَامَ عَنهَا.

فَانظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ! المُقتَضِي مَوجُودٌ! لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الجِمَاعِ، وَالمَرأَةُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيهِ، وَالمَكَانُ خَالٍ؛ لَكِن مَنَعَهُ مَانِعٌ، أَقوَى مِنْ هَذَا المُقتَضِي: وَهُوَ خَوفُ اللهِ»[٣].

«فَفِي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ الفَوَائِدِ وَالعِبَرِ: فَضِيلَةُ العِفَّةِ عَنِ الزِّنَا، وَأَنَّ الإِنسَانَ إِذَا عَفَّ عَنِ الزِّنَا - مَعَ قُدرَتِهِ عَلَيهِ -، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَفضَلِ الأَعمَالِ. وَقَد ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ هَذَا مِنَ السَّبعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ

---

(١) «ديوان الحسن بن هانئ» (ص٥١١). (٢) رواه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٤٦٣ - ٤٦٤) بتصرُّف، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

فِي ظِلِّهِ، يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**»(١).

«فَهَذَا الرَّجُلُ مَكَّنَتهُ هَذِهِ المَرأَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا مِنْ نَفسِهَا، فَقَامَ [عَنهَا] خَوفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَحَصَلَ عِندَهُ كَمَالُ العِفَّةِ، فَيُرجَى أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»(٢).

وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ:

لَا خَيرَ فِيمَنْ لَا يُرَاقِبُ رَبَّهُ ... عِنْدَ الهَوَى وَيَخَافُهُ إِيمَانَا

حَجَبَ التُّقَى سُبُلَ الهَوَى فَأَخُو التُّقَى ... يَخْشَى إِذَا وَافَى المَعَادَ هَوَانَا(٣)

وَاعلَم بِأَنَّ مَن تَرَكَ المَعصِيَةَ «صَادِقًا مُخلِصًا مِن قَلبِهِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي تَركِهَا مَشَقَّةً، إِلَّا فِي أَوَّلِ وَهلَةٍ لِيُمتَحَنَ: أَصَادِقٌ هُوَ فِي تَركِهَا أَم كَاذِبٌ؟ فَإِن صَبَرَ عَلَى تِلكَ المَشَقَّةِ قَلِيلًا، استَحَالَت لَذَّةً»(٤).

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبِي الدَّهْمَاءِ قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ، مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**»(٥).

وَأَجَلُّ ما يُعَوَّضُ بِهِ: الأُنسُ بِاللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ، وَطُمَأنِينَةُ القَلبِ بِهِ،

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٨٢-٨٣).

(٣) «روضة المحبين» (ص٣٣٨). ولهذين البيتين: قصة ومناسبة، ساقها ابن القيِّم رحمه الله.

(٤) «فوائد الفوائد» (ص٢٥٠).

(٥) رواه أحمد (٥/ ٣٦٣)، وقال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١/ ٦٢): «وسنده صحيح على شرط مسلم».

وَقُوَّتُهُ وَنَشَاطُهُ، وَفَرَحُهُ وَرِضَاهُ عَن رَبِّهِ تَعَالَى[(١)].

١٥ الإِخْـلَاصُ فِـي الأُضْحِيَةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الذَّبْحِ كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مُوجَأَيْنِ، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ: «**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ المُسلِمِينَ؛ اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ، [وَ] عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ، بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» ثُمَّ ذَبَحَ[(٢)].

كَبْشَيْنِ: مُثَنَّى كَبشٍ، وَهُوَ ذَكَرُ الغَنَمِ.

أَقْرَنَيْنِ: ذَوَي قُرُونٍ.

أَمْلَحَيْنِ: تَثنِيَةُ أَملَحٍ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ.

مُوجَأَيْنِ: أَي: خَصِيَّيْنِ.

مِنْكَ: أَي: مِنكَ المَنُّ وَالفَضلُ وَالعَطَاءُ، **وَلَكَ**: أَي: ابتِغَاءَ وَجهِكَ الكَرِيمِ.

قَالَ شَيخُ الإِسلَام رحمه الله: «فَمَا لَم يَكُن بِاللَّهِ لَا يَكُونُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ وَمَا لَم يَكُن لِلَّهِ فَلَا يَنفَعُ وَلَا يَدُومُ»[(٣)].

---

(١) «فوائد الفوائد» (ص ٢٥٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٧٩٥)، وحسَّن إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٨/ ١٤٢) [الكتاب الأم، طبعة غراس].

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٢٤).

١٦ الإِخـــلاص فِـي الـحَـجِّ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ، وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، أَوْ لَا تُسَاوِي، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حِجَّةٌ، لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ**»[١].

فَمَن قَصَدَ بِعِبَادَةَ الحَجِّ «الرِّيَاءَ وَالتَّسمِيعَ أَثِمَ بِذَلِكَ، وَإِن قَصَدَ بِهَا وَجهَ اللَّهِ تَعَالَى أُجِرَ وَفَازَ بِخَيرِ الدَّارَينِ وَمَدحِهِمَا»[٢].

١٧ الإِخـــلاص فِـي الـصَّـبـرِ:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَم يَكتَفِ مِنهُم لِمُجَرَّدِ الصَّبرِ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا لِوَجهِهِ»[٣].

فَإِنَّ هَذَا هُوَ الصَّبرُ النَّافِعُ، الَّذِي يَحبِسُ بِهِ العَبدُ نَفسَهُ، وَطَلَبًا لِمَرضَاةِ رَبِّهِ، وَرَجَاءً لِلقُربِ مِنهُ، وَالحَظوَةِ بِثَوَابِهِ[٤].

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يُعِينُ عَلَى الصَّبرِ. قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٨٩٠)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٢٢).

(٢) «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (١/ ١٠١). (٣) «عدة الصابرين» (ص ٤٨).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٧١).

«فَأَخبرَ أَنَّ صَبْرَهُ بِاللَّهِ... فَمَا لَا يَكُونُ بِاللَّهِ لَا يَكُونُ، وَمَا لَا يَكُونُ لِلَّهِ لَا يَنفَعُ وَلَا يَدُومُ»[1]، وَكُلُّ عَمَلٍ لَم يُرَد بِهِ وَجهُهُ فَهُوَ بَاطِلٌ[2].

١٨ الإِخلَاصُ فِي الجِهَادِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ -، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ**»[3].

وَقَولُهُ: «**وَاللَّهُ أَعلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ**»؛ تَنبِيهٌ عَلَى: وُجُوبِ الإِخلَاصِ فِي الجِهَادِ، وَتَنوِيهٌ بِالمُخلِصِ فِيهِ، وَاستِبعَادٌ لِلإِخلَاصِ، وَإِشعَارٌ بِقِلَّتِهِ[4].

وَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ، إِن قَبَضتُهُ أَورَثتُهُ الجَنَّةَ، وَإِن رَجَعتُهُ رَجَعتُهُ بِأَجرٍ أَو غَنِيمَةٍ**»[5].

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الحَدِيثِ أَيضًا أَصلٌ عَظِيمٌ، وَفَضلٌ جَسِيمٌ لِلمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَعمَالَ لَا يَزكُو مِنهَا، إِلَّا مَا صَحِبَتهُ النِّيَّةُ، وَالإِخلَاصُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالإِيمَانُ بِهِ.

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الغَنِيمَةَ لَا تُنقِصُ مِن أَجرِ المُجَاهِدِ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٢٩). (٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٧٩).

(٣) رواه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦). (٤) «المفهم» (٣/ ٧٠٧).

(٥) رواه الترمذي (١٦٢٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣١٥).

شَيئًا، وَأَنَّ المُجَاهِدَ وَافِرُ الأَجرِ، غَنِمَ أَو لَم يَغنَم»[١].

نَسأَلُ اللهَ أَن يَجعَلَنَا وَإِيَّاكُم مِنَ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، ابتِغَاءَ وَجهِ اللهِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ[٢].

١٩ الإِخلَاصُ فِي الدَّعوَةِ:

مَقَامُ الدَّعوَةِ إِلَى اللهِ: أَفضَلُ مَقَامَاتِ العَبدِ[٣].

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

وَفِي الآيَةِ «التَّنبِيهُ عَلَى الإِخلَاصِ فِي الدَّعوَةِ، بِأَن لَا يَكُونَ لِلدَّاعِيَةِ مَقصَدٌ سِوَى وَجهِ اللهِ، لَا يَقصِدُ بِذَلِكَ تَحصِيلَ مَالٍ أَو رِئَاسَةٍ، أَو مَدحٍ مِنَ النَّاسِ، أَو دَعوَةٍ إِلَى حِزبٍ أَو مَذهَبٍ»[٤].

لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَو دَعَا إِلَى الحَقِّ، فَهُوَ يَدعُو إِلَى نَفسِهِ؛ فَالَّذِي يَدعُو إِلَى اللهِ: هُوَ الَّذِي لَا يُرِيدُ إِلَّا أَن يَقُومَ دِينُ اللهِ، وَالَّذِي يَدعُو إِلَى نَفسِهِ: هُوَ الَّذِي يُرِيدُ أَن يَكُونَ قَولُهُ هُوَ المَقبُولَ، حَقًّا كَانَ أَم بَاطِلًا[٥].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الدَّاعِي إِلَى اللهِ وَإِلَى دِينِهِ: لَهُ طَرِيقٌ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مَقصُودِهِ، وَلَهُ مَقصُودَانِ: فَطَرِيقُهُ الدَّعوَةُ بِالحَقِّ إِلَى الحَقِّ لِلحَقِّ، فَإِذَا اجتَمَعَت هَذِهِ الثَّلَاثَةُ، بِأَن كَانَ يَدعُو بِالحَقِّ، أَي: بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ

---

(١) «التمهيد» (١٨/ ٣٤١). (٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٤٥٤).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٧٤).

(٤) «الملخص في شرح كتاب التوحيد» (ص٥٢ - ٥٣).

(٥) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ١٣٩).

الحَسَنَةِ، وَالمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ، وَكَانَ يَدعُو إِلَى الحَقِّ، وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ تَعَالَى وَصِرَاطُهُ المُوصِلُ لِسَالِكِهِ إِلَى كَرَامَتِهِ، وَكَانَت دَعوَتُهُ لِلحَقِّ، أَي: مُخلِصًا للَّهِ تَعَالَى، قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجهَ اللَّهِ، حَصَلَ لَهُ أَحَدُ المَقصُودَينِ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ ثَوَابُ الدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ، وَأَجرُ وَرَثَةِ الرُّسُلِ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِهِ مِن ذَلِكَ. وَأَمَّا المَقصُودُ الآخَرُ، وَهُوَ حُصُولُ هِدَايَةِ الخَلقِ وَسُلُوكُهُم لِسَبِيلِ اللَّهِ الَّذِي دَعَاهُم إِلَيهِ، فَهَذَا قَد يَحصُلُ وَقَد لَا يَحصُلُ؛ فَلْيَجتَهِدِ الدَّاعِي فِي تَكمِيلِ الدَّعوَةِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَلْيَستَبشِر بِحُصُولِ الأَجرِ وَالثَّوَابِ.

وَإِذَا لَم يَحصُلِ المَقصُودُ الثَّانِي، وَهُوَ هِدَايَةُ الخَلقِ، أَو حَصَلَ مِنهُم مُعَارَضَةٌ أَو أَذِيَّةٌ لَهُ بِالقَولِ أَو بِالفِعلِ، فَلْيَصبِر وَيَحتَسِب، وَلَا يُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ تَركَ مَا يَنفَعُهُ، وَهُوَ القِيَامُ بِالدَّعوَةِ عَلَى وَجهِ الكَمَالِ، وَلَا يَضِيقُ صَدرُهُ بِذَلِكَ، فَتَضعُفَ نَفسُهُ وَتَحضُرَهُ الحَسَرَاتُ، بَل يَقُومَ بِجِدٍّ وَاجتِهَادٍ، وَلَو حَصَلَ مَا حَصَلَ مِن مُعَارَضَةِ العِبَادِ. وَهَذَا المَعنَى تَضَمَّنَهُ إِرشَادُ اللَّهِ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ ﴾ [هود].

فَأَمَرَهُ بِالقِيَامِ بِهِ بِجِدٍّ وَاجتِهَادٍ، مُكمِلًا لِذَلِكَ، غَيرَ تَارِكٍ لِشَيءٍ مِنهُ، وَلَا حَرَجَ صَدرِهِ لِأَذِيَّتِهِم، وَهَذِهِ وَظِيفَتُهُ الَّتِي يُطَالَبُ بِهَا، فَعَلَيهِ أَن يَقُومَ بِهَا؛ وَأَمَّا هِدَايَةُ العِبَادِ وَمُجَازَاتُهُم: فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، الَّذِي هُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ[1].

٢٠ الإِخلَاصُ فِي التَّوبَةِ:

بِأَن يَكُونَ الإِنسَانُ مُخلِصًا فِيهَا للَّهِ ﷻ، لَا يَحمِلُهُ عَلَى

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٢٤).

التَّوبَةِ: مُراءَاةُ النَّاسِ، وَلَا تَسمِيعُهُم، وَلَا أَن يَتقَرَّبَ إِلَيهِم بِشَيءٍ، وَإِنَّمَا يَقصِدُ بِالتَّوبَةِ: الرُّجُوعَ إِلَى اللهِ حَقِيقَةً؛ وَالإِخلَاصُ شَرطٌ فِي كُلِّ عَمَلٍ، وَمِن جُملَةِ الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ: التَّوبَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور][1].

٢١ الإِخلَاصُ فِي قِيَامِ اللَّيلِ:

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: تَأَمَّل كَيفَ قَابَلَ مَا أَخفَوهُ مِن قِيَامِ اللَّيلِ بِالجَزَاءِ الَّذِي أَخفَاهُ لَهُم؟! مِمَّا لَا تَعلَمُهُ نَفسٌ، وَكَيفَ قَابَلَ قَلَقَهُم وَخَوفَهُم وَاضطِرَابَهُم عَلَى مَضَاجِعِهِم؟! حَتَّى يَقُومُوا إِلَى صَلَاةِ اللَّيلِ بِقُرَّةِ الأَعيُنِ فِي الجَنَّةِ[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **«أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة][3].

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٤٩٨)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) «حادي الأرواح» (٢/ ٥٩٣).
(٣) رواه البخاري (٣٢٤٤ و٤٧٧٩ و٤٧٨٠ و٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤).

﴿٢٢﴾ الإخلاص في التَّواضع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «... **وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[١].

التَّوَاضُعُ: وَهُوَ انْكِسَارُ الْقَلْبِ للهِ، وَخَفْضُ جَنَاحِ الذُّلِّ وَالرَّحْمَةِ بِعِبَادِهِ، فَلَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ فَضلًا، وَلَا يَرَى لَهُ عِندَ أَحَدٍ حَقًّا، بَل يَرَى الفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيهِ، وَالحُقُوقَ لَهُم قَبلَهُ، وَهَذَا خُلُقٌ إِنَّمَا يُعطِيهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَن يُحِبُّهُ وَيُكرِمُهُ وَيُقَرِّبُهُ[٢].

فَهُوَ فِي نَفسِهِ صَغِيرٌ، وَفِي أَعيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ[٣]. فَتَوَاضَعَ لِلحَقِّ، وَخَفَضَ جَنَاحَهُ لِلمُؤمِنِينَ[٤].

وَمَن كَانَ كَذَلِكَ، رَفَعَ اللهُ تَعَالَى قَدرَهُ فِي القُلُوبِ، وَطَيَّبَ ذِكرَهُ فِي الأَفوَاهِ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ فِي الآخِرَةِ. وَأَمَّا التَّوَاضُعُ لِأَهلِ الدُّنيَا، وَلِأَهلِ الظُّلمِ، فَذَلِكَ هُوَ الذُّلُّ الَّذِي لَا عِزَّ مَعَهُ، وَالخِسَّةُ الَّتِي لَا رِفعَةَ مَعَهَا، بَل: يَتَرَتَّبُ عَلَيهَا ذُلُّ الآخِرَةِ، وَكُلُّ صَفقَةٌ خَاسِرَةٌ - نَعُوذُ بِاللهِ مِن ذَلِكَ -[٥].

مِن فَوَائِدِ الحَدِيثِ: مُرَاعَاةُ الإِخلَاصِ، وَأَنَّ الإِخلَاصَ لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي حُصُولِ الثَّوَابِ؛ وَمِن فَوَائِدِهِ: أَنَّ الأَمرَ كُلَّهُ للهِ، وَأَنَّ مَن رَفَعَهُ اللهُ، لَا خَافِضَ لَهُ؛ وَمَن وَضَعَهُ، فَلَا رَافِعَ لَهُ[٦].

---

(١) قطعة من حديث: أخرجه مسلم (٢٥٨٨).
(٢) «الروح» (ص ٣١٢).
(٣) «المجموعة الكاملة» (٦/ ١١٤).
(٤) المصدر السابق (٦/ ١٥٩).
(٥) «المفهم» (٦/ ٥٧٥).
(٦) «شرح بلوغ المرام» (٦/ ٣٨٨) باختصار وتصرُّف، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِن آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حَكَمَةٌ**[1] **بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلمَلَكِ: ارفَع حَكَمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلمَلَكِ: ضَع حَكَمَتَهُ**»[2].

فَالمُتَكَبِّرُ الَّذِي يَطلُبُ الِاستِعلَاءَ، يُعَاقَبُ بِأَن يَخفِضَهُ اللَّهُ وَيَنكُسَهُ؛ وَالمُتَوَاضِعُ الَّذِي يَتَوَاضَعُ لِلَّهِ، يُثِيبُهُ اللَّهُ بِأَن يُنعِشَهُ وَيَرفَعَهُ[3].

قَالَ شَيخُ الإِسلَام ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: «قَوْلُهُ ﷺ: «**مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**»؛ فَلَوْ تَوَاضَعَ لِيَرْفَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، لَمْ يَكُنْ مُتَوَاضِعًا، فَإِنَّهُ يَكُونُ مَقْصُودُهُ الرِّفْعَةَ، وَذَلِكَ يُنَافِي التَّوَاضُعَ»[4].

يَعْنِي: أَنَّ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ إِرَادَةُ وَجْهِهِ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ حَصَلَتِ [الرِّفعَةُ] تبَعًا، فَإِذَا كَانَتِ [الرِّفعَةُ] هِيَ المَقْصُودَ ابْتِدَاءً، لَمْ يَقَعِ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّمَا وَقَعَ مَا يَظُنُّ أَنَّهُ إِخْلَاصٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ[5].

وَقَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رحمه الله: «وَفِي قَولِهِ ﷺ: «**مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ**» تَنبِيهٌ عَلَى حُسنِ القَصدِ وَالإِخلَاصِ لِلَّهِ فِي تَوَاضُعِهِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَد يُظهِرُ التَّوَاضُعَ لِلأَغنِيَاءِ لِيُصِيبَ مِن دُنيَاهُم، أَو لِلرُّؤَسَاءِ لِيَنَالَ بِسَبَبِهِم مَطلُوبَهُ، وَقَد يُظهِرُ التَّوَاضُعَ رِيَاءً وَسُمعَةً، وَكُلُّ هَذِهِ أَغرَاضٌ

---

(١) الحَكَمَةُ: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه، وفيها العِذاران؛ وهما من الفرس كالعارضين من وجه الإنسان.

(٢) رواه الطبراني (١٢٩٣٩)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٩٥).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٧٠) بتصرُّف يسير، لشيخ الإسلام رحمه الله.

(٤) «كتاب بيان الدليل على بطلان التحليل» (ص ٤١٠)، لشيخ الإسلام رحمه الله.

(٥) المصدر السابق، بتصرُّف يسير.

فَاسِدَةٌ، لَا يَنفَعُ العَبدَ إِلَّا التَّوَاضُعُ للهِ تَقَرُّبًا إِلَيهِ، وَطَلَبًا لِثَوَابِهِ، وَإِحسَانًا إِلَى الخَلقِ، فَكَمَالُ الإِحسَانِ وَرُوحُهُ الإِخلَاصُ للهِ»[١].

قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ اللهُ: «فَمَن تَوَاضَعَ للهِ؛ رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَهَذَا أَمرٌ مُشَاهَدٌ: أَنَّ الإِنسَانَ المُتَوَاضِعَ، يَكُونُ مَحَلَّ رِفعَةٍ عِندَ النَّاسِ وَذِكرٍ حَسَنٍ، وَيُحِبُّهُ النَّاسُ»[٢].

وَالإِنسَانُ رُبَّمَا يَقُولُ: لَو تَوَاضَعتُ لِلفَقِيرِ وَكَلَّمتُ الفَقِيرَ، أَو تَوَاضَعتُ لِلصَّغِيرِ وَكَلَّمتُهُ أَو مَا أَشبَهَ ذَلِكَ، فَرُبَّمَا يَكُونُ فِي هَذَا وَضعٌ لِي، وَحَطٌّ مِن رُتبَتِي، وَلَكِن هَذَا مِن وَسَاوِسِ الشَّيطَانِ، فَالشَّيطَانُ يَدخُلُ عَلَى الإِنسَانِ فِي كُلِّ شَيءٍ... فَالشَّيطَانُ يَأتِي الإِنسَانَ وَيَقُولُ لَهُ: كَيفَ تَتَوَاضَعُ لِهَذَا الفَقِيرِ؟ كَيفَ تَتَوَاضَعُ لِهَذَا الصَّغِيرِ؟ كَيفَ تُكَلِّمُ فُلَانًا؟ كَيفَ تَمشِي مَعَ فُلَانٍ؟ وَلَكِن مَن تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى وَإِن كَانَ عَالِمًا أَو كَبِيرًا أَو غَنِيًّا، فَإِنَّهُ يَنبَغِي أَن يَتَوَاضَعَ لِمَن كَانَ مُؤمِنًا[٣].

كُن مُتَوَاضِعًا، وَتَذَكَّر دَائِمًا الحَدِيثَينِ التَّالِيَينِ:

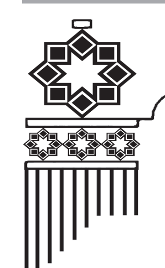
١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ، مِثْلُ الْجَمَلِ الْأَنِفِ: إِنْ قُدْتَهُ انْقَادَ، وَإِنْ أَنَخْتَهُ اسْتَنَاخَ**»[٤].

٢- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ سَهلًا لَيِّنًا قَرِيبًا، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»[٥].

---

(١) «المجموعة الكاملة» (٢/ ٧٦).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٥٢٦).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٤٣)، بتصرُّف يسير.
(٤) رواه البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٧٧٧٨)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٩٣٦).
(٥) رواه أبو يعلى (٥٠٦٠)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٩٣٨).





قَوادِحُ الإِخلاصِ وعِلاجُها

قَبلَ البَدءِ بِذِكرِ قَوادِحِ الإخلَاصِ، يَنبَغِي أَن يُعلَمَ بِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي النُّفُوسِ أَغرَاضٌ تَمنَعُ الأَعمَالَ أَن تكُونَ للهِ خَالِصَةً، وَأَن تَصِلَ إِلَيهِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَعمَلُ العَمَلَ حَيثُ لَا يَرَاهُ بَشَرٌ أَلبَتَّةَ، وَهُوَ غَيرُ خَالِصٍ للهِ، وَيَعمَلُ العَمَلَ وَالعُيُونُ قَدِ استَدَارَت عَلَيهِ نِطَاقًا، وَهُوَ خَالِصٌ لِوَجهِ اللهِ، وَلَا يُمَيِّزُ هَذَا إِلَّا أَهلُ البَصَائِرِ وَأَطِبَّاءُ القُلُوبِ، العَالِمُونَ بِأَدوَائِهَا وَعِلَلِهَا.

فَلَا يَتعَبُ المُخلِصُ، فقَد أُقِيمَ عَلَى الصِّرَاطِ المُستَقِيم، فَيُسَارُ بِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ، وَلَا يَتعَبُ مَنْ حُرِمَ الإِخلَاصَ، فَقَد قُطِعَت عَلَيهِ الطَّرِيقُ، وَاستَهوَتهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرضِ حَيرَانَ، فَإِن شَاءَ فَليَعمَل، وَإِن شَاءَ فَليَترُك، فَلَا يَزِيدُهُ عَمَلُهُ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعدًا.

فَإِنَّ طَرِيقَ الإِخلَاصِ تَأخُذُ عُلُوًّا، صَاعِدَةً بِصَاحِبِهَا إِلَى العَلِيِّ الكَبِيرِ؛ وَطَرِيقُ الرِّيَاءِ تَأخُذُ سُفلًا، هَاوِيَةً بِسَالِكِهَا فِي أَسفَلِ سَافِلِينَ.

قَالَ ابنُ قُدَامَةَ المَقدِسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَاحتَرِس مِن مُفسِدَاتِ الأَعمَالِ؛ لِئَلَّا يَفسُدَ عَمَلُكَ، وَيَخِيبَ سَعيُكَ؛ فَلَا تَحصُلَ عَلَى أَجرِ العَامِلِينَ، وَلَا رَاحَةِ البَطَّالِينَ، وَتَفُوتَكَ الدُّنيَا وَالآخِرَةُ»(١).

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمُحبِطَاتُ الأَعمَالِ وَمُفسِدَاتُهَا أَكثَرُ مِن

---

(١) «وصية ابن قدامة المقدسي» (ص٢٣).

أَن تُحصَرَ، وَلَيسَ الشَّأنُ فِي العَمَلِ، إِنَّمَا الشَّأنُ فِي حِفظِ العَمَلِ مِمَّا يُفسِدُهُ وَيُحبِطُهُ.

فَالرِّيَاءُ - وَإِن دَقَّ - مُحبِطٌ لِلعَمَلِ، وَهُوَ أَبوَابٌ كَثِيرَةٌ لَا تُحصَرُ.

فَمَعرِفَةُ مَا يُفسِدُ الأَعمَالَ فِي حَالِ وُقُوعِهَا، وَيُبطِلُهَا وَيُحبِطُهَا بَعدَ وُقُوعِهَا: مِن أَهَمِّ مَا يَنبَغِي أَن يُفَتِّش عَلَيهِ العَبدُ، وَيَحرِصَ عَلَى عِلمِهِ وَيَحذَرَهُ»[١].

فَمِن قَوَادِحِ الإِخلَاصِ:

١ العُجبُ بِالنَّفسِ:

العُجبُ بِالعَمَلِ مِن بَابِ الإِشرَاكِ بِالنَّفسِ، وَهُوَ مُحبِطٌ لِلعَمَلِ.

«وَزَوَالُ الجِبَالِ عَن أَمَاكِنِهَا، أَيسَرُ مِن زَوَالِ العُجبِ عَمَّن بُلِيَ بِهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا صَارَ هَيئَةً رَاسِخَةً، وَمَلَكَةً وَصِفَةً ثَابِتَةً؛ فَإِنَّهُ لَا يَستَقِيمُ لَهُ مَعَهُ عَمَلٌ أَلبَتَّةَ، وَلَا تَزكُو نَفسُهُ مَعَ قِيَامِهَا بِهِ، وَكُلَّمَا اجتَهَدَ فِي العَمَلِ أَفسَدَهُ عَلَيه»[٢].

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلَم أَنَّ الإِخلَاصَ قَد يَعرِضُ لَهُ آفَةُ العُجبِ، فَمَن أُعجِبَ بِعَمَلِهِ حَبِط عَمَلُهُ»[٣].

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**المُهلِكَاتُ ثَلَاثٌ:**

---

(١) «الوابل الصيب» (ص٢٢-٢٣).
(٢) انظر: «فوائد الفوائد» (ص٢٨٨).
(٣) «شرح الأربعين النووية» (ص١٠)، للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِعجَابُ المَرءِ بِنَفسِهِ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ»(١).

فَيَرَى نَفسَهُ أَنَّهُ قد أَدَّى عِبَادَاتٍ، وَأَنَّهُ قَد وَصَلَ إِلَى مَرَاتِبَ بَينَهُ وَبَينَ نَفسِهِ؛ وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِن رُؤيَةِ عَمَلِهِ عِدَّةُ أُمُورٍ، مِنهَا:

مُشَاهَدَتُهُ لِمِنَّةِ اللهِ عَلَيهِ، وَفَضلِهِ وَتَوفِيقِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ بِاللهِ لَا بِنَفسِهِ.

وَأَنَّهُ إِن وَكَلَهُ إِلَى نَفسِهِ هَلَكَ، فَمَا هَلَكَ مَن هَلَكَ إِلَّا حَيثُ وُكِلَ إِلَى نَفسِهِ.

وَأَنَّهُ لَو خُلِّيَ وَنَفسَهُ لَم يَكُن مِن فِعلِهِ الصَّالِحِ شَيءٌ أَلبَتَّةَ، فَإِنَّ النَّفسَ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ؛ طَبعُهَا الكَسَلُ، وَإِيثَارُ الشَّهَوَاتِ، وَالبَطَالَةُ، وَهِيَ مَنبَعُ كُلِّ شَرٍّ، وَمَأوَى كُلِّ سُوءٍ؛ ومَا كَانَ هَكَذَا: لَم يَصدُر مِنهُ خَيرٌ، وَلَا هُوَ مِن شَأنِهِ.

فَالخَيرُ الَّذِي يَصدُرُ مِنهَا: إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللهِ، وَبِهِ، لَا مِنَ العَبدِ، وَلَا بِهِ، كمَا قَالَ تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور]، وَقَالَ تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات]؛ فَهَذَا الحُبُّ وَهَذِهِ الكَرَاهَةُ لَم يَكُونَا فِي النَّفسِ وَلَا بِهَا، وَلِكن هُوَ اللهُ الَّذِي مَنَّ بِهِمَا، فَجَعَلَ العَبدَ بِسَبَبِهِمَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات]، فَهُوَ سُبحَانَهُ عَلِيمٌ بِمَن يَصلُحُ لِهَذَا الفَضلِ وَمَن لَا يَصلُحُ لَهُ، حَكِيمٌ يَضَعُهُ فِي

---

(١) رواه البزّار «البحر الزخّار» (٣٣٦٦)، وحسنه الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٨٠٢).

مَوَاضِعِهِ وَعِندَ أَهلِهِ، لَا يَمنَعُهُ أَهلَهُ، وَلَا يَضَعُهُ عِندَ غَيرِ أَهلِهِ.

أَخِي المُسلِمَ: إِذَا قُمتَ بِطَاعَةٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَاذكُر مِنَّةَ اللهِ عَلَيكَ فِي هَذِهِ الطَّاعَةِ، بِأَن يَسَّرَهَا حَتَّى عَمِلتَهَا؛ ثُمَّ مَعَ جَلَالَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَاستِغنَائِهِ عَنكَ وَعَن طَاعَتِكَ، وَكَثرَةِ نِعَمِهِ عَلَيكَ: أَعَدَّ لَكَ عَلَى هَذَا العَمَلِ اليَسِيرِ، الثَّنَاءَ الجَزِيلَ وَالثَّوَابَ العَظِيمَ، مَا لَا تَستَحِقُّهُ، ثُمَّ شَكَرَكَ عَلَى ذَلِكَ وَأَثنَى عَلَيكَ، هَذِهِ كُلُّهَا بِفَضلِهِ العَظِيمِ لَا غَيرِ. فَاذكُر مِنَّةَ رَبِّكَ الكَرِيمِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فِيمَا أَحسَنَ إِلَيكَ فِي هَذِهِ الطَّاعَةِ، وَاستَحيِ مِن أَن تَلتَفِتَ إِلَى عَمَلِكَ، بَلِ الفَضلُ وَالمِنَّةُ للهِ تَعَالَى عَلَينَا بِكُلِّ حَالٍ، فَلَا يَكُونُ لَكَ شُغلٌ بَعدَ حُصُولِ هَذِهِ الطَّاعَةِ، إِلَّا التَّضَرُّعَ وَالابتِهَالَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَن يَتَقَبَّلَهَا. أَمَا تَسمَعُ قَولَ خَلِيلِهِ إِبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمَّا فَرَغَ مِن خِدمَتِهِ فِي بِنَاءِ بَيتِهِ: كَيفَ ابتَهَلَ إِلَيهِ فِي أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيهِ بِالقَبُولِ؟! فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

فَلَئِن مَنَّ عَلَيكَ بِقَبُولِ هَذِهِ البِضَاعَةِ المُزجَاةِ، فَلَقَد أَكمَلَ المِنَّةَ وَأَعظَمَ النِّعمَةَ، وَإِن تَكُنِ الأُخرَى فَيَا لَهَا مِن خُسرَانٍ وَحِرمَانٍ، فَاهتَمَّ وَاشتَغِلْ بِهَذَا الشَّأنِ، فَإِذَا وَاظَبتَ عَلَى مِثلِ هَذَا، وَكَرَّرتَهُ عَلَى قَلبِكَ عِندَ الفَرَاغِ مِنَ طَاعَتِكَ، وَاستَعَنتَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، صَرَفَكَ عَنِ الالتِفَاتِ إِلَى الخَلقِ وَالنَّفسِ، وَشَغَلَكَ عَن مُرَاءَاةٍ وَإِعجَابٍ، وَبَعَثَكَ عَلَى مَحضِ الإِخلَاصِ للهِ تَعَالَى فِي الطَّاعَاتِ، وَالتَّمَسُّكِ بِذِكرِ مِنَّةِ اللهِ تَعَالَى عَلَيكَ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ، وَيَحصُلُ لَكَ أَرجَى طَاعَاتٍ طَاهِرَةٍ لَا عَيبَ فِيهَا، وَخَيرَاتٍ خَالِصَةٍ لَا شَوبَ فِيهَا، وَعِبَادَاتٍ مَقبُولَةٍ لَا نَقصَ فِيهَا، بَل مِثلُ هَذِهِ الطَّاعَةِ، وَإِن حَصَلَت فِي العُمُرِ مَثَلًا مَرَّةً وَاحِدَةً لَا غَيرَ، فَإِنَّهَا بِالحَقِيقَةِ لَكَبِيرَةٌ.

وَإِنَّهَا - وَإِن قَلَّ عَدَدُهَا - لَقَد كَثُرَ مَعنَاهَا وَعَظُمَ قَدرُهَا، وَكَثُرَ نَفْعُهَا وَطَابَ عُقْبَاهَا، وَإِنَّ التَّوفِيقَ لِمِثلِهَا عَزِيزٌ، وَالفَضْلَ بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى العَبْدِ لَكَبِيرٌ. فَأَيُّ سَعيٍ أَكرَمُ مِن سَعيٍ يَشكُرُهُ وَيُثنِي عَلَيهِ رَبُّ العَالَمِينَ، وَأَيُّ بِضَاعَةٍ أَعَزُّ مِن بِضَاعَةٍ اختَارَهَا وَرَضِيَهَا رَبُّ العَالَمِينَ؟!

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنفَعُ العَمَلِ: أَن تَغِيبَ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِالإِخلَاصِ، وَعَن نَفسِكَ بِشُهُودِ المِنَّةِ؛ فَلَا تَرَى فِيهِ نَفسَكَ، وَلَا تَرَى الخَلقَ»[١].

٢ الـــرِّيَـــاءُ:

مِن أَقدَحِ القَوَادِحِ فِي الإِخلَاصِ: الرِّيَاءُ.

الرِّيَاءُ: أَقْبَحُ مَقَامٍ قَامَهُ الإِنْسَانُ[٢]، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ المُنَافِقِينَ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء].

وَهُوَ «خُلُقٌ رَذِيلٌ سَاقِطٌ دَنِيءٌ جِدًّا، مِن أَخلَاقِ المُنَافِقِينَ الأَرذَلِينَ، المُنقَطِعِينَ عَن رَبِّ العَالَمِينَ؛ الَّذِينَ هُم فِي الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ، كَمَا كَانُوا فِي الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ الأَخلَاقِ»[٣].

الرِّيَاءُ مُحبِطٌ لِلأَعمَالِ، مُنَافٍ لِلإِخْلَاصِ، مُبطِلٌ لِلثَّوَابِ، مُوجِبٌ

(١) «الفوائد» (ص١٠٥).
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٢٦٩)، بتصرُّف يسير.
(٣) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨١) بتصرُّف يسير، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

لِلمَقتِ مِنَ الكَبِيرِ المُتَعَالِ، وَهُوَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ المُهلِكَةِ الَّتِي تَسرِي فِي عَمَلِ الإِنسَانِ، سَرَيَانَ الآكِلَةِ فِي الجَسَدِ، دُونَ أَن يَشعُرَ بِهَا وَيَحتَاطَ لَهَا.

خَطَرُهُ عَظِيمٌ، وَشَرُّهُ مُستَطِيرٌ؛ يُطفِئُ نُورَ العِبَادَةِ، كَمَا يُطفِئُ المَاءُ النَّارَ.

وَكَم عَمَلٍ جَمِيلٍ مُستَطَابٍ يُضَيِّعُ أَجرَ صَاحِبِهِ الرِّيَاءُ

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

«فَهَذِهِ الأَعمَالُ الَّتِي كَانَت فِي الدُّنيَا عَلَى غَيرِ سُنَّةِ رُسُلِهِ وَطَرِيقَتِهِم، وَلِغَيرِ وَجهِهِ، يَجعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنثُورًا، وَلَا يَنتَفِعُ مِنهَا صَاحِبُهَا بِشَيءٍ أَصلًا؛ وَهَذَا مِن أَعظَمِ الحَسَرَاتِ عَلَى العَبدِ يومَ القِيَامَةِ: أَن يَرَى سَعيَهُ كُلَّهُ ضَائِعًا لَم يَنتَفِع مِنهُ بِشَيءٍ، وَهُوَ أَحوَجُ مَا كَانَ العَامِلُ إِلَى عَمَلِهِ، وَقَد سَعِدَ أَهلُ السَّعيِ النَّافِعِ بِسَعيِهِم»[1].

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَن لَم تَكُن نِيَّتُهُ صَالِحَةً، وَعَمَلُهُ عَمَلًا صَالِحًا لِوَجهِ اللَّهِ، وإِلَّا كَانَ عَمَلًا فَاسِدًا أَو لِغَيرِ وَجهِ اللَّهِ، وَهُوَ البَاطِلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل]»[2].

قَالَ ابنُ قُدَامَةَ المَقدِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَمَلُ بِغَيرِ نِيَّةٍ عَنَاءٌ، وَالنِّيَّةُ بِغَيرِ إِخلَاصٍ رِيَاءٌ، وَالإِخلَاصُ مِن غَيرِ تَحقِيقٍ هَبَاءٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]»[3].

---

(١) «الرسالة التبوكية» (ص ١٥٤). (٢) «الاستقامة» (٢/ ٢٩٤).

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٤٥٤).

فَيَا شِـدَّةَ الحَسرَةِ! عِندَمَا يُعَايِنُ [الـمُرَائِي] سَعيَهُ، وَكَـدَّهُ هَبَاءً مَنثُورًا[١].

وَهَذِهِ هِيَ المُصِيبَةُ الَّتِي لَا تُجبَرُ، عِيَاذًا بِاللَّهِ، وَاستِعَانَةً بِهِ وَافتِقَارًا، وَتَوَكُّلًا عَلَيهِ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ[٢].

كَم مِن مُجتَهِدٍ فِي العِبَادَةِ صَارَ لِلنِّيرَانِ حَطَبًا، وَصَارَت عِبَادَتُهُ هَبَاءً مَنثُورًا؟! لِأَنَّهَا لَم تَكُن خَالِصَةً لِوَجهِ اللَّهِ الكَرِيمِ.

«وَلَا تَكُ بِالأَعمَالِ يَومًا مُرَائِيًا فَإِنَّ الرِّيَا شِركٌ بِنَصِّ الدَّلَائِلِ
فَوَيلٌ لِمَن قَد كَانَ يَعمَلُ بِالرِّيَا بِطَاعَتِهِ لِلَّهِ لَيسَ بِعَامِلِ»[٣]

وَأَسبَابُ الرِّيَاءِ ثَلَاثَةٌ:

الأَوَّلُ: حُبُّ لَذَّةِ الحَمدِ، فَيَعمَلُ العَمَلَ لِأَجلِ أَن يَمدَحَهُ النَّاسُ.

الثَّانِي: الفِرَارُ مِنَ الذَّمِّ، فَيُحسِنُ الصَّلَاةَ، حَتَّى لَا يُقَالَ عَنهُ: فُلَانٌ يُسرِعُ فِي صَلَاتِهِ مَثَلًا، فَيَنجُو مِن ذَمِّ النَّاسِ.

الثَّالِثُ: الطَّمَعُ فِيمَا أَيدِي النَّاسِ.

وَيَشهَدُ لِهَذَا: مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[٤].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٧)، بتصرُّف يسير. (٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٦٤- ٢٦٥).
(٣) «نظم الجوهر في النواهي والأوامر» (ص٢٣).
(٤) رواه البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤).

فَمَعنَى قَولِ السَّائِلِ: «**يُقَاتِلُ شَجَاعَةً**»، أَي: لِيُذكَرَ وَيُحمَدَ.

وَمَعنَى قَولِهِ: «**يُقَاتِلُ حَمِيَّةً**»، أَي: يَأنَفُ أَن يُقهَرَ أَو يُذَمَّ.

وَمَعنَى قَولِهِ: «**يُقَاتِلُ رِيَاءً**»، أَي: لِيُرَى مَكَانُهُ(١).

لَقَد وَضَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطُورَةَ الرِّيَاءِ فِي مَقَامَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَبِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ:

أ- الرِّيَاءُ أَخطَرُ عَلَى المُسلِمِينَ مِن فِتنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ:

عَن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَحنُ نَتَذَاكَرُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخبِرُكُم بِمَا هُوَ أَخوَفُ عَلَيكُم عِندِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالَ: قُلنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّركُ الخَفِيُّ: أَن يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِن نَظَرِ رَجُلٍ**»(٢).

وَإِنَّمَا سَمَّاهُ «خَفِيًّا» لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُظهِرُ، أَنَّ عَمَلَهُ للهِ، وَقَد قَصَدَ بِهِ غَيرَهُ، أَو شَرَكَهُ فِيهِ، وَزَيَّنَ صَلَاتَهُ لِأَجلِهِ(٣).

وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ: أَنَّ الرِّيَاءَ شِركٌ خَفِيٌّ، وَوَجهُ كَونِهِ خَفِيًّا: أَنَّهُ فِي النِّيَّاتِ وَالمَقَاصِدِ وَأَعمَالِ القُلُوبِ، وَهَذِهِ لَا يَعلَمُهَا إِلَّا اللهُ سبحانه وتعالى، لَا أَحَدَ يَعلَمُ النِّيَّاتِ، وَيَعلَمُ المَقَاصِدَ، إِلَّا اللهُ سبحانه وتعالى.

وَفِي الحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى خُطُورَتِهِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَافَهُ عَلَى أَفضَلِ

---

(١) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٢٨٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسَّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٠٨) [طبعة مكتبة المعارف].

(٣) «الدين الخالص» (٢/ ٣٨٥).

هَذِهِ الأُمَّةِ وَهُمُ الصَّحَابَةُ، فَكَيفَ بِغَيرِهِم؟! وَأَنَّهُ ﷺ يَخَافُهُ عَلَيهِم أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ عَلَيهِم مِن فِتنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لِأَنَّهُ قَلَّ مَن يَسلَمُ مِنهُ.

أَمَّا المَسِيحُ الدَّجَّالُ مَعَ عِظَمِ فِتنَتِهِ - وَقَانَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِن فِتنَتِهِ -: فَإِنَّمَا ضَرَرُهُ عَلَى الَّذِينَ يُعَاصِرُونَهُ وَيَخرُجُ وَهُم أَحيَاءٌ، أَمَّا الرِّيَاءُ: فَهَذَا خَطَرُهُ عَلَى الجَمِيعِ فِي كُلِّ عَصرٍ، [وَ]فِي كُلِّ وَقتٍ[1].

وَأَيضًا فَإِنَّ «أَمرَ المَسِيحِ أَمرٌ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ مَا فِي شَأنِهِ، وَبَيَّنَ صِفَتَهُ، وَحَذَّرَ الأُمَّةَ مِنهُ، وَأَمَرَهُم بِأَن يَدعُوا آخِرَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَأَن يَستَعِيذُوا مِن فِتنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ أَمَّا الرِّيَاءُ: فَإِنَّهُ يَعرِضُ لِلقَلبِ كَثِيرًا، وَالشَّيطَانُ يَأتِي إِلَى القُلُوبِ. وَهَذَا الشِّركُ يَقُودُ العَبدَ إِلَى أَن يَتَخَلَّى شَيئًا فَشَيئًا عَن مُرَاقَبَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَتَّجِهَ إِلَى مُرَاقَبَةِ المَخلُوقِينَ؛ لِذَلِكَ صَارَ أَخوَفَ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَينَا مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[2].

فَلَا غَرَابَةَ أَن يَخَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ: مِن دَاءِ الرِّيَاءِ، وَقَصدِ السُّمعَةِ وَالمَدحَةِ؛ فَإِنَّ الإِخلَاصَ فِي العَمَلِ، لَا يُوَفَّقُ لَهُ إِلَّا القَلِيلُ مِن أَهلِ الإِيمَانِ الرَّاسِخِ، الَّذِينَ يُؤتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ أَنَّهُم إِلَى رَبِّهِم رَاجِعُونَ[3].

ب- الرِّيَاءُ هُوَ الشِّركُ الخَفِيُّ:

عَن مَحمُودِ بنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخوَفَ**

---

(١) «إعانة المستفيد» (٢/ ٩٦).

(٢) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٤٠١ - ٤٠٢).

(٣) «الأفنان النديَّة» (٦/ ٤٤٠).

مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ الشِّركُ الأَصغَرُ». قَالُوا: وَمَا الشِّركُ الأَصغَرُ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُم يَومَ القِيَامَةِ، إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعمَالِهِم: اذهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُم تُرَاؤُونَ فِي الدُّنيَا، فَانظُرُوا هَل تَجِدُونَ عِندَهُم جَزَاءً؟!»**[1].

يَعنِي: أَنَّهُ يُبطِلُ أَعمَالَ المُرَائِينَ، وَأَنَّهُ يُحِيلُهُم عَلَى الَّذِينَ رَاءَوهُم فِي الدُّنيَا، فَيُقَالُ: انظُرُوا:

هَل يُثِيبُونَكُم، أَي: أُولَئِكَ الَّذِينَ تَزَيَّنتُم عِندَهُم، وَرَائَيتُمُوهُم فِي الدُّنيَا؟!

هَل تَجِدُونَ عِندَهُم ثَوَابًا؟!

هَل تَجِدُونَ عِندَهُم جَزَاءً عَلَى أَعمَالِكُم؟![2]

وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَكُلُّ امرِىءٍ يَومًا سَيُعرَفُ سَعيُهُ   إِذَا حُصِّلَت عِندَ الإِلَهِ الحَصَائِلُ[3]

وَالرِّيَاءُ مَعنَاهُ: أَنَّ الإِنسَانَ يَتَصَنَّعُ أَمَامَ النَّاسِ بِالتَّقوَى، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِتقَانِ الصَّلَاةِ، وَغيرِ ذَلِكَ، مِن أَجلِ أَن يَمدَحُوهُ؛ فَالرِّيَاءُ مِنَ الرُّؤيَةِ: أَن يُحِبَّ الإِنسَانُ أَن يَرَاهُ النَّاسُ، وَهُوَ يَعمَلُ العَمَلَ الصَّالِحَ، مِن أَجلِ أَن يَمدَحُوهُ[4].

وَالفَرقُ بَينَ الرِّيَاءِ وَالسُّمعَةِ: أَنَّ الرِّيَاءَ فِيمَا يُرَى مِنَ الأَعمَالِ الَّتِي ظَاهِرُهَا للهِ، وَبَاطِنُهَا لِغَيرِهِ، كَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ. أَمَّا السُّمعَةُ:

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢).

(٢) «منهاج المسلم» (ص ١٨٧)، للعلَّامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله.

(٣) «إصلاح المجتمع» (ص١١).

(٤) «إعانة المستفيد» (١/ ٩٦).

فَهِيَ لِمَا يُسمَعُ مِنَ الأَقوَالِ الَّتِي ظَاهِرُهَا للهِ، وَالقَصدُ مِنهَا لِغَيرِ اللهِ، كَالقِرَاءَةِ وَالذِّكرِ وَالوَعظِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَقوَالِ؛ وَقَصدُ المُتَكَلِّمِ: أَن يَسمَعَ النَّاسُ كَلَامَهُ، فَيُثنُوا عَلَيهِ، وَيَقُولُوا: هُوَ جَيِّدٌ فِي الكَلَامِ، جَيِّدٌ فِي المُحَاوَرَةِ، جَيِّدٌ فِي الخُطبَةِ، إِنَّهُ حَسَنُ الصَّوتِ فِي القُرآنِ، إِذَا كَانَ يُحَسِّنُ صَوتَهُ بِالقُرآنِ، لِأَجلِ ذَلِكَ؛ فَإِذَا كَانَ يُلقِي المُحَاضَرَاتِ وَالنَّدَوَاتِ وَالدُّرُوسَ، مِن أَجلِ أَن يَمدَحَهُ النَّاسُ، فَهَذَا سُمعَةٌ[1].

وَالرِّيَاءُ شِركٌ خَفِيٌّ، لِأَنَّ الشِّركَ عَلَى نَوعَينِ: شِركٍ ظَاهِرٍ وَشِركٍ خَفِيٍّ، الشِّركُ الظَّاهِرُ: الَّذِي يَتَمَثَّلُ فِي الأَعمَالِ وَالأَقوَالِ، بِأَن يَدعُوَ غَيرَ اللهِ، أَو يَذبَحَ لِغَيرِ اللهِ، أَو يَستَغِيثَ بِغَيرِ اللهِ، هَذَا ظَاهِرٌ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَسمَعُونَهُ؛ لَكِن هُنَاكَ شِركٌ خَفِيٌّ لَا يَدرِي عَنهُ النَّاسُ، لِأَنَّهُ فِي القَلْبِ، لَا يَعلَمُهُ إِلَّا اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ الشِّركُ فِي النِّيَّةِ وَالإِرَادَةِ؛ فَالإِنسَانُ إِذَا سَلِمَ مِنَ الشِّركِ الأَكبَرِ، فَإِنَّهُ قَد لَا يَسلَمُ مِنَ الشِّركِ الأَصغَرِ الَّذِي يَكُونُ فِي القُلُوبِ، وَهَذَا مِمَّا يُعطِي المُؤمِنَ الحَذَرَ الشَّدِيدَ[2].

فَهَذَا الحَدِيثُ: فِيهِ الخَوفُ مِنَ الشِّركِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَافَهُ عَلَى سَادَاتِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ، وَعَلَى أَفضَلِ هَذِهِ الأُمَّةِ: مَعَ كَمَالِ عِلمِهِم، وَقُوَّةِ إِيمَانِهِم، وَغَايَةِ عَمَلِهِم، وَصِحَّةِ نِيَّتِهِم؛ فَكَيفَ لَا يَخَافُهُ مَن هُوَ دُونَهُم فِي العِلمِ وَالإِيمَانِ، وَالعَمَلِ، وَالنِّيَّةِ بِمَرَاتِبَ؟![3]

فَتَأَمَّل - يَا هَذَا - فِي حَالِكَ، وَاعلَم أَنَّ إِلَى اللهِ مَصِيرَكَ، فَمَن

---

(١) «إعانة المستفيد» (٢/ ٩٠). (٢) المصدر السابق (١/ ٩٧).

(٣) «الدين الخالص» (١/ ٤١٩).

نَصِيرُكَ؟ وَفِي القَبرِ مَقِيلُكَ، فَمَا قِيلُكَ؟[(١)]

ج- الرِّيَاءُ مُحبِطٌ للأَعمَالِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالى: أَنَا أَغنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيرِي، تَرَكتُهُ وَشِركَهُ**»[(٢)].

لَمَّا كَانَ المُرَائِي قَاصِدًا بِعَمَلِهِ اللَّهَ تَعَالَى وَغَيرَهُ، كَانَ قَد جَعَلَ اللَّهَ تَعَالَى شَرِيكًا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الغَنِيُّ عَلَى الإِطلَاقِ، وَالشُّرَكَاءُ بَل جَمِيعُ الخَلقِ فُقَرَاءُ إِلَيهِ بِكُلِّ اعتِبَارٍ، فَلَا يَلِيقُ بِكَرَمِهِ وَغِنَاهُ التَّامِّ: أَن يَقبَلَ العَمَلَ الَّذِي جُعِلَ لَهُ فِيهِ شَرِيكٌ، فَإِنَّ كَمَالَهُ تبارك وتعالى وَكَرَمَهُ وَغِنَاهُ: يُوجِبُ أَن لَا يَقبَلَ ذَلِكَ[(٣)].

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رحمه الله: «وَقَد يُحبَطُ العَمَلُ بِآفَةٍ: مِن رِيَاءٍ، أَو عُجبٍ بِهِ، وَنَحوِ ذَلِكَ، ولَا يَشعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ»[(٤)].

د- الرِّيَاءُ سَبَبٌ لِدُخُولِ النَّارِ:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ**

(١) «الدين الخالص» (٢/ ٣٨٦).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).
(٣) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٢٧).
(٤) «المحجة في سير الدلجة» (ص٩٦).

نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

فَإِذَا سَمِعتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ هَذَا الحَدِيثَ، العَظِيمَ نَبَؤُهُ، الكَبِيرَ خَطَرُهُ، الأَلِيمَ أَثَرُهُ، الَّذِي تَطِيرُ لَهُ القُلُوبُ وَتَحِيرُ لَهُ العُقُولُ، وَتَضِيقُ عَن حَملِهِ الصُّدُورُ، وَتَجزَعُ مِن هَولِهِ النُّفُوسُ، فَاعتَصِم بِمَولَاكَ إِلَـٰهِ العَالَمِينَ، وَالزَم البَابَ بِالتَّضَرُّعِ وَالابتِهَالِ وَالبُكَاءِ آنَاءَ اللَّيلِ وَأَطرَافَ النَّهَارِ مَعَ المُتَضَرِّعِينَ المُبتَهِلِينَ، فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنَ الرِّيَاءِ إِلَّا بِرَحمَتِهِ وَتَوفِيقِهِ وَعِنَايَتِهِ، فَتَنَبَّه مِن رَقدَةِ الغَافِلِينَ، وَاعقِلِ الأَمرَ حَقَّهُ، وَجَاهِد نَفسَكَ عَلَى الإِخلَاصِ لَعَلَّكَ لَا تَهلَكُ مَعَ الهَالِكِينَ.

هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ «انظُر إِلَى أَعمَالِهِم مَا أَجمَلَهَا! وَانظُر إِلَى مَصِيرِهِم مَا أَقبَحَهُ! وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِفَسَادِ قُلُوبِهِم، وَخُبثِ ضَمَائِرِهِم، وَعَدَمِ إِخلَاصِهِم لِلَّهِ فِي أَعمَالِهِم»[2].

هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ قَامُوا بِأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ جَلِيلَةٍ، وَلَمَّا لَمْ يُطَهِّرُوا قُلُوبَهُم

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) «الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ» (ص٥٣).

مِنَ الرِّيَاءِ، كَانَ مَصِيرُهُمُ النَّارَ يَومَ القِيَامَةِ.

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الرِّيَاءَ وَالسُّمعَةَ، هُم بِإِزَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ بَعدَ النَّبِيِّينَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

فَإِنَّ مَنْ تَعَلَّمَ العِلْمَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَعَلَّمَهُ لِوَجْهِ اللَّهِ، كَانَ صِدِّيقًا؛ وَمَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، وَقُتِلَ كَانَ شَهِيدًا؛ وَمنْ تَصَدَّقَ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللَّهِ، كَانَ صَالِحًا»[١].

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَمَا أَنَّ خِيَارَ خَلقِ اللَّهِ هُمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، فَشِرَارُ الخَلقِ مَن تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم. فَمَن تَشَبَّهَ بِأَهلِ الصِّدقِ وَالإِخلَاصِ وَهُوَ مُرَاءٍ، كَمَن تَشَبَّهَ بِالأَنبِيَاءِ وَهُوَ كَاذِبٌ»[٢].

وَقَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوَّلُ مَن تُسَعَّرُ بِهِ النَّارُ مِنَ المُوَحِّدِينَ: العِبَادُ المُرَاؤُونَ بِأَعمَالِهِم، وَأَوَّلُهُمُ العَالِمُ وَالمُجَاهِدُ وَالمُتَصَدِّقُ لِلرِّيَاءِ، لِأَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِركٌ.

مَا نَظَرَ المُرَائِي إِلَى الخَلقِ بِعَمَلِهِ، إِلَّا لِجَهلِهِ بِعَظَمَةِ الخَالِقِ»[٣].

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَولُهُ ﷺ فِي الغَازِي وَالعَالِمِ وَالجَوَادِ، وَعِقَابُهُم عَلَى فِعلِهِم ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَإِدخَالُهُمُ النَّارَ: دَلِيلٌ عَلَى تَغلِيظِ تَحرِيمِ الرِّيَاءِ، وَشِدَّةِ عُقُوبَتِهِ، وَعَلَى الحَثِّ عَلَى وُجُوبِ الإِخلَاصِ فِي الأَعمَالِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ

(١) شرح حديث: «لَا يَزنِي الزَّانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ» (ص٤٧)، لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «عدة الصابرين» (ص٢٠٥). (٣) «كلمة الإخلاص» (ص٤٦).

﴿ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]؛ وَفِيهِ أَنَّ العُمُومَاتِ الْوَارِدَةَ فِي فَضلِ الجِهَادِ: إِنَّمَا هِيَ لِمَن أَرَادَ اللهَ تَعَالَى بِذَلِكَ مُخلِصًا، وَكَذَلِكَ الثَّنَاءُ عَلَى العُلَمَاءِ، وَعَلَى المُنفِقِينَ فِي وُجُوهِ الخَيرَاتِ: كُلُّهُ مَحمُولٌ عَلَى مَن فَعَلَ ذَلِكَ، للهِ تَعَالَى مُخلِصًا»[1].

وَقَالَ صِدِّيقُ حَسَنِ خَانَ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا الحَدِيثُ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ فِعلَ الطَّاعَاتِ العَظِيمَةِ مَعَ سُوءِ النِّيَّةِ، مِن أَعظَمِ الوَبَالِ عَلَى فَاعِلِهِ. فَإِنَّ الَّذِي أَوجَبَ سَحبَهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجهِهِ: هُوَ فِعلُ تِلكَ الطَّاعَةِ المَصحُوبَةِ بِتِلكَ النِّيَّةِ الفَاسِدَةِ. وَكَفَى بِهَذَا رَادِعًا، لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

اللَّهُمَّ! إِنَّا نَسأَلُكَ صَلَاحَ النِّيَّةِ، وَخُلُوصَ الطَّوِيَّةِ»[2].

وَقَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الحَذَرَ الحَذَرَ مِن طَلَبِ العِلمِ لِلأَغرَاضِ الفَاسِدَةِ وَالمَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ: مِنَ المُبَاهَاةِ، وَالمُمَارَاةِ، وَالرِّيَاءِ، وَالسُّمعَةِ، وَأَن يَجعَلَهُ وَسِيلَةً لِلأُمُورِ الدُّنيَوِيَّةِ وَالرِّيَاسَةِ؛ فَلَيسَت هَذِهِ حَالُ أَهلِ العِلمِ، الَّذِينَ هُم أَهلُهُ فِي الحَقِيقَةِ. وَمَن طَلَبَ العِلمَ، أَوِ استَعمَلَهُ فِي أَغرَاضِهِ السَّيِّئَةِ، فَلَيسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ»[3].

«فَمَن أَرَادَ الدُّنيَا وَنَعِيمَهَا وَمَلَذَّاتِهَا [وَآثَرَهَا عَلَى نَعِيمِ الآخِرَةِ]، فَإِنَّهُ قَد يَنَالُهَا، وَلَكِنَّهُ حِينَئِذٍ مُطَالَبٌ بِأَن يُعِدَّ نَفسَهُ لِلنَّارِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، أَيًّا كَانَ عَمَلُهُ!

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٥٠-٥١).
(٢) «السراج الوهاج» (٦/ ٥٠٩). (٣) «المجموعة الكاملة» (٧/ ٤٥٣).

فَلَو كَانَ مُجَاهِدًا لِلكُفَّارِ، وَأُزهِقَت رُوحُهُ فِي القِتَالِ، وَلَم يَكُن للهِ مُخلِصًا؛ فَليَنتَظِرِ النَّارَ!

وَلَو كَانَ حَافِظًا لِلقُرآنِ، وَمُتَفَقِّهًا فِي شَرِيعَةِ رَبِّ الأَنَامِ، وَدَاعِيَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى الإِسلَامِ، وَلَم يَكُن للهِ مُخلِصًا؛ فَليَنتَظِرِ النَّارَ!

وَلَو كَانَ مِنَ الأَثرِيَاءِ، وَأَنفَقَ كُلَّ مَالِهِ عَلَى المَسَاكِينِ وَالفُقَرَاءِ، وَتَعلِيمِ المُسلِمِينَ شَرِيعَةَ اللهِ السَّمحَاءَ، وَلَم يَكُن للهِ مُخلِصًا؛ فَليَنتَظِرِ النَّارَ!»[(١)].

أَيُّهَا المُرَائِي: «قَلبُ مَن تُرَائِيهِ بِيَدِ مَن أَعرَضتَ عَنهُ، يَصرِفُهُ عَنكَ إِلَى غَيرِكَ، فَلَا عَلَى ثَوَابِ المُخلِصِينَ حَصَلتَ! وَلَا إِلَى مَا قَصَدتَهُ بِالرِّيَاءِ وَصَلتَ! وَفَاتَ الأَجرُ وَالمَدحُ! فَلَا هَذَا وَلَا هَذَا»[(٢)].

هـ- الرِّيَاءُ أَشَدُّ فَتكًا مِنَ الذِّئبِ فِي الغَنَمِ:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ، لِدِينِهِ**»[(٣)].

وَذَلِكَ يُبَيِّنُ أَنَّ الدِّينَ السَّلِيمَ، لَا يَكُونُ فِيهِ هَذَا الحِرصُ[(٤)].

فَهَذَا مَثَلٌ عَظِيمٌ جِدًّا، ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِفَسَادِ دِينِ المُسلِمِ، بِالحِرصِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنيَا، [وَهُمَا اللَّذَانِ يُحَرِّكَانِ الرِّيَاءَ فِي النَّفسِ]؛ وَأَنَّ فَسَادَ الدِّينِ بِذَلِكَ، لَيسَ بِدُونِ فَسَادِ الغَنَمِ بِذِئبَينِ جَائِعَيْنِ ضَارِيَيْنِ

---

(١) «الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ» (ص٥٢).

(٢) «بدائع الفوائد» (٣/ ١٢٢٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧١٠).

(٤) «العبودية مع شرح الشيخ الراجحي» (ص١٣٨).

بَاتَا فِي الغَنَمِ، وَقَد غَابَ عَنهَا رِعَاؤُهَا لَيلًا، فَهُمَا يَأكُلَانِ فِي الغَنَمِ وَيَفتَرِسَانِ فِيهَا. مَاذَا يَبقَى مِنَ الغَنَمِ؟

وَمَعلُومٌ أَنَّهُ لَا يَنجُو مِنَ الغَنَمِ مِن إِفسَادِ الذِّئبَينِ المَذكُورَينِ - وَالحَالَةُ هَذِهِ - إِلَّا قَلِيلٌ، فَأَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ حِرصَ المَرءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ: إِفسَادٌ لِدِينِهِ، لَيسَ بِأَقَلَّ مِن إِفسَادِ الذِّئبَينِ لِهَذِهِ الغَنَمِ، بَل إِمَّا أَن يَكُونَ مُسَاوِيًا، وَإِمَّا أَكثَرَ؛ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَسلَمُ مِن دِينِ المُسلِمِ، مَعَ حِرصِهِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنيَا، إِلَّا القَلِيلُ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَسلَمُ مِنَ الغَنَمِ، مَعَ إِفسَادِ الذِّئبَينِ المَذكُورَينِ فِيهَا، إِلَّا القَلِيلُ.

فَهَذَا المَثَلُ العَظِيمُ: يَتَضَمَّنُ غَايَةَ التَّحذِيرِ، مِن شَرِّ الحِرصِ عَلَى المَالِ، وَالشَّرَفِ فِي الدُّنيَا. وَهُوَ حُبُّ انتِشَارِ الصِّيتِ وَالِاشتِهَارِ، وَذَلِكَ خَطَرٌ عَظِيمٌ، وَطَامَّةٌ كُبرَى، وَمُصِيبَةٌ عُظمَى، وَسُمٌّ قَاتِلٌ. «وَدَاءٌ قَلَّ مَن نَجَا مِنهُ، إِلَّا مَن عَصَمَ اللَّهُ»[1].

وَمَا أَحسَنَ مَا قَالَ أَبُو الفَتحِ البُستِيُّ:

أَمرَانِ مُفتَرِقَانِ لَستَ تَرَاهُمَا ... يَتَشَوَّقَانِ لِخُلطَةٍ وَتَلَاقِي

طَلَبُ المَعَادِ مَعَ الرِّيَاسَةِ وَالعُلَى ... فَدَعِ الَّذِي يَفنَى لِمَا هُوَ بَاقِي[2]

وَلِهَذَا يَجِبُ أَن تَكُونَ نِيَّتُكَ بَعِيدَةً عَن هَذَا، بَعِيدَةً عَنِ المَالِ، وَبَعِيدَةً عَنِ الشَّرَفِ؛ نَسأَلُ اللَّهَ أَن يُعِينَنَا عَلَى ذَلِكَ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَيسَ هَمَّهُ إِلَّا أَن يُحَصِّلَ المَالَ، أَو يُحَصِّلَ الشَّرَفَ،

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٣٦).

(٢) شرح حديث: «مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ» (ص٥٦).

وَيَكُونَ مِمَّن يُشَارُ إِلَيهِ بِالأَصَابِعِ، وَ «الإِشَارَةُ إِلَى الرَّجُلِ بِالأَصَابِعِ فِتنَةٌ، وَإِن كَانَ فِي الخَيرِ»[١].

وَهَذَا يُفسِدُ الدِّينَ، لِأَنَّ النَّفسَ تَمِيلُ إِلَى المَالِ، وَتَمِيلُ إِلَى الشَّرَفِ، وَتَنسَى مَا هُوَ أَهَمُّ وَهُوَ مَسأَلَةُ الدِّينِ.

إِذِ النُّفُوسُ مَجبُولَةٌ عَلَى حُبِّ الرِّئَاسَةِ وَالمَنزِلَةِ فِي قُلُوبِ الخَلقِ، وَحُبِّ المَحمَدَةِ وَنَيلِ الشُّهرَةِ، وَانتِشَارِ الصِّيتِ وَالسُّمعَةِ، إِلَّا مَن سَلَّمَ اللهُ، وَقَد أَحسَنَ الشَّاعِرُ حَيثُ يَقُولُ:

يَهوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ ... حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الإِنسَانِ[٢]

وَرُبَّمَا مَاتَ فِي طَلَبِ الشُّهرَة، وَلَم يَنَل شَيئًا مِنهَا، يُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَو لَم يَكُنِ البَاعِثَ عَلَى مِثلِ هَذَا، إِلَّا كَونُهُ بَعِيدًا عَنِ الإِخلَاصِ، لَكَفَى بِهِ مَحذُورًا، وَزَلَلًا بَغِيضًا عِندَ اللهِ أَوَّلًا، ثُمَّ عِندَ خَلقِهِ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ لَا تُسْبَقُ، - أَوْ: لَا تَكَادُ تُسْبَقُ -، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الـمُسْلِمِينَ، حَتَّى عَرَفَهُ فَقَالَ: «**حَقٌّ عَلَى اللهِ: أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيءٌ مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا وَضَعَهُ**»[٣].

وَفِي لَفظٍ: «**إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ: أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا وَضَعَهُ**»[٤].

---

(١) «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٧٥٦).
(٢) «مقاصد المكلفين» (ص٤٤٠).
(٣) رواه البخاري (٢٨٧٢).
(٤) رواه البخاري (٦٥٠١).

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَجَعَلَ الوَضعَ لِمَا رُفِعَ وَارتَفَعَ، لَا لِمَا رَفَعَهُ سُبحَانَهُ؛ فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ إِذَا رَفَعَ عَبدَهُ بِطَاعَتِهِ، وَأَعَزَّهُ بِهَا، لَا يَضَعُهُ أَبَدًا»[١].

فَإِن كُنتَ أَنتَ ذَلِكَ الشَّيءَ، يَا مَن تُحِبُّ الشُّهرَةَ وَالظُّهُورَ! فَانتَظِر وَضعَ اللَّهِ إِيَّاكَ.

وَإِن كُنتَ تُحِبُّ المَنزِلَةَ، وَحُبَّ الثَّنَاءِ، وَطَلَبَ الرِّيَاسَةِ، وَلِيُقبَلَ قَولُكَ؛ «فَقَد شَرِبتَ السُّمَّ الَّذِي لَا يُبقِي وَلَا يَذَرُ، وَلَا عَاصِمَ مِن ذَلِك إِلَّا اللَّهُ»[٢].

وَمِن هُنَا كَانَت عِنَايَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ بِهَذَا الأَمرِ، وَبَيَانُ خُطُورَتِهِ عَلَى عَمَلِ الإِنسَانِ.

وَمَا «زَالَ الصَّادِقُونَ مِنَ العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ يَكرَهُونَ الشُّهرَةَ، وَيَتَبَاعَدُونَ عَن أَسبَابِهَا، وَيُحِبُّونَ الخُمُولَ، وَيَجتَهِدُونَ عَلَى حُصُولِهِ»[٣].

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا مِن أَحَدٍ أَحَبَّ الرِّيَاسَةَ؛ إِلَّا حَسَدَ، وَبَغَى، وَتَتَبَّعَ عُيُوبَ النَّاسِ، وَكَرِهَ أَن يُذكَرَ أَحَدٌ بِخَيرٍ»[٤].

وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: «وَاللَّهِ مَا هَلَكَ مَن هَلَكَ، إِلَّا بِحُبِّ الرِّيَاسَةِ»[٥].

---

(١) «الفروسية المحمَّديَّة» (ص ١٦)، لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «المدخل» (٢/ ١/ ٥٠) بتصرُّف يسير، لابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٧٥٥).

(٤) أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٤٣)، وهو في «صحيح جامع بيان العلم وفضله» (ص١٨٦).

(٥) أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٤٣)، وهو في «صحيح جامع بيان العلم وفضله» (ص١٨٧).

وَقَالَ ابنُ الحَدَّادِ المَغرِبِيُّ، صَاحِبُ سُحنُونٍ: «مَا صَدَّ عَنِ اللهِ: مِثلُ طَلَبِ المَحَامِدِ، وَطَلَبِ الرِّفعَةِ»[(١)].

وَعَنِ الفَضلِ بنِ مُهلَهَلٍ قَالَ: قَالَ لِي سُفيَانُ: فِيمَ السَّلَامَةُ؟ قُلتُ: أَن لَا تُعرَفَ؛ قَالَ: «هَذَا مَا لَا يَكُونُ، وَلَكِنِ السَّلَامَةُ فِي أَن لَا تُحِبَّ أَن تُعرَفَ»[(٢)].

وَعَن بِشرِ بنِ الحَارِثِ قَالَ: «لَا تَعمَل لِتُذكَرَ، وَرِد للهِ مَا يُرِيدُ»[(٣)].

وَعَنِ ابنِ المُبَارَكِ قَالَ: «قَالَ لِي سُفيَانُ: إِيَّاكَ وَالشُّهرَةَ، فَمَا أَتَيتُ أَحَدًا، إِلَّا وَقَد نَهَانِي عَنِ الشُّهرَةِ»[(٤)].

وَعَن إِبرَاهِيمَ بنِ أَدهَمَ قَالَ: «لَم يَصدُقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، مَن أَحَبَّ الشُّهرَةَ»[(٥)].

وَعَنِ الحُسَينِ بنِ مُحَمَّدٍ البَغدَادِيِّ قَالَ: سَمِعتُ أَبِي يَقُولُ: زُرتُ بِشرَ بنَ الحَارِثِ، فَقَعَدتُ مَعَهُ مَلِيًّا؛ فَمَا زَادَنِي عَلَى كَلِمَةٍ، قَالَ: «مَا اتَّقَى اللهَ، مَن أَحَبَّ الشُّهرَةَ»[(٦)].

«وَالشَّهَوَاتُ الخَفِيَّةُ النَّفسَانِيَّةُ، وَمَكَائِدُ النَّفسِ وَغَوَائِلُهَا، وَمَكرُ الشَّيطَانِ، مِمَّا قَلَّ أَن يَنجُوَ مِنهَا إِلَّا الصِّدِّيقُونَ؛ فَالخُمُولُ وَالذُّهُولُ، هُوَ

---

(١) أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢١٤).
(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٣)، وأورده مختصرًا الذهبي في «السير» (٧/ ٢٥٨).
(٣) رواه أبو نعيم في«الحلية» (٨/ ٣٤٦)، وأورد بعضه الذهبي في «السير» (١٠/ ٤٧٦).
(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٣).
(٥) رواه أحمد في «الزهد» (ص٤٥٦)، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩- ٢٠). وأورده ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٦٠٦) [لقمان: ١٩].
(٦) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٤٦)، وأورده الذهبي في «السير» (١٠/ ٤٧٦).

الأَولَى وَالأَسلَمُ»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«يَا نَعَايَا الْعَرَبِ! يَا نَعَايَا الْعَرَبِ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءُ، وَالشَّهوَةُ الخَفِيَّةُ»**(٢).

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ رحمه الله: «إِنَّ الشَّهوَةَ الخَفِيَّةَ: حُبُّ اطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَى العَمَلِ»(٣).

وَقَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رحمه الله: «يَنْبَغِي لِلعَالِمِ أَنْ يَتكَلَّمَ بِنِيَّةٍ وَحُسْنِ قَصدٍ، فَإِن أَعجَبَهُ كَلَامُهُ فَليَصْمُتْ، فَإِن أَعجَبَهُ الصَّمتُ فَليَنطِق، وَلَا يَفتُرْ عَن مُحَاسَبَةِ نَفسِهِ، فَإِنَّهَا تُحِبُّ الظُّهُورَ وَالثَّنَاءَ»(٤).

وَقَالَ العَلَّامَةُ الأَلبَانِيُّ رحمه الله: «حُبُّ الظُّهُورِ، يَقصِمُ الظُّهُورَ»(٥).

«فَليَتَفَقَّدِ العَبدُ مَحَلَّ النِّيَّةِ وَالإِخلَاصِ مِنْ قَلْبِهِ: فِي أَعمَالِهِ وَسِعَايَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَيَحفَظ نِيَّتَهُ مِنَ الرِّيَاءِ، فَلَا يَلْحَظ بِأَعمَالِهِ أَحَدًا مِنَ الخَلقِ، وَيَحفَظ قَلبَهُ مِنَ العُجبِ مَعَ الإِخلَاصِ، فَقَد يُعجَبُ العَبدُ بِإِخلَاصِهِ وَلَا يَشعُرُ»(٦).

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمه الله - عَنِ الرِّيَاءِ -: «لَا يَتَمَكَّنُ فِي مَعرِفَةِ

---

(١) «الدين الخالص» (٢/ ٣٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، ومن طريقه: الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٩/ ٣٧١ رقم ٣٤٢). وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٩٠).

(٣) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٥١٦). (٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٩٤).

(٥) نقله عنه الشيخ صالح عبد الواحد: في «حياة السعداء» (ص١٤).

(٦) «مدخل أهل الفقه واللسان» (ص٦٥)، لابن شيخ الحزَّاميِّينَ رحمه الله.

حَقِيقَتِهِ وَالاِطِّلَاعِ عَلَى غَوَامِضِ خَفِيَّاتِهِ إِلَّا مَن أَرَادَ الإِخلَاصَ، فَإِنَّهُ يَجتَهِدُ أَزمَانًا فِي مُطَاوَلَةِ البَحثِ وَالفِكرِ وَالتَّنقِيبِ عِندَهُ، حَتَّى يَعرِفَهُ أَو يَعرِفَ بَعضَهُ، وَلَا يَحصُلُ هَذَا لِكُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَحصُلُ هَذَا لِلخَوَاصِّ. وَأَمَّا مَن يَزعُمُ مِن آحَادِ النَّاسِ: أَنَّهُ يَعرِفُ الرِّيَاءَ، فَهُوَ جَهلٌ مِنهُ بِحَقِيقَتِهِ»[1].

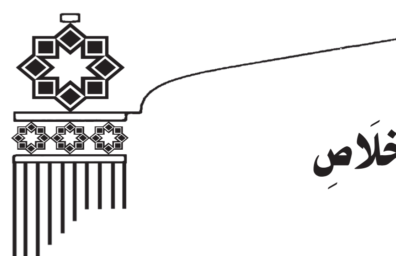
قَد بَانَ لَكَ بِمَا سَبَقَ أَنَّ الرِّيَاءَ مُحبِطٌ لِلأَعمَالِ، وَسَبَبٌ لِلمَقتِ عِندَ اللهِ، وَاللَّعنِ وَالطَّردِ، وَأَنَّهُ مِن كَبَائِرِ المُهلِكَاتِ، وَمَا هَذَا وَصفُهُ: فَجَدِيرٌ بِأَنَّ يُشَمِّرَ كُلُّ مُوَفَّقٍ عَن سَاقِ الجِدِّ فِي إِزَالَتِهِ بِالمُجَاهَدَةِ، وَتَحَمُّلِ المَشَاقِّ الشَّدِيدَةِ وَالمُكَابَدَةِ لِقُوَّةِ الشَّهَوَاتِ، إِذ لَا يَنفَكُّ أَحَدٌ عَنِ الاِحتِيَاجِ لِذَلِكَ؛ إِلَّا مَن رُزِقَ قَلبًا سَلِيمًا، نَقِيًّا خَالِصًا عَن شَوَائِبِ مُلَاحَظَةِ الْأَغْرَاضِ وَالْمَخْلُوقِينَ، وَمُستَغرِقًا دَائِمًا فِي شُهُودِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَقَلِيلٌ مَا هُم[2].

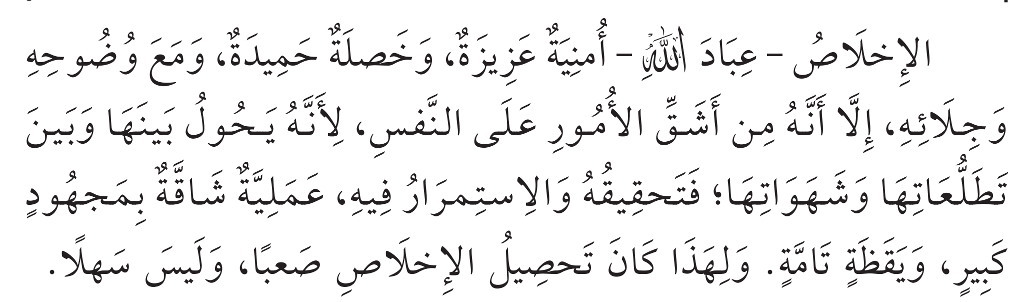


(١) «بستان العارفين» (ص١٢٤).

(٢) «الزواجر» (١/ ٨٥) بتصرُّف يسير، لابن حجر الهيتمي.







كَيفِيَّةُ تَحصِيلِ الإِخلَاصِ

الإِخلَاصُ - عِبَادَ اللهِ - أُمنِيَةٌ عَزِيزَةٌ، وَخَصلَةٌ حَمِيدَةٌ، وَمَعَ وُضُوحِهِ وَجلَائِهِ، إِلَّا أَنَّهُ مِن أَشَقِّ الأُمُورِ عَلَى النَّفسِ، لِأَنَّهُ يَحُولُ بَينَهَا وَبَينَ تَطَلُّعَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا؛ فَتَحقِيقُهُ وَالِاستِمرَارُ فِيهِ، عَمَلِيَّةٌ شَاقَّةٌ بِمَجهُودٍ كَبِيرٍ، وَيَقَظَةٍ تَامَّةٍ. وَلِهَذَا كَانَ تَحصِيلُ الإِخلَاصِ صَعبًا، وَلَيسَ سَهلًا.

فَأَعَزُّ شَيءٍ فِي الدُّنيَا: الإِخلَاصُ. لِأَنَّ «الإِنسَانَ يَصعُبُ عَلَيهِ جِدًّا جِدًّا: أَن يَكُونَ مُخلِصًا فِي العَمَلِ. وَلِهَذَا يَجِبُ أَن يُجَاهِدَ النَّفسَ عَلَى هَذِهِ المَسأَلَةِ، أَن يُجَاهِدَ أَن لَا يُرِيدَ رِيَاءً وَلَا سُمعَةً، وَلَا إِعجَابًا بِالنَّفسِ، وَلَا ظُهُورًا عَلَى الأَصحَابِ؛ بَل يَكُونَ عَمَلُ الإِنسَانِ للهِ تَعَالَى، وَبِاللهِ، وَفِي اللهِ»[1].

فَأَصعَبُ شَيءٍ عَلَى النَّفسِ المُطمَئِنَّةِ: تَخلِيصُ الأَعمَالِ للهِ؛ مِنَ الكِبرِ وَالإِعجَابِ، وَرُؤيَةِ العَمَلِ، وَنِسيَانِ مِنَّةِ اللهِ عَلَيهِ. «فَمَن وَصَلَ لَهُ عَمَلٌ وَاحِدٌ عَلَى هَذَا الوَجهِ: وَصَلَ إِلَى اللهِ. وَاللهُ تَعَالَى شَكُورٌ، إِذَا رَضِيَ مِنَ العَبْدِ عَمَلًا مِن أَعمَالِهِ: نَجَّاهُ، وَأَسعَدَهُ بِهِ، وَثَمَّرَهُ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ؛ وَأَوصَلَهُ بِهِ إِلَيهِ، وَأَدخَلَهُ بِهِ عَلَيهِ، وَلَم يَقطَعهُ بِهِ عَنهُ»[2]. وَلَكِنْ أَبَى الشَّيطَانُ: أَنْ يَدَعَ لِلعَبدِ عَمَلًا وَاحِدًا، يَصِلُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) «شرح مقدمة المجموع» (ص٤٠). (٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣١١).

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «... **وَمَن تُقُبِّلَت لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(١)].

وَتَخلِيصُ الأَعمَالِ - مِنَ الشَّيطَانِ - للهِ، لَا يُوَفَّقُ إِلَيهِ «إِلَّا مَن أَمَدَّهُ اللهُ بِأَمدَادِ التَّوفِيقِ، وَأَيَّدَهُ بِرَحمَتِهِ، وَتَوَلَّى حِفظَهُ وَحِمَايَتَهُ، وَفَتَحَ بَصِيرَةَ قَلبِهِ»[(٢)].

يَتَبَيَّنُ لَنَا مِن خِلَالِ هَذَا الكَلَامِ: أَنَّ حَملَ الإِخلَاصِ كَحَملِ الجِبَالِ الرَّوَاسِي، لَا يُطِيقُهُ إِلَّا أَصحَابُ العَزَائِمِ، فَهُم يَتَقَلَّبُونَ تَحتَهُ تَقَلُّبَ الحَامِلِ بِحَملِهِ الثَّقِيلِ؛ وَالرِّيَاءُ خَفِيفٌ كَالرِّيشَةِ، لَا يَجِدُ لَهُ صَاحِبُهُ ثِقْلًا أَلبَتَّةَ، فَهُوَ حَامِلٌ لَهُ فِي أَيِّ مَوضِعٍ اتَّفَقَ، بِلَا تَعَبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ وَلَا كِلفَةٍ، فَهُوَ يَتَقَلَّبُ تَحتَ حَملِهِ وَلَا يَجِدُ ثِقلَهُ.

وَمِن هَاهُنَا يُفَارِقُ الـمُخلِصُ أَكثَرَ السَّالِكِينَ، بَل يَستَوحِشُ فِي طَرِيقِهِ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ سَالِكِيهَا، فَهُوَ «مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ غُرْبَةً بَينَ النَّاسِ، لَهُم شَأنٌ وَلَهُ شَأنٌ، عِلمُهُ غَيرُ عُلُومِهِم، وَإِرَادَتُهُ غَيرُ إِرَادَتِهِم، وَطَرِيقُهُ غَيرُ طَرِيقِهِم، فَهُوَ فِي وَادٍ وَهُم فِي وَادٍ»[(٣)]. مُنْفَرِدٌ فِي طَرِيقِ طَلَبِهِ. «فَلَزِمَهُ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهِ»[(٤)]. طُوبَى لَهُ مِنْ وَحِيدٍ عَلَى كَثْرَةِ السُّكَّانِ، غَرِيبٍ عَلَى كَثْرَةِ الْجِيرَانِ، بَيْنَ أَقْوَامٍ رُؤْيَتُهُمْ قَذَى الْعُيُونِ، وَشَجَى الْحُلُوقِ، وَكَرْبُ النُّفُوسِ، وَحُمَّى الْأَرْوَاحِ، وَغَمُّ الصُّدُورِ، وَمَرَضُ الْقُلُوبِ[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٣)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٤٦١).

(٢) «الروح» (ص٣٢١).

(٣) «فوائد الفوائد» (ص٣٤٨).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢١٤).

(٥) «إعلام الموقِّعين» (٤/ ٢١٨).

وَلَقَد أَحْسَنَ القَائِلُ:

الطُّرُقُ شَتَّى وَطُرُقُ الحَقِّ مُفْرَدَةٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الحَقِّ أَفرَادُ
لَا يُعرَفُونَ وَلَا تُدْرَى مَقَاصِدُهُم فَهُم عَلَى مَهلٍ يَمشُونَ قُصَّادُ
وَالنَّاسُ فِي غَفلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِم فَجُلُّهُم عَن سَبِيلِ الحَقِّ رُقَّادُ

طَرِيقُ الإِخلَاصِ وَعرَةٌ عَلَى أَكثَرِ الخَلقِ، وَلِهَذَا قَلَّ سَالِكُوهَا؛ «وَاستَلَانُوا مَركَبَ الشَّهوَةِ وَالهَوَى، عَلَى مَركَبِ الإِخلَاصِ وَالتَّقوَى»[(١)].

الإِخلَاصُ «غَدِيرٌ فِي صَحرَاءَ، لَيسَت عَلَيهِ جَادَّةٌ؛ فَلِهَذَا قَلَّ وَارِدُهُ»[(٢)].

فَعَقَبَةُ الإِخلَاصِ عَقَبَةٌ كَؤُودٌ، وَلَكِن بِهَا يُنَالُ المَطلُوبُ وَالمَقصُودُ. نَفعُهَا كَثِيرٌ، وَقَطعُهَا شَدِيدٌ، وَخَطَرُهَا عَظِيمٌ.

وَلَكِن مَا هِيَ طُرُقُ تَحصِيلِ الإِخلَاصِ؟

١ الزُّهدُ فِي مَدحِ النَّاسِ وَذَمِّهِم:

كُن زَاهِدًا فِي ثَنَاءِ النَّاسِ وَمَدحِهِم، وَلَا يَفُوتُكَ ثَنَاءُ مَن ثَنَاؤُهُ كُلُّ فَخرٍ، وَعَطَاءُ مَن عَطَاؤُهُ كُلُّ ذُخرٍ.

وَإِذَا كُنتَ تَطمَعُ فِي المَدحِ وَالثَّنَاءِ، وَهِيَ آفَاتٌ؛ «فَمَتَى خَلَاصُكَ مِنهَا إِلَى الإِخلَاصِ؟!»[(٣)].

يَقُولُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَجتَمِعُ الإِخلَاصُ فِي القَلْبِ وَمَحَبَّةُ

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٦٢).
(٢) «فوائد الفوائد» (ص٤٣٦).
(٣) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٥).

المَدحِ وَالثَّنَاءِ، وَالطَّمَعُ فِيمَا عِندَ النَّاسِ، إِلَّا كَمَا يَجتَمِعُ المَاءُ وَالنَّارُ، وَالضَّبُّ وَالحُوتُ؛ فَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفسُكَ بِطَلَبِ الإِخلَاصِ، فَأَقبِل عَلَى الطَّمَعِ أَوَّلًا، فَاذبَحهُ بِسِكِّينِ اليَأسِ، وَأَقبِل عَلَى المَدحِ وَالثَّنَاءِ، فَازهَد فِيهِمَا زُهدَ عُشَّاقِ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ؛ فَإِذَا استَقَامَ لَكَ ذَبحُ الطَّمَعِ، وَالزُّهدُ فِي الثَّنَاءِ وَالمَدحِ، سَهُلَ عَلَيكَ الإِخلَاصُ.

فَإِن قُلتَ: وَمَا الَّذِي يُسَهِّلُ عَلَيَّ ذَبحَ الطَّمَعِ، وَالزُّهدَ فِي الثَّنَاءِ وَالمَدحِ؟ قُلتُ: أَمَّا ذَبحُ الطَّمَعِ؛ فَيُسَهِّلُهُ عَلَيكَ عِلمُكَ يَقِينًا: أَنَّهُ لَيسَ مِن شَيءٍ يُطمَعُ فِيهِ، إِلَّا وَبِيَدِ اللَّهِ وَحدَهُ خَزَائِنُهُ، لَا يَملِكُهَا غَيرُهُ، وَلَا يُؤتِي العَبْدَ مِنهَا شَيئًا سِوَاهُ»[١].

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]. وَهَذَا القَولُ البَلِيغُ «مُتَضَمِّنٌ لِكَنزٍ مِنَ الكُنُوزِ؛ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ لَا يُطلَبُ إِلَّا مِمَّن عِندَهُ خَزَائِنُهُ، وَمَفَاتِيحُ تِلكَ الخَزَائِنِ بِيَدَيهِ؛ وَأَنَّ طَلَبَهُ مِن غَيرِهِ، طَلَبٌ مِمَّن لَيسَ عِندَهُ، وَلَا يَقدِرُ عَلَيهِ»[٢].

وَأَمَّا الزُّهدُ فِي الثَّنَاءِ وَالمَدحِ: فَيُسَهِّلُهُ عَلَيكَ عِلمُكَ: أَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ يَنفَعُ مَدحُهُ وَيَزِينُ، وَيَضُرُّ ذَمُّهُ وَيَشِينُ، إِلَّا اللَّهُ وَحدَهُ[٣].

عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ حَمدِي زَينٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَينٌ (أَي: أَنَا إِذَا مَدَحتُ أَحَدًا زَانَ مِن مَدحِي وَارتَفَعَ، وَإِذَا ذَمَمتُ وَاحِدًا عِيبَ وَانخَفَضَ)؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) «فوائد الفوائد» (ص٤٢١). (٢) المصدر السابق (ص٢٣).
(٣) المصدر السابق (ص٤٢١).

«ذَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي حَمدُهُ زَينٌ وَذَمُّهُ شَينٌ، دُونَ غَيرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالخُطَبَاءِ وَغَيرِهِم(٢).

فَمَدحُهُ يَزِينُ عِندَهُ، لِأَنَّهُ مَدَحَهُ بِحَقٍّ؛ وَذَمُّهُ يَشِينُهُ، لِأَنَّهُ حَقٌّ(٣).

فَإِذَا كَانَ لَا يَزِينُ حَمدُ غَيرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَشِينُ ذَمُّ غَيرِهِ، وَاستَقَرَّ ذَلِكَ عِندَ العَبدِ العَاقِلِ، استَوَى حَامِدُهُ وَذَامُّهُ.

«فَأَيُّ خَيرٍ لَكَ فِي مَدحِ النَّاسِ، وَأَنتَ عِندَ اللهِ مَذمُومٌ وَمِن أَهلِ النَّارِ؟! وَأَيُّ شَرٍّ لَكَ مِن ذَمِّ النَّاسِ، وَأَنتَ عِندَ اللهِ مَحمُودٌ فِي زُمرَةِ المُقَرَّبِينَ؟!»(٤).

«فَازهَد فِي مَدحِ مَن لَا يَزِينُكَ مَدحُهُ، وَفِي ذَمِّ مَن لَا يَشِينُكَ ذَمُّهُ، وَارغَبْ فِي مَدحِ مَنْ كُلُّ الزَّينِ فِي مَدحِهِ، وَكُلُّ الشَّينِ فِي ذَمِّهِ، وَلَن يُقدَرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّبرِ وَاليَقِينِ؛ فَمَتَى فَقَدتَ الصَّبرَ وَاليَقِينَ، كُنتَ كَمَن أَرَادَ السَّفَرَ فِي البَحرِ فِي غَيرِ مَركَبٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة]»(٥).

قَالَ مَالِكُ بنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مُنذُ عَرَفتُ النَّاسَ، لَم أَفرَح بِمَدحَتِهِم، وَلَا أَكرَهُ مَذَمَّتَهُم»؛ قِيلَ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لِأَنَّ مَادِحَهُم

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٦٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٣٣٣).
(٢) «الاستقامة» (٢/ ٢٨٣).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٦٤).
(٤) «الإحياء» (٣/ ٢٧٥).
(٥) «فوائد الفوائد» (ص٤٢٢).

مُفرِطٌ، وَذَامَّهُم مُفَرِّطٌ»[١].

يَعنِي: أَنَّهُ لَم يَرَ مَن يَقتَصِدُ فِيمَا يَقُولُ فِي رِضَاهُ وَغَضَبِهِ[٢].

وَقَالَ ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «عَجِبتُ لِمَن يَتَصَنَّعُ لِلنَّاسِ بِالزُّهدِ يَرجُو بِذَلِكَ قُربَهُ مِن قُلُوبِهِم، وَيَنسَى أَنَّ قُلُوبَهُم بِيَدِ مَن يَعمَلُ لَهُ.

فَإِن رَضِيَ عَمَلَهُ وَرَآهُ خَالِصًا لَفَتَ القُلُوبَ إِلَيهِ، وَإِن لَم يَرَهُ خَالِصًا أَعرَضَ بِهَا عَنهُ.

وَمَتَى نَظَرَ العَامِلُ إِلَى التِفَاتِ القُلُوبِ إِلَيهِ، فَقَد زَاحَمَ الشِّركُ نِيَّتَهُ، لِأَنَّهُ يَنبَغِي أَن يَقنَعَ بِنَظَرِ مَن يَعمَلُ لَهُ.

وَمِن ضَرُورَةِ الإِخلَاصِ: أَلَّا يَقصِدَ التِفَاتَ القُلُوبِ إِلَيهِ، فَذَاكَ يَحصُلُ لَا بِقَصدِهِ، بَل بِكَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ.

وَلِيَعلَمِ الإِنسَانُ أَنَّ أَعمَالَهُ كُلَّهَا يَعلَمُهَا الخَلقُ جُملَةً، وَإِن لَم يَطَّلِعُوا عَلَيهَا. فَالقُلُوبُ تَشهَدُ لِلصَّالِحِ بِالصَّلَاحِ، وَإِن لَم يُشَاهَد مِنهُ ذَلِكَ.

فَأَمَّا مَن يَقصِدُ رُؤيَةَ الخَلقِ بِعَمَلِهِ، فَقَد مَضَى العَمَلُ ضَائِعًا، لِأَنَّهُ غَيرُ مَقبُولٍ عِندَ الخَالِقِ وَلَا عِندَ الخَلقِ، لِأَنَّ قُلُوبَهُم قَد أُلفِتَت عَنهُ، فَقَد ضَاعَ العَمَلُ، وَذَهَبَ العُمُرُ...

فَليَتَّقِ اللهَ العَبدُ، وَليَقصِد مَن يَنفَعُهُ قَصدُهُ، وَلَا يَتَشَاغَل بِمَدحِ»[٣] الخَلقِ.

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا لَم تُخلِص فَلَا تَتعَب... كَم بَذَلَ نَفسَهُ مُرَاءٍ لِمِدحَةِ الخَلقِ، فَذَهَبَت نَفسُهُ وَانقَلَبَتِ المَدحُ ذَمًّا، وَلَو بَذَلَهَا للهِ

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٢)، وأورده بنحوه الذهبي في «السير» (٥/ ٣٦٢).
(٢) «شرح حديث عمار بن ياسر» (ص٣٠). (٣) «صيد الخاطر» (ص٤٢٧ - ٤٢٨).

لَبقِيَت مَا بَقِيَ الدَّهرُ[١].

٢ الـــدُّعَـــاءُ:

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «... **وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ السُّمعَةِ وَالرِّيَاءِ** ...»[٢].

وَعَن أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّركَ، فَإِنَّهُ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ**» فَقَالَ لَهُ مَن شَاءَ اللهُ أَن يَقُولَ: وَكَيفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ، يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِن أَن نُشرِكَ بِكَ شَيئًا نَعلَمُهُ، وَنَستَغفِرُكَ لِمَا لَا نَعلَمُ**»[٣].

وَالشِّركُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ، عَلَى الصَّفَاءِ فِي اللَّيلَةِ الظَّلمَاءِ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ أَن يَسلَمَ مِنهُ، وَقَد يَتَطَرَّقُ فِي أَفعَالِ القُلُوبِ، وَالجَوَارِحِ، وَالأَعمَالِ، وَالنِّيَّاتِ؛ بِحَيثُ لَا يَشعُرُ بِهِ، وَلَا يَدرِي، وَهَذَا مَقَامٌ يَنبَغِي لِلمُؤمِنِينَ التَّدَبُّرُ فِيهِ.

٣ مُصَاحَبَةُ أَهلِ الإِخلَاصِ، وَالانتِفَاعُ بِإِخلَاصِهِم:

فَإِنَّ «أَقوَالَهُم وَأَعمَالَهُم وَأَحوَالَهُم، سَالِمَةٌ مِنَ المَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ،

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ١٢٢١).

(٢) قطعة من حديث: رواه الحاكم (١/ ٥٣٠ رقم ١٩٤٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٢٨٥).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣ رقم ١٩٦٦١)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ»[(١)].

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

أَي: وَهُم قَاصِدُونَ بِذَلِكَ، وَجْهَ اللهِ، لَيسَ لَهُم مِنَ الأَغْرَاضِ، سِوَى ذَلِكَ الغَرَضِ الجَلِيلِ[(٢)].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَوَصَفَهُم بِالعِبَادَةِ وَالإِخلَاصِ فِيهَا، فَفِيهَا الأَمرُ بِصُحبَةِ الأَخيَارِ، وَمُجَاهَدَةِ النَّفسِ عَلَى صُحبَتِهِم وَمُخَالَطَتِهِم، وَإِن كَانُوا فُقَرَاءَ؛ فَإِنَّ فِي صُحبَتِهِم مِنَ الفَوَائِدِ، مَا لَا يُحصَى»[(٣)].

لِأَنَّ الطِّبَاعَ مَجبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالِاقتِدَاءِ، بَلِ الطَّبعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبعِ مِنْ حَيثُ لَا يَدْرِي.

وَرَحِمَ اللهُ القَائِلَ:

وَصَاحِبْ أُولِي التَّقْوَى تَنَلْ مِنْ تُقَاهُمْ

وَلَا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

فَلْنَبْحَثْ كَثِيرًا وَكَثِيرًا عَنِ المُخْلِصِينَ «لِأَنَّنَا سَنَجِدُ مَنْ يَدْعُو وَيَنْشُرُ، وَيُؤَلِّفُ وَيُخَرِّجُ وَيَعِظُ وَيَخْطُبُ: لِجَاهٍ أَوْ شُهْرَةٍ، أَوْ مَالٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ! سَنَجِدُ مَنْ يُعَلِّمُ وَيَعْمَلُ، وَلَكِنْ لَا بَرَكَةَ فِي عِلْمِهِ، وَلَا فِي عَمَلِهِ، وَلَا فِي دَعْوَتِهِ»[(٤)].

كَمْ مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُ لِيُقَالَ: عَمِلَ؟!

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤٨١). (٢) المصدر السابق (ص٣٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص٦٥٣).

(٤) «كعب بن مالك» (ص٩٣)، للشيخ حسين العوايشة حفظه اللهُ.

كَمْ مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُ لِيُنْشَرَ اسْمُهُ؟!

كَمْ مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُ لِيَسْمُوَ نَجْمُهُ؟!

كَمْ مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُ لِيَفْشُوَ ذِكْرُهُ في الصُّحُفِ وَالمَجَلَّاتِ؟!

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ لله رَبِّ العَالَمِينَ، إِنْ يَكُنْ لَهُم ذِكْرٌ عَمِلُوا، وَإِلَّا تَوَقَّفُوا[١].

٤ إدمانُ النَّظَرِ في سِيَرِ المُخلِصينَ الصَّادِقينَ:

إِنَّ قِرَاءَةَ سِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، تَبعَثُ عَلَى الِاقتِدَاءِ بِهِم، وَالِاستِضَاءَةِ بِنُورِ هِدَايَتِهِم، وَالِانتِفَاعِ بِكَلِمَاتِهِم؛ فَإِنَّ كَلَامَهُم قَلِيلٌ كَثِيرُ البَرَكَةِ، وَكَلَامَ غَيرِهِم كَثِيرٌ قَلِيلُ البَرَكَةِ.

«كَمَا قَالَ حَمَّادُ بنُ زَيدٍ: قُلتُ لِأَيُّوبَ: العِلمُ اليَومَ أَكثَرُ أَو فِيمَا تَقَدَّمَ؟ فَقَالَ: الكَلَامُ اليَومَ أَكثَرُ، وَالعِلمُ فِيمَا تَقَدَّمَ أَكثَرُ!»[٢].

«فَإِنَّ حَرَكَتَهُم وَسُكُونَهُم لَـمَّا كَانَت بِالله، وَلله، وَعَلَى أَمرِ الله: جَذَبَت قُلُوبَ الصَّادِقِينَ إِلَيهِم، فَيَهتَدِي بِهِمُ الحَائِرُ، وَيَسِيرُ بِهِمُ الوَاقِفُ، وَيَستَقِيمُ بِهِمُ الحَائِدُ؛ وَيُقبِلُ بِهِمُ المُعرِضُ، ويَكمُلُ بِهِمُ النَّاقِصُ، وَيَرجِعُ بِهِمُ النَّاكِصُ، وَيَتَقَوَّى بِهِمُ الضَّعِيفُ»[٣].

فَمَنْ أَرَادَ تَحقِيقَ الإِخلَاصِ «فَعَلَيهِ بِمُرَافَقَةِ الأَموَاتِ الَّذِينَ هُم فِي

---

(١) «سعد بن معاذ» (ص٤٩)، للشيخ حسين العوايشة حفظه الله.

(٢) «فوائد الفوائد» (ص ٢٣٦). والأثر بمعناه: أخرجه الإمام أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (١/ ٤٠٥-٤٠٦ رقم ٩٣٨)، وإسناده صحيح.

(٣) «تهذيب المدارج» (٢/ ٩٤٩).

العَالَـمِ أَحيَاءٌ، [كَابنِ تَيمِيَّةَ، وَابنِ القَيِّم، وَالذَّهَبِيِّ، وَابنِ رَجَبٍ، وَابنِ كَثِيرٍ، وَابنِ بَازٍ، وَابنِ عُثَيمِينَ، وَبَكرٍ أَبُو زَيدٍ، وَابنِ جِبرِينَ، وَالأَلبَانِيِّ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى]؛ فَإِنَّهُ يَبلُغُ بِمُرَافَقَتِهِم إِلَى مَقصِدِهِ، وَليَحذَر مِن مُرَافَقَةِ الأَحيَاءِ الَّذِينَ فِي النَّاسِ أَموَاتٌ، فَإِنَّهُم يَقطَعُونَ عَلَيهِ طَرِيقَهُ؛ فَلَيسَ لِهَذَا السَّالِكِ أَنفَعُ مِن تِلكَ المُرَافَقَةِ، وَأَوفَقُ لَهُ مِن هَذِهِ المُفَارَقَةِ»[١].

وَيُؤثَرُ عَن بِشرِ بنِ الحَارِثِ أَنَّهُ قَالَ: بِحَسبِكَ أَنَّ قَومًا مَوْتَى تَحْيَى القُلُوبُ بِذِكْرِهِم، وَأَنَّ قَومًا أَحْيَاءً تَقسُو القُلُوبُ بِرُؤيَتِهِم[٢].

عَن شَقِيقِ بنِ إِبرَاهِيمَ البَلْخِيِّ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ المُبَارَكِ: إِذَا صَلَّيتَ مَعَنَا، لِمَ لَا تَجْلِسْ مَعَنَا؟ قَالَ: أَذهَبُ مَعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، قُلنَا لَهُ: وَمِن أَينَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ؟ قَالَ: أَذهَبُ أَنْظُرُ فِي عِلمِي، فَأُدرِكُ آثَارَهُم وَأَعمَالَهُم، فَمَا أَصْنَعُ مَعَكُم؟ أَنْتُم تَغْتَابُونَ النَّاسَ[٣].

وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

قَد مَاتَ قَومٌ وَمَا مَاتَت مَكَارِمُهُم　　　وَعَاشَ قَومٌ وَهُم فِي النَّاسِ أَموَاتُ[٤]

وَمَن تَأَمَّلَ أَحوَالَ أَئِمَّةِ الإِسلَام - كَأَئِمَّةِ الحَدِيثِ وَالفِقهِ - كَيفَ هُم تَحتَ التُّرَابِ، وَهُم فِي الْعَالَمِينَ كَأَنَّهُمْ أَحيَاءٌ بَيْنَهُمْ؟! لَم يَفقِدُوا مِنهُم إِلَّا صُورَهُمْ، وَإِلَّا فَذِكرُهُم وَحَدِيثُهُمْ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ، غَيْرُ مُنْقَطِعٍ؛ وَهَذِهِ

(١) «الرسالة التبوكية» (ص٢٢٦)، لابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) رواه أبو عبد الرحمن السُّلَمِي في «طبقات الصوفية» (ص٥٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٢١٤).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٦٤-١٦٥)، وأورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٨).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٣٧).

هِيَ الحَيَاةُ حَقًّا، حَتَّى عُدَّ ذَلِكَ حَيَاةً ثَانِيَةً[(١)].

وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

فَارفَع لِنَفسِكَ بَعدَ مَوتِكَ ذِكرَهَا   فَالذِّكرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانِي[(٢)]

٥ أَكثِر مِنَ الأَعمَالِ الخَفِيَّةِ:

اعلَم - رَحِمَكَ اللهُ - بِأَنَّ كُلَّ شَيءٍ مِن أَعمَالِ البِرِّ يُخَافُ عَلَى فَاعِلِهِ مِنَ الرِّيَاءِ، فَمَا خَفِيَ عَنِ النَّاسِ، كَانَ أَحسَنَ وَأَفضَلَ.

عَنِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ استَطَاعَ مِنكُم أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَلْيَفْعَل**»[(٣)].

لَم يَزَلِ الصَّالِحُونَ يَجتَهِدُونَ فِي إِخفَاءِ طَاعَتِهِم أَعظَمَ مِمَّا يَحرِصُ النَّاسُ عَلَى إِخفَاءِ سَيِّئَاتِهِم، كُلُّ ذَلِكَ رَجَاءَ أَن تَخْلُصَ أَعمَالُهُمُ الصَّالِحَةُ للهِ، فَيَتَقَبَّلَهَا مِنهُم، وَيَجزِيَهُم عَلَيهَا أَحسَنَ الجَزَاءِ.

فَأُولَئِكَ أُولُو الأَلبَابِ، الَّذِينَ كَانُوا حَرِيصِينَ عَلَى أَلَّا يَطَّلِعَ غَيرُ اللهِ عز وجل عَلَى شَيءٍ مِن مَحمُودِ أَمرِهِم: فِيمَا أَسَرُّوهُ مِنَ الرَّشَادِ، وَمَا أَعلَنُوهُ مِنَ السَّدَادِ.

قَالَ أَبُو حَازِمٍ سَلَمَةُ بنُ دِينَارٍ رحمه الله: «اكتُم مِن حَسَنَاتِكَ، كَمَا تَكتُمُ مِن سَيِّئَاتِكَ»[(٤)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٣٧).   (٢) «ديوان أحمد شوقي» (ص٥٢٩).

(٣) أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٢٦٢)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣/ ٧٨) رقم (٨٨٤). وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٣١٣).

(٤) رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٦٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦٤٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٦٨)، وهو صحيح. =

قَالَ أَبُو بَكرٍ المَرُّوذِيُّ: سَمِعتُ رَجُلًا يَقُولُ لِأَبِي عَبدِ اللَّهِ[(١)] - وَذَكَرَ لَهُ الصِّدقَ وَالإِخلَاصَ - فَقَالَ أَبُو عَبدِ اللَّهِ: «بِهَذَا ارتَفَعَ القَومُ»[(٢)].

عَنِ الأَعمَشِ قَالَ: دَخَلتُ عَلَى إِبرَاهِيمَ[(٣)] وَهُوَ يَقرَأُ فِي المُصحَفِ، فَاستَأذَنَ عَلَيهِ رَجُلٌ فَغَطَّاهُ، [وَ] قَالَ: لَا يَرَى هَذَا أَنِّي أَقرَأُ فِيهِ كُلَّ سَاعَةٍ[(٤)].

وَقَالَ حَمْزَةُ بنُ دَهْقَانَ: «قُلْتُ لِبِشرِ بنِ الحَارِثِ (ت٢٢٧هـ): أُحِبُّ أَنْ أَخْلُوَ مَعَكَ. قَالَ: إِذَا شِئتَ فَيَكُونُ يَومًا. فَرَأَيتُهُ قَدْ دَخَلَ قُبَّةً، فَصَلَّى فِيهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لَا أُحْسِنُ أُصَلِّي مِثلَهَا، فَسَمِعتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الشَّرَفِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنَّ الفَقرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الغِنَى، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنِّي لَا أُوثِرُ عَلَى حُبِّكَ شَيئًا.**

فَلَمَّا سَمِعتُهُ، أَخَذَنِي الشَّهِيقُ وَالبُكَاءُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنِّي لَو أَعلَمُ أَنَّ هَذَا هَاهُنَا، لَم أَتَكَلَّمْ»[(٥)].

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ مِن عِبَادِهِ أَن يُعَامِلُوهُ سِرًّا بَينَهُم وَبَينَهُ، وَأَهلُ مَحَبَّتِهِ يُحِبُّونَ أَن يُعَامِلُوهُ سِرًّا بَينَهُم وَبَينَهُ، بِحَيثُ لَا

= وفي رواية للبيهقي في «الشعب» (٦٥٠٠) بلفظ: «أَخْفِ حسنتَك كما تُخفي سيِّئتَك، ولا تكوننَّ مُعجَبًا بعملك؛ فلا تدري أشقيٌّ أنت أم سعيد؟».

(١) وفي طريق: «وسُئل: بِمَ بلغ القومُ حتى مُدحوا؟».

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٦٧و٢٧٤)، من ثلاث طرق: يُقوِّي بعضُها بعضًا.

(٣) هو: ابن يزيد بن قيس بن الأسود النَّخَعِي.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٥٦٤)، وإسناده صحيح.

(٥) رواه ابن قُدامة المقدسي في «إثبات صفة العلو» (رقم: ١٠٦)، وأورده الذهبي في «السير» (١٠/ ٤٧٣).

يَطَّلِعُ عَلَى مُعَامَلَتِهِم إِيَّاهُ سِوَاهُ[١].

وَلِهَذَا فُضِّلَ قِيَامُ وَسَطِ اللَّيلِ، عَلَى مَا سِوَاهُ مِن أَوقَاتِ اللَّيلِ[٢].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَفضَلُ النَّوَافِلِ إِسرَارُهَا، وَلِذَلِكَ فُضِّلَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ عَلَى نَوَافِلِ الصَّلَاةِ، وَفُضِّلَتْ صَدَقَةُ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ»[٣].

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ**»[٤].

لَطَالَمَا عَصَينَا اللهَ كَثِيرًا فِي السِّرِّ، فَهَلَّا أَكْثَرْنَا مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ بَينَنَا وَبَينَ اللهِ؟!

وَلْنَذْكُرْ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ - لَا الحَصْرِ- الأَعمَالَ التَّالِيَةَ:

أ- البُكَاءُ مِن خَشيَةِ اللهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» - وَذَكَرَ مِنْ بَينِهِم -: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَينَاهُ**»[٥].

قَالَ ابنُ هُبَيرَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَينَاهُ؛ فَإِنَّهُ تَحَقَّقَ إِخلَاصُهُ فِي البُكَاءِ، لِأَنَّهُ قَد يَبكِي الإِنسَانُ فِي الجَمَاعَةِ، وَلَا يَبكِي فِي الخَلوَةِ؛ فَأَخبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَّ الِاعتِبَارَ بِمَن ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا،

(١) «لطائف المعارف» (ص٢٩٠). (٢) «شرح حديث عمار بن ياسر» (ص٢٧).

(٣) «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٧٥٢).

(٤) رواه الترمذي (٢٩١٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ١٦٦).

(٥) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

فَفَاضَتْ عَينَاهُ؛ مُعَرِّفًا أَهلَ البُكَاءِ: أَنَّ الاِعتِبَارَ بِمَا يَفِيضُ مِنَ الدُّمُوعِ فِي الخَلوَةِ، حَيثُ لَا يَعلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ سُبحَانَهُ»(١).

جَعَلَنَا اللهُ مِمَّن أَخلَصَ للهِ عَمَلَهُ، وَخَتَمَ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ أَجَلَهُ(٢).

ب- الدُّعَاءُ بِظَهرِ الغَيبِ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لِأَخِيهِ - بِظَهرِ الغَيبِ - مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ؛ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيرٍ، قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثلٍ**»(٣).

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رحمه الله: «وَدُعَاءُ الغَائِبِ لِلْغَائِبِ، أَعْظَمُ إِجَابَةً مِنْ دُعَاءِ الحَاضِرِ؛ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ إِخلَاصًا، وَأَبْعَدُ عَنِ الشِّرْكِ»(٤).

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكرَامِ، ارزُقنِي وَأَخِي الصِّدقَ وَالإِخلَاصَ: فِي الأَقوَالِ وَالأَعمَالِ وَالأَحوَالِ.

هَذِهِ صُورَةٌ مُشرِقَةٌ؛ وَأَمَّا الصُّورَةُ المُظلِمَةُ: فَهِيَ ذِكرُ العَيبِ، بِظَهرِ الغَيبِ. نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

قَالَ سَعِيدُ بنُ بُرَيدٍ النِّبَاجِيُّ رحمه الله: «يَنبَغِي لَنَا أَن نَكُونَ بِدُعَاءِ إِخوَانِنَا أَوثَقَ مِنَّا بِأَعمَالِنَا، نَخَافُ أَن نَكُونَ فِي أَعمَالِنَا مُقَصِّرِينَ، وَنَرجُو أَن نَكُونَ فِي دُعَائِهِم لَنَا مُخلِصِينَ؛ فَإِنَّ مَن أَصفَى العَمَلَ، فَأَنتَ مِنهُ عَلَى رِبحٍ»(٥).

---

(١) «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٦/ ٢٣٨). (٢) «الأربعون الصحيحة» (ص٦٥).
(٣) رواه مسلم (٢٧٣٢). (٤) «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٢٨).
(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣١٢)، وأورد جُلَّهُ الذهبي في «السير» (٩/ ٥٨٦).

ج- الإكْثَارُ مِنَ النَّوَافِلِ فِي البَيتِ:

عَنْ صُهَيبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ تَطَوُّعًا حَيثُ لَا يَرَاهُ النَّاسُ، تَعْدِلُ صَلَاتَهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاس خَمسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»[١].

وَمَا هُوَ بِهَذِهِ المَثَابَةِ، فَيَتَأَكَّدُ تَحصِيلُهُ عَلَى مَا يَنبَغِي[٢].

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: «وَإِنَّمَا حَثَّ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيتِ: لِكَونِهِ أَخفَى وَأَبعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ، وَأَصونَ مِنَ المُحبِطَاتِ؛ وَلِيَتَبَرَّكَ البَيتُ بِذَلِكَ، وَتَنزِلَ فِيهِ الرَّحمَةُ وَالمَلَائِكَةُ، وَيَنفِرَ مِنهُ الشَّيطَانُ»[٣].

د- حُبُّ المَسَاكِينِ:

«المَسَاكِينُ لَيسَ عِندَهُم مِنَ الدُّنيَا مَا يُوجِبُ مَحَبَّتَهُم لِأَجلِهِ، فَلَا يُحِبُّونَ إِلَّا اللَّهَ عز وجل، وَالحُبُّ فِي اللَّهِ مِن أَوثَقِ عُرَى الإِيمَانِ، وَمِن عَلَامَاتِ ذَوقِ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ، وَهُوَ صَرِيحُ الإِيمَانِ»[٤].

«وَحُبُّ المَسَاكِينِ: قَد وَصَّى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، غَيرَ وَاحِدٍ مِن أَصحَابِهِ»[٥].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «**أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ المَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ...**»[٦].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يسأَلُ رَبَّهُ حُبَّ المَسَاكِينِ، كَمَا فِي قَولِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ، فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ. أَسْأَلُكَ حُبَّكَ،**

---

(١) رواه أبو يعلى في «الكبير»، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٨٢١).
(٢) «المدخل» (٢/ ١/ ١٦٥)، لابن الحاج رحمه الله. (٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/ ٦٠).
(٤) «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص٧٥).
(٥) المصدر السابق.
(٦) رواه أحمد (٥/ ١٥٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨١١).

وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ. إِنَّهَا حَقٌّ، فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا»[١].

«وَحُبُّ المَسَاكِينِ مُستَلزِمٌ لِإِخلَاصِ العَمَلِ للهِ تَعَالَى. وَالإِخلَاصُ هُوَ أَسَاسُ الأَعمَالِ الَّذِي لَا تَثبُتُ الأَعمَالُ إِلَّا عَلَيهِ، فَإِنَّ حُبَّ المَسَاكِينِ يَقتَضِي إِسدَاءَ النَّفعِ إِلَيهِم بِمَا يُمكِنُ مِن مَنَافِعِ الدِّينِ وَالدُّنيَا، فَإِذَا حَصَلَ إِسدَاءُ النَّفعِ إِلَيهِم حُبًّا لَهُم، وَالإِحسَانُ إِلَيهِم، كَانَ هَذَا العَمَلُ خَالِصًا»[٢].

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَحَبَّةُ المَسَاكِينِ تُوجِبُ إِخْلَاصَ الْعَمَلِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ الإِحسَانَ إِلَيهِم لِمَحَبَّتِهِم لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ نَفعَهُم فِي الدُّنيَا لَا يُرجَى غَالِبًا»[٣].

هـ- الإِكثَارُ مِن صِيَامِ النَّفلِ:

لَمَّا كَانَ الصِّيَامُ سِرًّا بَينَ العَبدِ وَرَبِّهِ، اجتَهَدَ المُخلِصُونَ فِي إِخفَائِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، حَتَّى لَا يَطَّلِعَ عَلَيهِم أَحَدٌ[٤].

٦ المُحَافَظَةُ عَلَى صَلَاتَيِ الفَجرِ وَالعِشَاءِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالعِشَاءِ»**[٥].

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ،

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٣١٩).
(٢) «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص٧٦).
(٣) المصدر السابق (ص٨٤). (٤) «لطائف المعارف» (ص٨٥).
(٥) رواه البخاري (٦٥٧).

فَقَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا، لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ...**»[1].

«وَإِنَّمَا ثَقُلَت هَاتَانِ الصَّلَاتَانِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجرِ، لِأَنَّ الْمُنَافِقَ لَا يَنشَطُ لِلصَّلَاةِ إِلَّا إِذَا رَآهُ النَّاسُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تعَالَى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء]. وَصَلَاةُ العِشَاءِ وَالصُّبحِ يَقعَانِ فِي ظُلمَةٍ، فَلَا يَنشَطُ لِلمَشيِ إِلَيهِمَا إِلَّا كُلُّ مُخلِصٍ، يكتَفِي بِرُؤيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحدَهُ لِعِلمِهِ بِهِ»[2].

عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا إِذَا افتَقَدنَا الرَّجُلَ فِي العِشَاءِ وَالصُّبحِ، أَسَأنَا بِهِ الظَّنَّ»[3].

فَليَعتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفسِهِ بِهَذَا المَوضِعِ، وَليُجَاهِد نَفسَهُ -الَّتِي هِيَ مَأوَى كُلِّ سُوءٍ، وَمَنبَعُ كُلِّ شَرٍّ-، عَلَى الإِخلَاصِ.

٧ المُجَاهَدَةُ:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَعَن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «... **وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ**

---

(١) رواه أبو داود (٥٥٤)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١١).
(٢) «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص٣٦).
(٣) رواه البزّار «البحر الزخّار» (٥٨٤٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١٧).

هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ»[١].

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَكُونُ مِن هَذَا: مُجَاهَدَةُ النَّفسِ عَلَى الإِخلَاصِ للهِ ﷻ فِي العِبَادَةِ، فَإِنَّ الإِخلَاصَ أَمرُهُ عَظِيمٌ وَشَاقٌّ جِدًّا، فَالمُجَاهَدَةُ عَلَى الإِخلَاصِ للهِ مِن أَشَقِّ مَا يَكُونُ عَلَى النُّفُوسِ، لِأَنَّ النُّفُوسَ لَهَا حُظُوظٌ؛ وَلِأَنَّ الإِنسَانَ يُحِبُّ أَن يَكُونَ مَرمُوقًا عِندَ النَّاسِ، وَيُحِبُّ أَن يَكُونَ مُحتَرَمًا بَينَ النَّاسِ، وَيُحِبُّ أَن يُقَالَ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ عَابِدٌ، هَذَا رَجُلٌ فِيهِ كَذَا وَكَذَا مِن خِصَالِ الخَيرِ، فَيَدخُلَ الشَّيطَانُ عَلَى الإِنسَانِ مِن هَذَا البَابِ، وَيَحمِلَهُ عَلَى مُرَاءَاةِ النَّاسِ[٢].

وَاعلَم بِأَنَّهُ «كُلَّمَا كَانَ الفِعلُ أَنفَعَ لِلعَبدِ، وَأَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى، كَانَ اعتِرَاضُ الشَّيطَانِ لَهُ أَكثَرَ»[٣].

فَحَقِيقٌ بِمَن لِنَفسِهِ عِندَهُ قَدرٌ وَقِيمَةٌ، أَن يُجَاهِدَ نَفسَهُ عَلَى الإِخلَاصِ للهِ تَعَالَى. «فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى يُبَعْثَرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَيُحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، وَتَتَسَاوَى أَقْدَامُ الْخَلَائِقِ فِي الْقِيَامِ للهِ؛ وَيَنْظُرَ كُلُّ عَبْدٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَيَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ»[٤] المُخلِصِينَ وَالمُرَائِينَ.



(١) قطعة من حديث: أخرجه أحمد (٦/ ٢١ رقم ٢٤٠٦٧)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥١ - ٥٢) باختصار، للعلَّامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٣) «موارد الأمان» (ص١٦٢).

(٤) «إعلام الموقِّعين» (١/ ٣٥).





ثَمرَاتُ الإِخلَاصِ

الإِخلَاصُ شَجَرَةٌ فِي القَلْبِ؛ فُرُوعُهَا الأَعمَالُ، وَثَمَرُهَا طِيبُ الحَيَاةِ فِي الدُّنيَا، وَالنَّعِيمُ المُقِيمُ فِي الآخِرَةِ.

وَكَمَا أَنَّ ثِمَارَ الجَنَّةِ لَا مَقطُوعَةٌ وَلَا مَمنُوعَةٌ، فَثَمَرَةُ الإِخلَاصِ فِي الدُّنيَا كَذَلِكَ.

وَلَا يَزَالُ سَعيُ المُخلِصِ صَاعِدًا إِلَى رَبِّهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وَالإِخلَاصُ لَهُ ثَمَرَاتٌ طَيِّبَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، يَجنِيهَا المُخلِصُونَ مِن رَبِّهِم عَطَاءً غَيرَ مَجذُوذٍ.

١ الفَوزُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الآخِرَةِ:

كُلَّمَا كَانَ العَبْدُ أَكثَرَ إِخلَاصًا، كَانَ أَكثَرَ تَأَهُّلًا لِلظَّفَرِ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ يومَ القِيَامَةِ، يَدُلُّ لِذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ: نَفْسِهِ -**»[1].

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَعظَمَ

(١) رواه البخاري (٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إخلاصًا للهِ، كانت شفاعة الرَّسول أقربَ إليه»(١).

٢ الرِّفعةُ في الدُّنيا والآخرة:

عَن سَعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «... **إنَّكَ لَن تُخَلَّفَ، فَتَعمَلَ عَمَلًا تبتغي بِهِ وَجهَ اللهِ، إلَّا ازددتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفعَةً**»(٢).

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رحمه الله: «وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَعمَالَ لَا تَزكُو عِندَ اللهِ إلَّا بِالنِّيَّاتِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُؤجَرُ عَلَى شَيءٍ مِنَ الأَعمَالِ، إلَّا مَا ابتغى بِهِ وَجهَهُ تبارك وتعالى»(٣). «وَمُحَالٌ أَن يَزكُوَ مِنَ الأَعمَالِ شَيءٌ لَا يُرَادُ بِهِ اللهُ، وَفَّقَنَا اللهُ لِمَا يَرضَاهُ، وَأَصلَحَ سَرَائِرَنَا وَعَلَانِيَتَنَا بِرَحمَتِهِ، آمِينَ»(٤).

وَقَالَ العَلَّامَةُ ابنُ عُثَيمِينَ رحمه الله: «فَأَشَارَ فِي هَذَا الحَدِيثِ إِلَى الإِخلَاصِ فِي كَونِ الإِنسَانِ يَبتَغِي بِعَمَلِهِ وَبِإِنفَاقِ مَالِهِ وَجهَ اللهِ، حَتَّى يَنَالَ عَلَى ذَلِكَ الأَجرَ، وَزِيَادَةَ الدَّرَجَاتِ، وَالرِّفعَةَ عِندَ اللهِ عز وجل. وَاللهُ المُوَفِّقُ»(٥).

فَمَن أَخلَصَ للهِ عَمَلَهُ، زَكَّى اللهُ عَمَلَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الثَّوَابِ أَمَلَهُ، وَزَادَهُ خَيرًا وَدَرَجَةً وَرِفعَةً.

٣ العَمَلُ عَلَى المَقصَدِ الأَعلَى وَالمَطلَبِ الأَسنَى:

وَمِن ثَمَرَاتِ الإِخلَاصِ: أَنَّ «المُخلِصَ للهِ قَد عَلَّقَ قَلبَهُ بِأَكمَلِ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٢٣).
(٢) رواه البخاري (٣٩٣٦)، ومسلم (١٦٢٨).
(٣) «التمهيد» (٨/ ٣٨٦).
(٤) المصدر السابق (٧/ ١٠٦).
(٥) «شرح رياض الصَّالحين» (١/ ٦٠).

مَا تَعَلَّقَت بِهِ القُلُوبُ مِن رِضوَانِ رَبِّهِ، وَطَلَبِ ثَوَابِهِ، وَعَمِلَ عَلَى هَذَا المَقصَدِ الأَعلَى، فَهَانَت عَلَيهِ المَشَقَّاتُ، وَسَهُلَت عَلَيهِ النَّفَقَاتُ، وَسَمُحَت نَفسُهُ بِأَدَاءِ الحُقُوقِ كَامِلَةً مُوَفَّرَةً، وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَوَّضَ عَمَّا فَقَدَهُ أَفضَلَ الأَعوَاضِ، وَأَجزَلَ الثَّوَابِ، وَخَيرَ الغَنَائِمِ»[١].

٤ المَنعُ مِن قَصدِ مُرَاءَاةِ النَّاسِ وَطَلَبِ مَحمَدَتِهِم:

وَمِن ثَمَرَاتِ الإِخلَاصِ: أَنَّهُ يَمنَعُ مَنعًا بَاتًّا مِن قَصدِ مُرَاءَاةِ النَّاسِ، وَطَلَبِ مَحمَدَتِهِم، وَالهَرَبِ مِن ذَمِّهِم، وَالعَمَلِ لِأَجلِهِم، وَالوُقُوفِ عِندَ رِضَاهُم وَسَخَطِهِم، وَالتَّقَيُّدِ بِإِرَادَتِهِم وَمُرَادِهِم، وَهَذَا هُوَ الحُرِّيَّةُ الصَّحِيحَةُ: أَن لَا يَكُونَ القَلْبُ مُتَقَيِّدًا، مُتَعَلِّقًا بِأَحَدٍ مِنَ الخَلقِ.

٥ عَدَمُ انتِظَارِ الجَزَاءِ وَالثَّنَاءِ مِنَ النَّاسِ:

وَمِن ثَمَرَاتِ الإِخلَاصِ الطَّيِّبَةِ: أَنَّ المُخلِصَ إِذَا عَمِلَ مَعَ النَّاسِ إِحسَانًا قَولِيًّا، أَو فِعلِيًّا، أَو مَالِيًّا أَو غَيرَهُ، لَم يُبَالِ بِجَزَائِهِم وَلَا شُكرِهِم، لِأَنَّهُ عَامَلَ اللَّهَ تَعَالَى، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا، وَلَا يُثنِي عَزمَهُ وَنَشَاطَهُ قِلَّةُ شُكرِهِم لَهُ، فَقَد قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي حَقِّ المُخلِصِينَ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان]؛ «فَجَعَلَ غَايَةَ أَعمَالِ الأَبرَارِ، وَالمُقَرَّبِينَ، وَالمُحِبِّينَ: إِرَادَةَ وَجْهِهِ»[٢]. أَي: يَقْصِدُونَ

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلّام» (ص٩٩ - ١٠٠).

(٢) «تهذيب المدارج» (٢/ ٨١٩).

بِأَعمَالِهِم وَجْهَ اللهِ ﷻ، بِدُخُولِهِمُ الجَنَّةَ وَرُؤيَتِهِ فِيهَا.

وَاعلَم بِأَنَّ العَبدَ مَتَى أَنفَقَ لِيُرِيدَ مِنَ المُنفَقِ عَلَيهِ جَزَاءً بِوَجهٍ مِنَ الوُجُوهِ، فَهَذا لَم يُرِد وَجهَ اللهِ، وَإِنَّمَا يُقبَلُ مَا كَانَ عَطَاؤُهُ للهِ، وَقَصدُهُ ابتِغَاءَ وَجهِ اللهِ.

«فَلِهَذَا يَنبَغِي لِلعَبدِ: أَن يَقصِدَ وَجهَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُخْلِصَ العَمَلَ للهِ، فِي كُلِّ وَقتٍ، وَفِي كُلِّ جُزءٍ مِنْ أَجزَاءِ الخَيرِ، لِيَحْصُلَ لَهُ بِذَلِكَ: الأَجرُ العَظِيمُ، وَلِيَتَعَوَّدَ الإِخلَاصَ، فَيَكُونَ مِنَ المُخلِصِينَ، وَلِيُتَمَّ لَهُ الأَجرُ، سَوَاءٌ تَمَّ مَقصُودُهُ أَم لَا، لِأَنَّ النِّيَّةَ حَصَلَت، وَاقتَرَنَ بِهَا مَا يُمكِنُ مِنَ العَمَلِ»[1].

٦ رِضَى اللهِ تَعَالَى:

مَنْ عَمِلَ لِوَجهِ اللهِ الكَرِيمِ، نَالَ الرِّضَىٰ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل].

فَهُوَ «إِذَا أَحسَنَ إِلَىٰ النَّاسِ، فَإِنَّمَا يُحسِنُ إِلَيهِمُ ابتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأَعلَىٰ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَد مَنَّ عَلَيهِ بِأَنْ جَعَلَهُ مُحسِنًا، فَيَرَىٰ أَنَّ عَمَلَهُ للهِ وَبِاللهِ؛ فَلَا يَطلُبُ مِمَّنْ أَحسَنَ إِلَيهِ جَزَاءً، وَلَا شُكُورًا، وَلَا يَمُنُّ عَلَيهِ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ قَد عَلِمَ أَنَّ اللهَ هُوَ المَانُّ عَلَيهِ، إِذِ استَعمَلَهُ فِي الإِحسَانِ، فَعَلَيهِ: أَن يَشكُرَ اللهَ إِذ يَسَّرَهُ لِليُسرَىٰ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ الشَّخصِ: أَن يَشكُرَ اللهَ، إِذ يَسَّرَ لَهُ مَا يَنفَعُهُ»[2]. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَلَسَوفَ يَرضَىٰ عَنْهُ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٥٤).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٢٢١) و(١٤/ ٣٢٩- ٣٣٠).

رَبُّ العَالَمِينَ بِمَا يُعطِيهِ «مِنَ الكَرَامَةِ وَالجَزَاءِ العَظِيمِ، وَهُوَ وَعدٌ مِنَ الكَرِيمِ تَعَالَىٰ، عَلَىٰ أَكمَلِ الوُجُوهِ وَأَجَلِّهَا»(١).

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي الآيَةِ الإِرشَادُ إِلَى أَنَّ صَاحِبَ التَّقوَى لَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنَ الخَلقِ وَنِعَمِهِم، وَإِنْ حَمَلَ مِنهُم شَيئًا بَادَرَ إِلَى جَزَائِهِم عَلَيهِ، لِئَلَّا يَتَبَقَّى لِأَحَدٍ مِنَ الخَلقِ عَلَيهِ نِعمَةٌ تُجزَى، فَيَكُونَ بَعدَ ذَلِكَ عَمَلُهُ كُلُّهُ للهِ وَحدَهُ، لَيسَ لِلمَخلُوقِ جَزَاءٌ عَلَى نِعمَتِهِ.

وَنَبَّهَ سُبحَانَهُ بِقَولِهِ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]: عَلَى أَنَّ مَن لَيسَ لِمَخلُوقٍ عَلَيهِ نِعمَةٌ تُجزَى، لَا يَفعَلُ مَا يَفعَلُهُ، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى، بِخِلَافِ مَنْ تَطَوَّقَ نِعَمَ المَخلُوقِينَ وَمِنَنَهُم، فَإِنَّهُ مُضطَرٌّ إِلَى أَنْ يَفعَلَ لِأَجلِهِم، وَيَترُكَ لِأَجلِهِم.

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ كَمَالِ الإِخلَاصِ: أَنْ لَا يَجعَلَ العَبدُ عَلَيهِ مِنَّةً لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، لِتَكُونَ مُعَامَلَتُهُ كُلُّهَا للهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ، وَطَلَبِ مَرضَاتِهِ»(٢).

«وَكَمَا أَنَّ هَذِهِ الغَايَةَ أَعلَىٰ الغَايَاتِ، وَهَذَا المَطلُوبُ أَشرَفُ المَطَالِبِ. وَالإِخلَاصُ أَقصَدُ الطُّرُقِ إِلَيهِ، وَأَقرَبُهَا وَأَقوَمُهَا. وَبِاللهِ التَّوفِيقُ»(٣).

٧ النَّجَاةُ مِنَ الفِتَنِ:

مَن أَرَادَ أَن يَتَّخِذَ سَبَبًا لِلنَّجَاةِ مِنَ الفِتَنِ، فَإِنَّ الإِخلَاصَ للهِ تَعَالَى خَيرُ السَّبَبِ.

---

(١) «فتح البيان» (١٥/ ٢٧٢).

(٢) «التبيان في أقسام القرآن» (ص٤٦ - ٤٧).

(٣) المصدر السابق (ص٤٧)، بتصرُّف يسير.

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَاللَّهُ تَعَالَى يَبتَلِي عَبدَهُ المُؤمِنَ لِيُطَهِّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعَايِبِ، وَمِن رَحمَتِهِ بِعَبدِهِ المُخلِصِ: أَن يَصرِفَ عَنهُ مَا يَغَارُ عَلَيهِ مِنهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]»[1]؛ فَالسُّوءُ: العِشقُ، وَالفَحشَاءُ: الزِّنَا.

«فَلَمَّا أَخلَصَ [يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ] لِرَبِّهِ، صَرَفَ عَنهُ دَوَاعِيَ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ،... فَالإِخلَاصُ: هُوَ سَبِيلُ الخَلَاصِ»[2].

فَالمُخلِصُ «يَصرِفُ اللَّهُ عَنهُ: مِنَ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ، مَا لَا يَصرِفُهُ عَن غَيرِهِ»[3].

وَكُلَّمَا كَانَ أَعظَمَ إِخلَاصًا، كَانَ مِنهَا أَبعَدَ[4].

فَإِنَّ القَلْبَ إِذَا خَلُصَ وَأَخلَصَ عَمَلَهُ لِلَّهِ، لَم يَتَمَكَّن مِنهُ عِشقُ الصُّوَرِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِن قَلبٍ فَارِغٍ؛ كَمَا قِيلَ:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبلَ أَنْ أَعرِفَ الهَوَى فَصَادَفَ قَلبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا[5]

فَمَنِ ابتُلِيَ بِمُشَاهَدَةِ الأَفلَامِ الخَلِيعَةِ، وَالدُّخُولِ عَلَى المَوَاقِعِ الإِبَاحِيَّةِ؛ إِنَّمَا هُوَ مِن جَهلِهِ وَغَفلَةِ قَلبِهِ عَنِ اللَّهِ، فَعَلَيهِ أَن يَرجِعَ بِقَلبِهِ إِلَى اللَّهِ، «وَلَيسَ لَهُ دَوَاءٌ أَنفَعُ مِنَ الإِخلَاصِ لِلَّهِ، وَهُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، حَيثُ قَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]»[6].

---

(١) «الاستقامة» (٢/ ٤٩).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٧٧).
(٣) «فتح الرحيم الملك العلّام» (ص١٠٠).
(٤) «موارد الأمان» (ص١٢٩).
(٥) «الداء والدواء» (ص٣٢٥).
(٦) المصدر السابق (ص٣٢٤).

فَجَازَاهُ عَلَى إِخْلَاصِهِ: بِصَرْفِ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ عَنْهُ[١].

«فَمَنْ أخلَصَ للهِ: أَخلَصَهُ وَخَلَّصَهُ مِنَ الشُّرُورِ، وَعَصَمَهُ مِنَ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ»[٢].

وَمَنْ لَمْ يُخلِص للهِ «اسْتَوْلَتْ عَلَى قَلْبِهِ الشَّيَاطِينُ، وَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ، وَصَارَ فِيهِ مِنَ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَهَذَا أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا حِيلَةَ فِيهِ»[٣].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَسبَابُ حِفظِ اللهِ العَبدَ مِنَ الشُّرُورِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف].

هَذَانِ الأَمرَانِ مِن أَلطَافِ حِفظِ البَارِي لِخَواصِّ أَنبِيَائِهِ وَأَصفِيَائِهِ: صَرفُ أَسبَابِ السُّوءِ وَالفَحشَاءِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَصَرفُ الأَسبَابِ الخَارِجِيَّةِ؛ وَمَن أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيرًا، صَرَفَ عَنهُ الأَمرَينِ اللَّذَيْنِ هُمَا مَجمُوعُ الفِتَنِ؛ وَذَكَرَ اللهُ لِهَذَا الصَّرفِ، الَّذِي هُوَ مِن أَجَلِّ نِعَمِهِ، سَبَبَينِ:

أَحَدُهُمَا: قُوَّةُ الإِخلَاصِ مِنَ العَبدِ، وَاستِخلَاصُ اللهِ لَهُ.

وَالثَّانِي: اللَّهَجُ بِالتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ؛ فَمَن أَخلَصَ للهِ، استَخلَصَهُ اللهُ

---

(١) «شفاء العليل» (٢/ ٤٦٦).

(٢) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ١٢١)، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢١٦).

وَوَفَّقَهُ لِفِعلِ الخَيرَاتِ، وَصَرَفَ عَنهُ السُّوءَ وَالمَكرُوهَاتِ؛ وَمَن تَضَرَّعَ لَهُ وَأَلَحَّ بِالدُّعَاءِ، استَجَابَ اللهُ لَهُ، فَصَرَفَ عَنهُ شَرَّ شَيَاطِينِ الإِنسِ وَالجِنِّ، وَكَفَاهُ كَيدَ الكَائِدِينَ وَمَكرَ المَاكِرِينَ.

فَيُوسُفُ ﷺ لَـمَّا كَمَّلَ الأَمرَينِ: الإِخلَاصَ للهِ وَالتَّضَرُّعَ لَهُ، وَالالتِجَاءَ إِلَيهِ وَالاعتِصَامَ بِهِ، حَفِظَهُ اللهُ حِفظًا كَامِلًا مِنَ الشُّرُورِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، الدَّاخِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُصُّ عَلَينَا قَصَصَ أَنبِيَائِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ عِبرَةً لَنَا؛ وَالعِبرَةُ هُنَا: أَنَّ كُلَّ مَن لَهُ حَظٌّ مِنَ الإِخلَاصِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، فَلَهُ حَظٌّ مِن حِفظِ اللهِ وَصِيَانَتِهِ، بِحَسَبِ مَا قَامَ بِهِ مِن قُوَّةِ الأَمرَينِ أَو ضَعفِهِمَا؛ وَمَن فَاتَهُ الأَمرَانِ، وُكِلَ إِلَى نَفسِهِ، وَلَم يَحصُل لَهُ حِفظٌ وَلَا صِيَانَةٌ، وَوَقَعَ فِي فِتَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ.

فَنَسأَلُ اللهَ العِصمَةَ، وَأَن لَا يَكِلَنَا إِلَى حَولِنَا وَقُوَّتِنَا طَرفَةَ عَينٍ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ»[1].

٨ المَوْتُ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ:

عَن حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَسنَدتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَىٰ صَدْرِي، فَقَالَ: «**مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ابتِغَاءَ وَجهِ اللهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الجَنَّةَ؛ وَمَن صَامَ يَومًا ابتِغَاءَ وَجهِ اللهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الجَنَّةَ؛ وَمَن تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابتِغَاءَ وَجهِ اللهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2].

---

(١) «مجموع الفوائد» (ص ٢٥٦ - ٢٥٧).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٩١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٥).

قَولُهُ: «**ابتِغَاءَ وَجهِ ٱللَّهِ**» أي: تَقصِدُ بِهِ وَجهَ ٱللَّهِ ﷻ، بِدُخولِكَ الجَنَّةَ وَرُؤيَتِهِ فِيهَا.

لِأَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ - جَعَلَنِي ٱللَّهُ وَإِيَّاكُم مِنهُم - يَرونَ ٱللَّهَ تَعَالَى، وَيَنظُرُونَ إِلَيهِ عِيَانًا، كَمَا يَرونَ الشَّمسَ صَحوًا لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ، يَعنِي: أَنَّهُم يَرونَ ذَلِكَ حَقًّا(١).

وَالمَوْتُ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ: فَضِيلَةٌ جَلِيلَةٌ، وَمَكرُمَةٌ نَبِيلَةٌ، وَنِعمَةٌ عَظِيمَةٌ، لَا تُسَاوِيهَا نِعمَةٌ.

«وَلِأَجلِ هَذَا: كَانَ جَدِيرًا بِالعَاقِلِ: أَن يَلزَمَ [الإِخلَاصَ فِي الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ وَالأَحوَالِ حَيثُمَا كَانَ]، لِأَجلِ تِلكَ اللَّحظَةِ، الَّتِي إِن فَاتَت، شَقِيَ شَقَاوَةَ الأَبَدِ»(٢).

اللَّهُمَّ أَحيِنَا عَلَى إِخْلَاصِ التَّوحِيدِ، وَأَمِتنَا عَلَى صَالِحِ العَمَلِ، فَإِنَّ الِاعتِبَارَ بِالخَوَاتِيمِ(٣).

٩ انتِفَاءُ الخَوفِ وَالحَزَنِ:

قَالَ ﷻ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة].

فَقَد أَخبَرَ ٱللَّهُ تَعَالَى: أَنَّهُ مَن أَخلَصَ قَصدَهُ لِلَّهِ، وَكَانَ مُحسِنًا فِي عَمَلِهِ، فَإِنَّهُ مُستَحِقٌّ لِلثَّوَابِ، سَالِمٌ مِنَ العِقَابِ.

---

(١) «شرح رياض الصَّالحين» (١/ ٢٩).
(٢) «طريق الهجرتين» (ص٥٤٦).
(٣) «الدِّين الخالص» (٣/ ١٤٧).

وَذَلِكَ أَنَّ إِسلَامَ الوَجهِ للهِ: هُوَ مُتَضَمِّنٌ إِخْلَاصَ القَصدِ وَالنِّيَّةِ للهِ، كمَا قَالَ بَعضُهُم:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَستُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العِبَادِ إِلَيهِ الوَجْهُ وَالعَمَلُ[(١)]

فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ قَصْدُهُ وَمُرَادُهُ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى اللهِ، فَهَذَا صَلَاحُ إِرَادَتِهِ وَقَصْدُهُ؛ فَإِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ مُحْسِنًا، فَقَدِ اجْتَمَعَ لَهُ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ صَالِحًا، وَأَن يَكُونَ للهِ تَعَالَى.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الْإِحْسَانُ: وَهُوَ فِعْلُ الْحَسَنَاتِ، وَهُوَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ هُوَ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ، وَهُوَ المُوَافِقُ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ؛ فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى: أَنَّهُ مَنْ أَخْلَصَ قَصْدَهُ للهِ، وَكَانَ مُحْسِنًا فِي عَمَلِهِ، فَإِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلثَّوَابِ، سَالِمٌ مِنَ الْعِقَابِ[(٢)].

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ إِسْلَامَ الْوَجْهِ للهِ يَتَضَمَّنُ إِخْلَاصَ الْعَمَلِ للهِ، وَالْإِحْسَانُ هُوَ إِحْسَانُ الْعَمَلِ للهِ، وَهُوَ فِعْلُ مَا أَمَرَ بِهِ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف]، فَإِنَّ الْإِسَاءَةَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِهَانَةَ بِالْأَمْرِ بِهِ، وَالِاسْتِهَانَةَ بِنَفْسِ الْعَمَلِ، وَالِاسْتِهَانَةَ بِمَا وَعَدَهُ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ؛ فَإِذَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ دِينَهُ للهِ وَأَحْسَنَ الْعَمَلَ لَهُ، كَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ، فَكَانَ مِنَ الَّذِينَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»[(٣)].

---

(١) استشهد به ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١/ ٥٦) [الفاتحة: ٦]، و(٤/ ٤٧) [آل عمران: ١٢١]، و(٢٠/ ٨٢) [القصص: ٨٨]. وهو من الأبيات، التي لا يُعرَف قائلها.

(٢) «الاستقامة» (٢/ ٣٠٧ - ٣٠٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٥١).

١٠ قبول الأعمال:

فَإِنَّ الإِخلَاصَ للهِ مَطلَبٌ ضَرُورِيٌّ لِقَبُولِ الأَعمَالِ، وَالمُجَازَاةِ عَلَيهَا بِعَظِيمِ الثَّوَابِ، وَجَزِيلِ العَطَايَا وَالهِبَاتِ.

«إِذَا لَم يَكُن للهِ فِعلُكَ خَالِصًا فَكُلُّ بِنَاءٍ قَد بَنَيتَ خَرَابُ»[1]

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ! إِذَا عَمِلتُم عَمَلًا، فَأَخلِصُوا للهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَنفَعُكُم، وَلَا يَتَقَبَّلُ مِنكُم، إِلَّا مَا كَانَ لِوَجهِهِ خَالِصًا.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيتَ رَجُلًا غَزَا، يَلتَمِسُ الأَجرَ وَالذِّكرَ، مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا شَيءَ لَهُ**» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا شَيءَ لَهُ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقبَلُ مِنَ العَمَلِ، إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابتُغِيَ بِهِ وَجهُهُ**»[2].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: «فَهَذَا قَد بَطَلَ أَجرُهُ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَصَدَ حُصُولَ الأَجرِ؛ لَمَّا ضَمَّ إِلَيهِ قَصدَ الذِّكرِ بَينَ النَّاسِ، فَلَم يُخلِص عَمَلَهُ للهِ، فَبَطَلَ كُلُّهُ»[3].

وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَاعلَم بِأَنَّ الأَجرَ لَيسَ بِحَاصِلٍ إِلَّا إِذَا كَانَت لَهُ صِفَتَانِ

(١) «ديوان الصنعاني» (ص٦٦).

(٢) رواه النسائي (٣١٤٠)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (٢/ ٣٨٤) [طبعة مكتبة المعارف]: «حسن صحيح».

(٣) «عدة الصابرين» (ص ٢٦٨).

لَا بُـدَّ مِـن إِخْـلَاصِـهِ وَنَـقَـائِـهِ وَخُـلُـوِّهِ مِـن سَـائِـرِ الأَدرَانِ

قَـالَ الـعَـلَّامَـةُ الـسَّـعـدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الـعَـمَـلُ إِذَا كَـانَ الـدَّاعِـي لِفِعلِهِ وَتَكمِيلِهِ: وَجهَ اللَّهِ، وَطَلَبَ رِضَاهُ، وَالفَوزَ بِثَوَابِهِ؛ فَهَذَا العَمَلُ المَقبُولُ: الَّذِي قَلِيلُهُ كَثِيرٌ، وَغَايَتُهُ أَشرَفُ الغَايَاتِ، وَنَفعُهُ مُستَمِرٌّ دَائِمٌ»[1].

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالقَبُولُ هُنَا يُرَادُ بِهِ: الرِّضَا بِالعَمَلِ، وَالمَدحُ لِعَامِلِهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيهِ فِي المَلَإِ الأَعلَى، وَمُبَاهَاةُ المَلَائِكَةِ»[2].

وَالعَارِفُونَ كُلُّهُم إِنَّمَا يَطلُبُونَ القَبُولَ - وَهُوَ الرِّضَا -، وَيَخَافُونَ مِن فَوَاتِهِ أَشَدَّ الخَوفِ[3].

عَـنْ عَـائِـشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَـالَـتْ: سَـأَلْـتُ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ عَـنْ هَـذِهِ الآيَـةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ قَالَـتْ: أَهُـمُ الَّذِيـنَ يَشْـرَبُونَ الـخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُم يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُم، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**»[4].

وَمَنْ عَلِمَ شِدَّةَ حَاجَتِهِ إِلَى صَافِي الحَسَنَاتِ غَدًا فِي القِيَامَةِ، غَلَبَ عَلَى قَلبِهِ حَذَرُ الرِّيَاءِ وَتَصحِيحُ الإِخلَاصِ بِعَمَلِهِ، حَتَّى يُوَافِيَ يَومَ القِيَامَةِ بِالخَالِصِ المَقبُولِ؛ إِذ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَخلُصُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَّا مَا خَلُصَ مِنهُ، وَلَا يُقبَلُ يَومَ القِيَامَةِ إِلَّا مَا كَانَ صَافِيًا لِوَجهِهِ، لَا تَشُوبُهُ إِرَادَةٌ بِشَيءٍ غَيرِهِ.

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨٨)، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «شرح حديث شداد بن أوس» (ص٣٩). (٣) المصدر السابق.

(٤) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٢٨٧).

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْأَعْمَالُ أَرْبَعَةٌ: وَاحِدٌ مَقْبُولٌ، وَثَلَاثَةٌ مَرْدُودَةٌ؛ فَالمَقْبُولُ: مَا كَانَ للَّهِ خَالِصًا وَلِلسُّنَّةِ مُوَافِقًا، وَالمَرْدُودُ: مَا فُقِدَ مِنْهُ الْوَصْفَانِ، أَوْ أَحَدُهُمَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَ المَقْبُولَ: هُوَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَضِيَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يُحِبُّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَمَا عُمِلَ لِوَجْهِهِ؛ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّهُ لَا يُحِبُّهَا، بَلْ يَمْقُتُهَا، وَيَمْقُتُ أَهْلَهَا»(١).

وَقَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَمَلُ الَّذِي يَمحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا وَيُكَفِّرُ بِهِ السَّيِّئَاتِ: هُوَ العَمَلُ المَقبُولُ. وَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ مِنَ المُتَّقِينَ... وَالسَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ يَقُولُونَ: لَا يَتَقَبَّلُ إِلَّا مِمَّنِ اتَّقَاهُ فِي ذَلِكَ العَمَلِ، فَفَعَلَهُ كَمَا أُمِرَ بِهِ خَالِصًا لِوَجهِ اللَّهِ تَعَالَى...

فَصَاحِبُ الكَبَائِرِ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ فِي عَمَلٍ مِنَ الأَعمَالِ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنهُ، وَمَن هُوَ أَفضَلُ مِنهُ إِذَا لَم يَتَّقِ اللَّهَ فِي عَمَلٍ لَم يَتَقَبَّلهُ مِنهُ، وَإِن تَقَبَّلَ مِنهُ عَمَلًا آخَرَ.

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ مِمَّن يَعمَلُ العَمَلَ عَلَى الوَجهِ المَأمُورِ بِهِ، ... فَالمَحوُ وَالتَّكفِيرُ يَقَعُ بِمَا يَتَقَبَّلُ مِنَ الأَعمَالِ. وَأَكثَرُ النَّاسِ يُقَصِّرُونَ فِي الحَسَنَاتِ، حَتَّى فِي نَفسِ صَلَاتِهِم. فَالسَّعِيدُ مِنهُم مَن يُكتَبُ لَهُ نِصفُهَا، وَهُم يَفعَلُونَ السَّيِّئَاتِ كَثِيرًا. فَلِهَذَا يُكَفَّرُ بِمَا يُقبَلُ مِنَ الصَّلَوَاتِ الخَمسِ شَيءٌ، وَبِمَا يُقبَلُ مِنَ الجُمُعَةِ شَيءٌ، وَبِمَا يُقبَلُ مِن صِيَامِ رَمَضَانَ شَيءٌ آخَرُ. وَكَذَلِكَ سَائِرُ الأَعمَالِ، وَلَيسَ كُلُّ حَسَنَةٍ تَمحُو كُلَّ سَيِّئَةٍ، بَلِ المَحوُ يَكُونُ لِلصَّغَائِرِ تَارَةً، وَيَكُونُ لِلكَبَائِرِ تَارَةً بِاعتِبَارِ

---

(١) «إعلام الموقِّعين» (٢/ ١٦٩).

المُوَازَنَةِ؛ وَالنَّوعُ الوَاحِدُ مِنَ العَمَلِ: قَد يَفعَلُهُ الإِنسَانُ عَلَى وَجهٍ يَكمُلُ فِيهِ إِخلَاصُهُ وَعُبُودِيَّتُهُ للهِ، فَيَغفِرُ اللهُ لَهُ بِهِ كَبَائِرَ(١).

١١ مَحبَّةُ اللهِ تَعَالَى لِلمُخلِصِينَ:

عَنْ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ، التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ**»(٢).

الخَفِيُّ: فَمَعنَاهُ الخَامِلُ المُنقَطِعُ إِلَى العِبَادَةِ، وَالِاشتِغَالِ بِأُمُورِ نَفسِهِ(٣). لَا يَهتَمُّ أَنْ يَظهَرَ عِندَ النَّاسِ، أَو يُشَارَ إِلَيهِ بِالبَنَانِ، أَو يَتَحَدَّث النَّاسُ عَنهُ(٤).

إِنسَانٌ خَفِيٌّ لَا يُحِبُّ الظُّهُورَ، وَلَا يَتَصَدَّرُ لِشَيءٍ، لِأَنَّ أَهَمَّ مَا عِندَهُ: هُوَ مَحَبَّةُ اللهِ لَهُ، وَرِضَا اللهِ عَنهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»(٥). هَذَا الأَشْعَثُ المَدْفُوعُ بِالأَبوَابِ، خَفِيٌّ مَا يُعْرَفُ، وَلَا يُؤذَنُ لَهُ فَيَدْخُلَ؛ فَالإِنسَانُ الخَفِيُّ الَّذِي لَا يُحِبُّ أَن يَتَظَاهَرَ أَمَامَ النَّاسِ، هَذَا هُوَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ؛ كُن خَفِيًّا، تَكُنْ عِندَ اللهِ تَعَالَى عَظِيمًا رَفِيعًا(٦).

وَمُعَامَلَةُ العَبدِ رَبَّهُ سِرًّا «مِن أَعظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى عَبدِهِ المُؤمِنِ،

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢١٦-٢١٩). (٢) رواه مسلم (٢٩٦٥).
(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ١٠٠) [طبعة دار الفكر المصوَّرة].
(٤) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٥١١)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
(٥) رواه مسلم (٢٨٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ.
(٦) انظر: «شرح بلوغ المرام» (٦/ ٣٠٠)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

الَّذِي رَزَقَهُ نَصِيبًا مِن ذَوقِ الإِيمَانِ، فَهُوَ يَعِيشُ بِهِ مَعَ رَبِّهِ عَيشًا طَيِّبًا، وَيَحجِبُهُ عَن خَلقِهِ، حَتَّى لَا يُفسِدُوا عَلَيهِ حَالَهُ مَعَ رَبِّهِ؛ فَهَذِهِ هِيَ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ، فَمَن عَرَفَ قَدرَهَا، وَشَكَرَ عَلَيهَا، فَقَد تَمَّت عَلَيهِ النِّعمَةُ»[١].

١٢ بُلُوغ النِّيَّةِ الخَالِصَةِ مَبلَغَ العَمَلِ:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»[٢].

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رحمه الله: «مَن نَوَى عَمَلًا صَالِحًا، وَحَرَصَ عَلَى فِعلِهِ، وَمَنَعَهُ مَانِعٌ - مِنْ مَرَضٍ، أَو سَفَرٍ أَو عَجزٍ، أَو غَيرِهِمَا -؛ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَاهُ، مِنْ ذَلِكَ العَمَلِ»[٣].

وَقَالَ العَلَّامَةُ ابنُ عُثَيمِينَ رحمه الله: «فَينبَغِي لِلعَاقِلِ فِي حَالِ الصِّحَّةِ أَنْ يَغتَنِمَ الفُرصَةَ، حَتَّى إِذَا مَرِضَ كُتِبَ لَهُ عَمَلُهُ فِي الصِّحَّةِ، وَأَنْ يَحرِصَ مَا دَامَ مُقِيمًا عَلَى كَثْرَةِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، حَتَّى إِذَا سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الإِقَامَةِ»[٤].

عَن جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ يَعُودُ عَبْدَ اللهِ بْنَ ثَابِتٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ غُلِبَ عَلَيْهِ، فَصَاحَ بِهِ، فَلَمْ يُجِبْهُ، فَاسْتَرْجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.... فَقَالَتِ ابْنَتُهُ: وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا، فَإِنَّكَ كُنْتَ قَدْ قَضَيْتَ جِهَازَكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْقَعَ**

---

(١) «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٧٥٧). (٢) رواه البخاري (٢٩٩٦).
(٣) «المجموعة الكاملة» (٣/ ١٠٣).
(٤) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ١٩٠)، بتصرُّف يسير.

أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ...»[(١)].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «**إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالمَدِينَةِ؟! قَالَ: «**وَهُمْ بِالمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[(٢)].

فَقَد دَلَّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى: «أَنَّ النَّاوِيَ لِأَعمَالِ البِرِّ، الصَّادِقَ النِّيَّةُ فِيهَا، إِذَا مَنَعَهُ مِن ذَلِكَ عُذرٌ، كَانَ لَهُ مِثلُ أَجرِ المُبَاشِرِ مُضَاعَفًا، كَمَا قَدَّمنَاهُ. وَقَد دَلَّ عَلَيهِ مِن هَذَا الحَدِيثِ: ذِكرُ قَطعِ الوَادِي، وَالمَسِيرِ، فَإِنَّ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ إِلَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾**﴾ [التوبة]؛ وَلَمَّا كَانَ القَاعِدُونَ لِأَجلِ العُذرِ، قَد صَحَّت نِيَّتُهُم فِي مُبَاشَرَةِ كُلِّ مَا بَاشَرَهُ إِخوَانُهُمُ المُجَاهِدُونَ، أَعطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِثلَ أَجرِ مَن بَاشَرَ»[(٣)].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الحَدِيثِ فَضِيلَةُ النِّيَّةِ فِي الْخَيْرِ، وَأَنَّ مَنْ نَوَى الغَزوَ وَغَيرَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَعَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مَنَعَهُ، حَصَلَ لَهُ ثَوَابُ نِيَّتِهِ؛ وَأَنَّهُ كُلَّمَا أَكْثَرَ مِنَ التَّأَسُّفِ عَلَى فَوَاتِ ذَلِكَ، وَتَمَنَّى كَونَهُ مَعَ الغُزَاةِ وَنَحوِهِم، كَثُرَ ثَوَابُهُ»[(٤)].

---

(١) رواه مالك (٦٥٩): ومن طريقه أبو داود (٣١١١)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٩٨).

(٢) رواه البخاري (٤٤٢٣).

(٣) «المفهم» (٣/ ٧٤٥-٧٤٦).

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٥٧).

وَفِي هَذَا المَعنَى، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا ظَاعِنِينَ إِلَى البَيتِ العَتِيقِ لَقَد سِرتُم جُسُومًا وَسِرنَا نَحنُ أَروَاحًا
إِنَّا أَقَمنَا عَلَى عُذرٍ وَعَن قَدَرٍ وَمَن أَقَامَ عَلَى عُذرٍ فَقَد رَاحَا[١]

عَنْ سَهلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[٢].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: «وَلَا رَيبَ أَنَّ مَا حَصَلَ لِلْمَقْتُولِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ثَوَابِ الشَّهَادَةِ، تَزِيدُ كَيفِيَّتُهُ وَصِفَاتُهُ عَلَى مَا حَصَلَ لِنَاوِي ذَلِكَ، إِذَا مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَإِن بَلَغَ مَنزِلَةَ الشَّهِيدِ، فَهَاهُنَا أَجْرَانِ: أَجْرٌ وَقُربٌ؛ فَإِنِ استَوَيَا فِي أَصلِ الأَجرِ، لَكِنَّ الأَعمَالَ الَّتِي قَامَ بِهَا العَامِلُ تَقتَضِي أَثَرًا زَائِدًا وَقُربًا خَاصًّا، وَهُوَ فَضلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ»[٣].

وَفِي المُقَابِلِ: «لَرُبَّمَا مَاتَ البَعضُ فِي المَعَارِكِ، وَهُم يُعَذَّبُونَ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى عَدَمِ إِخلَاصِهِم؛ فَالأَفضَلُ وَالأَمثَلُ: إِخلَاصُ النِّيَّةِ وَالعَمَلِ لِلَّهِ سُبحَانَهُ»[٤].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ، وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ؛ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيهِ مِنْ رَبِّهِ عز وجل**»[٥].

---

(١) «أضواء البيان» (١/ ٣٩٧) [طبعة دار عالم الفوائد- مكة المكرَّمة].

(٢) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٣) «عدة الصابرين» (ص٣٠٦).

(٤) «حصائد الألسن» (ص١٤).

(٥) رواه النسائي (١٧٨٦)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢١): «حسن صحيح».

فَظَاهِرُ هَذَا الحَدِيثِ: «أَنَّ لَهُ أَجرًا مُكَمَّلًا مُضَاعَفًا؛ لِحُسنِ نِيَّتِهِ، وَصِدقِ تَلَهُّفِهِ وَتَأَسُّفِهِ»[١].

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المَرءَ مُجَازَى عَلَى مَا نَوَى مِن عَمَلِ الخَيرِ، وَإِن لَم يَعمَلهُ، كَمَا لَو عَمِلَهُ، إِذَا لَم يَحبِسهُ عَنهُ شُغلُ دُنيَا، مُبَاحًا أَو مَكرُوهًا، وَكَانَ المَانِعُ لَهُ عُذرًا مِنَ اللَّهِ لَا يَنفَكُّ عَنهُ.

وَهَذَا تَفَضُّلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ المُؤمِنِينَ، يُجَازِيهِم بِمَا وَفَّقَهُم لَهُ إِذَا عَمِلُوهُ؛ وَإِن حَالَ دُونَ العَمَلِ حَائِلٌ، جَازَى صَاحِبَهُ عَلَى النِّيَّةِ فِيهِ»[٢].

عَن أَبِي كَبشَةَ الأَنمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «... **إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ؛ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ؛ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ؛ وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[٣].

فَالغَنِيُّ العَالِمُ فِي أَعلَى المَنَازِلِ عِندَ اللَّهِ. «وَجَعَلَ الفَقِيرَ الصَّادِقَ إِذَا نَوَى أَن يَعمَلَ بِعَمَلِهِ، وَقَالَ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ ثَانِيًا، وَإِنَّهُ بِنِيَّتِهِ وَقَولِهِ، وَأَجرُهُمَا

---

(١) «الفتح الرباني» (١٩/ ٥).
(٢) «الاستذكار» (٢/ ٨٠ - ٨١).
(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦).

سَوَاءٌ. فَإِنَّ كُلًّا مِنهُمَا نَوَى خَيرًا وَعَمِلَ مَا يَقدِرُ عَلَيهِ، فَالغَنِيُّ نَوَاهُ وَنَفَّذَهُ بِعِلمِهِ، وَالفَقِيرُ العَالِمُ نَوَاهُ وَنَفَّذَهُ بِلِسَانِهِ، فَاستَوَيَا فِي الأَجرِ مِن هَذِهِ الجِهَةِ، وَلَا يَلزَمُ مِنَ استِوَائِهِمَا فِي أَصلِ الأَجرِ، استِوَاؤُهُمَا فِي كَيفِيَّتِهِ وَتَفَاصِيلِهِ؛ فَإِنَّ الأَجرَ عَلَى العَمَلِ وَالنِّيَّةِ، لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَى الأَجرِ عَلَى مُجَرَّدِ النِّيَّةِ الَّتِي قَارَنَهَا القَولُ. وَمَن نَوَى الحَجَّ، وَلَم يَكُن لَهُ مَالٌ يَحُجُّ بِهِ، وَإِن أُثِيبَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ ثَوَابَ مَن بَاشَرَ أَعمَالَ الحَجِّ مَعَ النِّيَّةِ، لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَيهِ»[(١)].

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا التَّسَاوِي مَعَ الْأَجْرِ وَالْوِزْرِ، هُوَ فِي حِكَايَةِ حَالِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، وَكَانَ صَادِقًا فِيهِ، وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ إِرَادَةً جَازِمَةً، لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا الْفِعْلُ إِلَّا لِفَوَاتِ الْقُدْرَةِ؛ فَلِهَذَا اسْتَوَيَا فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. وَلَيْسَ هَذِهِ الْحَالُ تَحْصُلُ لِكُلِّ مَنْ قَالَ: لَوْ أَنَّ لِي مَا لِفُلَانٍ، لَفَعَلْتُ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ»[(٢)].

فَمَن هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ وَعَزَمَ عَلَيهَا بِدُونِ أَن يَسعَى بِأَسبَابِهَا: كَالرَّجُلِ الَّذِي أَخبَرَ عَنهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»؛ وَكَانَ فُلَانٌ يُسرِفُ عَلَى نَفسِهِ فِي تَصرِيفِ مَالِهِ، فَهَذَا يُكتَبُ عَلَيهِ سَيِّئَةٌ، لَكِن لَيسَ كَعَامِلِ السَّيِّئَةِ، بَل يُكتَبُ وِزرُ نِيَّتِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ بِلَفظِهِ: «**فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**».

وَمَن هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ وَسَعَى فِي الحُصُولِ عَلَيهَا وَلَكِن عَجِزَ، فَهَذَا يُكتَبُ عَلَيهِ وِزرُ السَّيِّئَةِ كَامِلًا، دَلِيلُ ذَلِكَ: قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

---

(١) «عدة الصابرين» (ص٣٠٦).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٧٣٣ - ٧٣٤).

هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ - أَي: لِمَاذَا يَكُونُ فِي النَّارِ؟ - قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»(١). فَكَتَبَ عَلَيهِ عُقُوبَةَ القَاتِلِ.

وَمِثَالُهُ: لَو أَن إِنسَانًا تَهَيَّأَ لِيَسرِقَ، وَأَتَى بِالسُّلَّمِ لِيَتَسَلَّقَ، وَلَكِن عَجِزَ؛ فَهَذَا يُكتَبُ عَلَيهِ وِزرُ السَّارِقِ، لِأَنَّهُ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ، وَسَعَى بِأَسبَابِهَا، وَلَكِن عَجِزَ(٢).

فَعَلَى قَدرِ النِّيَّةِ يُعطَى الإِنسَانُ، وَعَلَى قَدرِ النِّيَّةِ يَكُونُ الأَثَرُ فِي قَولِهِ أَو فِعلِهِ، وَعَلَى قَدرِ النِّيَّةِ يَكُونُ الثَّوَابُ، وَيَحصُلُ «لِلعَبدِ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالنَّتَائِجِ: بِحَسَبِ نِيَّتِهِ»(٣).

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ المُصِرَّ عَلَى المَعصِيَةِ فَاسِقٌ مُؤَاخَذٌ وَإِن لَم يَفعَلهَا، وَبِأَنَّ أَعمَالَ القُلُوبِ فِي الثَّوَابِ وَالعِقَابِ كَأَعمَالِ الجَوَارِحِ، وَلِهَذَا يُثَابُ عَلَى الحُبِّ وَالبُغضِ، وَالمُوَالَاةِ وَالمُعَادَاةِ فِي اللَّهِ، وَعَلَى التَّوَكُّلِ وَالرِّضَى، وَالعَزمِ عَلَى الطَّاعَةِ؛ وَيُعَاقَبُ عَلَى الكِبرِ وَالحَسَدِ، وَالعُجبِ وَالشَّكِّ، وَالرِّيَاءِ وَظَنِّ السُّوءِ بِالأَبرِيَاءِ»(٤).

فَالنِّيَّةُ هِيَ كُلُّ شَيءٍ، نَسأَلُ اللَّهَ أَن يُخلِصَ لَنَا وَلَكُمُ النِّيَّةَ(٥).

١٣ الإِخلَاصُ سَبَبُ الانتِصَارِ:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ

(١) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
(٢) انظر «شرح الأربعين النووية» (ص ٣٧٠ - ٣٧١)، للعلَّامة ابن عثيمين رحمه الله.
(٣) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٥٠٩)، للعلَّامة السعدي رحمه الله.
(٤) «زاد المعاد» (٥/ ٢٠٣).
(٥) «شرح مقدمة المجموع» (ص ٣٧).

مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا: بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخلَاصِهِمْ**»[(١)].

الضَّمَانُ الأَوَّلُ لِلفوزِ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى لَنَا فِي تَحقِيقِ النَّصرِ: هُوَ الإِخلَاصُ، وَإِلَّا فَسَيَكُونُ مَصِيرُنَا فِي مَعَارِكِنَا مَعَ أَعدَائِنَا الهَزِيمَةَ؛ انظُرُوا إِلَى الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: كَيفَ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ البِلَادَ؟! حَتَّى بَلَغُوا فِي سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ: حُدُودَ الصِّينِ شَرقًا، وَالأَندَلُسَ غَربًا، وَالقِسطَنطِينِيَّةَ شَمَالًا، مَعَ أَنَّهُم لَم يَكُن لَهُم مِن عِدَّةِ الحُرُوبِ وَعَتَادِهَا مَا كَانَ لِلفُرسِ وَالرُّومِ، وَلَم تَكُنِ القُوَّةُ بَينَهُم وَبَينَ عَدُوِّهِم مُتَكَافِئَةً؛ فَعَدُوُّهُم كَانَ يَملِكُ أَضعَافَ مَا يَملِكُونَ مِن قُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ وَحَربِيَّةٍ، وَلَكِن لِأَنَّهُم أَسَّسُوا حَرَكَتَهُم فِي نَشرِ الإِسلَامِ عَلَى الإِخلَاصِ، وَأَقَامُوهَا عَلَى فِقهٍ فِي الإِعدَادِ وَالتَّوَكُّلِ، تَحَقَّقَ عَلَى أَيدِيهِمُ النَّصرُ المَنشُودُ.

فَإِن لَم يَكُنِ الإِخلَاصُ، فَالهَزِيمَةُ وَالدَّمَارُ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: «فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَلَصَتْ نِيَّتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ قَصْدُهُ وَهَمُّهُ وَعَمَلُهُ لِوَجْهِهِ سُبحَانَهُ، كَانَ اللَّهُ مَعَهُ؛ فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، وَرَأْسُ التَّقْوَى وَالْإِحْسَانِ: خُلُوصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ.

وَاللَّهُ سُبحَانَهُ لَا غَالِبَ لَهُ: فَمَنْ كَانَ مَعَهُ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْلِبُهُ أَوْ يَنَالُهُ بِسُوءٍ؟! فَإِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَ الْعَبْدِ، فَمَنْ يَخَافُ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ، فَمَنْ يَرْجُو؟ وَبِمَنْ يَثِقُ؟ وَمَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَعْدِهِ؟

---

(١) رواه النسائي(٣١٧٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦).

فَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِالْحَقِّ عَلَى غَيْرِهِ، وَعَلَى نَفْسِهِ أَوَّلًا، وَكَانَ قِيَامُهُ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ، لَمْ يَقُمْ لَهُ شَيْءٌ؛ وَلَوْ كَادَتْهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، لَكَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَتَهَا، وَجَعَلَ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا.

وَإِنَّمَا يُؤْتَى الْعَبْدُ مِنْ تَفْرِيطِهِ وَتَقْصِيرِهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، أَوْ فِي اثْنَيْنِ مِنْهَا، أَوْ فِي وَاحِدٍ؛ فَمَنْ كَانَ قِيَامُهُ فِي بَاطِلٍ لَمْ يُنْصَرْ، وَإِنْ نُصِرَ نَصْرًا عَارِضًا، فَلَا عَاقِبَةَ لَهُ، وَهُوَ مَذْمُومٌ مَخْذُولٌ؛ وَإِنْ قَامَ فِي حَقٍّ، لَكِنْ لَمْ يَقُمْ فِيهِ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا قَامَ لِطَلَبِ المَحْمَدَةِ وَالشُّكُورِ وَالْجَزَاءِ مِنَ الْخَلْقِ، أَوِ التَّوَصُّلِ إِلَى غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، كَانَ هُوَ المَقْصُودَ أَوَّلًا، وَالْقِيَامُ فِي الْحَقِّ وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ، فَهَذَا لَمْ تُضْمَنْ لَهُ النُّصْرَةُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا ضَمِنَ النُّصْرَةَ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، لَا لِمَنْ كَانَ قِيَامُهُ لِنَفْسِهِ وَلِهَوَاهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ المُتَّقِينَ، وَلَا مِنَ المُحْسِنِينَ، وَإِنْ نُصِرَ فَبِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ إِلَّا الْحَقَّ.

وَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ، فَبِحَسَبِ مَا مَعَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ مَنْصُورٌ أَبَدًا؛ فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُحِقًّا، كَانَ مَنْصُورًا لَهُ الْعَاقِبَةُ، وَإِنْ كَانَ مُبْطِلًا، لَمْ يَكُنْ لَهُ عَاقِبَةٌ؛ وَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ فِي الْحَقِّ لِلَّهِ، وَلَكِنْ قَامَ بِنَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ، وَلَمْ يَقُمْ بِاللَّهِ مُسْتَعِينًا بِهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مُفَوِّضًا إِلَيْهِ، بَرِيًّا مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، فَلَهُ مِنَ الْخِذْلَانِ وَضَعْفِ النُّصْرَةِ، بِحَسَبِ مَا قَامَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ»[(١)].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «فَمَنْ خَلُصَت نِيَّتُهُ فِي الحَقِّ، وَلَو عَلَى

(١) «إعلام الموقِّعين» (٢/ ١٦٥-١٦٦).

نَفسِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ»(١).

إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَكْفِي قِيَامُهُ فِي الْحَقِّ للهِ إِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِهِ، حَتَّى يَكُونَ أَوَّلَ قَائِم بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَحِينَئِذٍ يُقْبَلُ قِيَامُهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يُقْبَلُ الْحَقُّ مِمَّنْ أَهْمَلَ الْقِيَامَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ؟!(٢)

١٤ قَلبُ المُبَاحَاتِ إِلَى طَاعَاتٍ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ؛ قَالَ: **«أَوَ لَيسَ قَد جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهلِيلَةٍ صَدَقَةً؛ وَأَمْرٌ بِالمَعرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: **«أَرَأَيْتُم لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرًا»**(٣).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ المُبَاحَاتِ تَصِيرُ طَاعَاتٍ، بِالنِّيَّاتِ الصَّادِقَاتِ؛ فَالجِمَاعُ يَكُونُ عِبَادَةً إِذَا نَوَى بِهِ قَضَاءَ حَقِّ الزَّوْجَةِ، وَمُعَاشَرَتَهَا بِالمَعرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، أَو طَلَبَ وَلَدٍ صَالِحٍ، أَو إِعفَافَ نَفسِهِ أَو إِعفَافَ الزَّوْجَةِ، وَمَنعَهُمَا جَمِيعًا مِنَ النَّظَرِ إِلَى حَرَامٍ، أَوِ

---

(١) قطعة من أثر: رواه الدارقطني (٤/ ٢٠٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرواء الغليل» (٢٦١٩).
(٢) «إعلام الموقِّعين» (٢/ ١٦٨). (٣) رواه مسلم (١٠٠٦).

الفِكرِ فِيهِ، أَوِ الهَمِّ بِهِ، أَو غَيرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّالِحَةِ»(١).

وَقَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَبَيَّنَ فِي الحَدِيثِ: أَنَّ التَّمَتُّعَ بِهَذِهِ الشَّهَوَاتِ عَلَى وَجهِ الحَمدِ للهِ وَالاِعتِرَافِ بِفَضلِهِ، وَقَصدِ الاِنكِفَافِ بِهَا عَنِ الحَرَامِ: أَجرٌ وَثَوَابٌ عِندَ اللهِ؛ فَلِلَّهِ الحَمدُ عَلَى مِنَّتِهِ»(٢).

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ**»(٣).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ**»(٤).

فَمَن فَعَلَ مِنَ المُبَاحَاتِ مَا يَستَعِينُ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَقَصَدَ الاِستِعَانَةَ بِهَا عَلَى الطَّاعَةِ، فَهَذَا سَبِيلُ المُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ.

«فَطُوبَى لِأَهلِ الهِمَمِ العَالِيَةِ! لَقَدِ انقَلَبَت عَادَاتُهُم بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ عِبَادَاتٍ. وَيَا وَيحَ أَهلِ الجَهلِ وَالهِمَمِ الدَّنِيَّةِ! لَقَد كَادَت عِبَادَاتُهُم - لِضَعفِ النِّيَّةِ -، تَكُونُ عَادَاتٍ»(٥).

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «اعلَم أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ شَيئًا مِنَ الطَّاعَاتِ، وَإِن قَلَّ: أَن يُحضِرَ النِّيَّةَ، وَهُوَ أَن يَقصِدَ بِعَمَلِهِ رِضَا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَكُونَ نِيَّتُهُ حَالَ العَمَلِ؛ وَيَدخُلُ فِي هَذَا جَمِيعُ العِبَادَاتِ: مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّومِ، وَالوُضُوءِ، وَالتَّيَمُّمِ، وَالاِعتِكَافِ، وَالحَجِّ، وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ، وَقَضَاءِ الحَوَائِجِ، وَعِيَادَةِ

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧/ ٩٢). (٢) «مجموع الفوائد» (ص ٢٣٥- ٢٣٦).
(٣) رواه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢). (٤) رواه البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).
(٥) «المجموعة الكاملة» (٦/ ٨٣).

الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَابتِدَاءِ السَّلَامِ وَرَدِّهِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِنكَارِ الْمُنْكَرِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، وَحُضُورِ مَجَالِسِ العِلمِ وَالأَذكَارِ، وَزِيَارَةِ الأَخيَارِ، وَالنَّفَقَةِ عَلَى الأَهلِ وَالضَّيفِ، وَإِكرَامِ أَهلِ الوُدِّ وَذَوِي الأَرحَامِ، وَمُذَاكَرَةِ العِلمِ، وَالْمُنَاظَرَةِ فِيهِ، وَتَكرَارِهِ وَتَدرِيسِهِ، وَتَعَلُّمِهِ وَمُطَالَعَتِهِ، وَكِتَابَتِهِ وَتَصنِيفِهِ، وَالفَتَاوَى؛ وَكَذَلِكَ مَا أَشبَهَ هَذِهِ الأَعمَالَ، حَتَّى يَنْبَغِي لَهُ إِذَا أَكَلَ أَو شَرِبَ أَو نَامَ، يَقصِدُ بِذَلِكَ التَّقَوِّي عَلَى طَاعَةِ اللهِ، أَو رَاحَةَ البَدَنِ لِلتَّنَشُّطِ لِلطَّاعَةِ؛ وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ جِمَاعَ زَوجَتِهِ، يَقصِدُ إِيصَالَهَا حَقَّهَا وَتَحصِيلَ وَلَدٍ صَالِحٍ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى، وَإِعفَافَ نَفسِهِ، وَصِيَانَتَهَا مِنَ التَّطَلُّعِ إِلَى حَرَامٍ وَالفِكرِ فِيهِ؛ فَمَن حُرِمَ النِّيَّةَ فِي هَذِهِ الأَعمَالِ، فَقَد حُرِمَ خَيرًا عَظِيمًا كَثِيرًا، وَمَن وُفِّقَ لَهَا، فَقَد أُعطِيَ فَضلًا جَسِيمًا؛ فَنَسأَلُ اللهَ الكَرِيمَ: التَّوفِيقَ لِذَلِكَ، وَسَائِرِ وُجُوهِ الخَيرِ»[١].

فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا وَعُلِمَ، تَحَصَّلَ مِنهُ: أَنَّ أَعظَمَ النَّاسِ مَنزِلَةً، وَأَكثَرَهُم خَيرًا وَبَرَكَةً: الوَاقِفُ مَعَ نِيَّتِهِ فِي حَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ، وَبِهَذَا المَعنَى: وَقَعَ الفَرقُ بَينَنَا وَبَينَ سَلَفِنَا، وَخِيَارِ مَن تَقَدَّمَنَا رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم، لِتَحسِينِ نِيَّاتِهِم وَتَحرِيرِهَا؛ فَكَانَت حَرَكَاتُهُم، وَسَكَنَاتُهُم كُلُّهَا عِبَادَةً[٢].

١٥ مَغفِرَةُ الذُّنُوبِ:

إِذَا تَمَكَّنَ الإِخلَاصُ مِن عَمَلٍ، كَانَ سَبَبًا لِمَغفِرَةِ ذَنبِ صَاحِبِهِ وَمُضَاعَفَةِ أَجرِهِ، حَتَّى لَو كَانَتِ الطَّاعَةُ فِي ظَاهِرِهَا يَسِيرَةً أَو قَلِيلَةً؛

---

(١) «بستان العارفين» (ص٧٠ - ٧١).
(٢) «المدخل» (١/ ١/ ١٥).

يَقُولُ ابنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُكَثِّرُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَثِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ(١).

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**»(٢).

فَهَذِهِ البَغِيُّ لَم تُرَائِي بِعَمَلِهَا وَغَرَّرَت بِنَفسِهَا فِي نُزُولِ البِئرِ، وَمَلأَتِ المَاءَ فِي خُفِّهَا، وَلَم تعبأ بتَعَرُّضِهَا لِلتَّلَفِ، وَحَمَلَت خُفَّهَا بِفِيهَا وَهُوَ مَلآنُ، حَتَّى أَمكَنَهَا الرُّقِيَّ مِنَ البِئرِ؛ ثُمَّ تَوَاضَعَت لِهَذَا المَخلُوقِ الَّذِي جَرَت عَادَةُ النَّاسِ بِضَربِهِ، فَأَمسَكَت لَهُ الخُفَّ بِيَدِهَا حَتَّى شَرِبَ، مِن غَيرِ أَن تَرجُوَ مِنهُ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، فَغُفِرَ لَهَا؛ «لِمَا حَصَلَ فِي قَلبِهَا: مِن حُسنِ النِّيَّةِ وَالرَّحمَةِ، إِذ ذَاكَ»(٣) وَإِلَّا «فَلَيسَ كُلُّ بَغِيٍّ سَقَت كَلبًا، يُغفَرُ لَهَا»(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**»(٥).

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ الفِقهِ: أَنَّ نَزعَ الأَذَى مِنَ الطُّرُقِ مِن أَعمَالِ البِرِّ، وَأَنَّ أَعمَالَ البِرِّ تُكَفِّرُ السَّيِّئَاتِ وَتُوجِبُ الغُفرَانَ وَالحَسَنَاتِ، وَلَا يَنبَغِي لِلعَاقِلِ المُؤمِنِ أَن يَحتَقِرَ شَيئًا مِن أَعمَالِ البِرِّ، فَرُبَّمَا غُفِرَ لَهُ بِأَقَلِّهَا؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا فِي هَذَا الحَدِيثِ مِن أَنَّ اللَّهَ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٠).
(٢) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٧٣٥).
(٤) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢٢١).
(٥) رواه البخاري (٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤) «٣٣- كتاب الإمارة، و٤٥- كتاب البر والصلة والآداب».

شَكَرَ لَهُ، إِذ نَزَعَ غُصنَ الشَّوكِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَغفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ؟! قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [الزلزلة].

وقَالَ الحَكِيمُ:

وَمَتَى تَفعَلِ الكَثِيرَ مِنَ الخَيـ ـرِ إِذَا كُنتَ تَارِكًا لِأَقَلِّهِ[1]

فَهَذَا «الَّذِي نَحَّى غُصنَ الشَّوكِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَعَلَهُ إِذ ذَاكَ بِإِيمَانٍ خَالِصٍ، وَإِخْلَاصٍ قَائِمٍ بِقَلبِهِ، فَغُفِرَ لَهُ بِذَلِكَ. فَإِنَّ الأَعمَالَ تَتَفَاضَلُ: بِتَفَاضُلِ مَا فِي القُلُوبِ مِنَ الإِيمَانِ وَالإِخلَاصِ؛ وَإِنَّ الرَّجُلَينِ لَيَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَينَ صَلَاتَيهِمَا كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ. وَلَيسَ كُلُّ مَن نَحَّى غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ، يُغفَرُ لَهُ»[2].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَعْمَالُ تَتَفَاضَلُ عِندَ اللَّهِ بِتَفَاضُلِ مَا فِي القُلُوبِ، لَا بِكَثْرَتِهَا وَصُوَرِهَا، بَل بِقُوَّةِ الدَّاعِي، وَصِدقِ الفَاعِلِ وَإِخلَاصِهِ، وَإِيثَارِهِ اللَّهَ عَلَى نَفسِهِ؛ فَأَينَ صَدَقَةُ مَن آثَرَ اللَّهَ عَلَى نَفسِهِ بِرَغِيفٍ هُوَ قُوتُهُ، إِلَى صَدَقَةِ مَن أَخرَجَ مِئَةَ أَلفِ دِرهَمٍ مِن بَعضِ مَالِهِ، غَيضًا مِن فَيضٍ؟! فَرَغِيفُ هَذَا دِرهَمُهُ فِي الْمِيزَانِ، أَثقَلُ مِنْ مِئَةِ أَلفِ هَذَا. وَاللَّهُ المُستَعَانُ»[3].

وَقَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَيسَتِ الفَضَائِلُ بِكَثرَةِ الأَعمَالِ البَدَنِيَّةِ، لَكِن بِكَونِهَا خَالِصَةً لِلَّهِ ﷻ، صَوَابًا عَلَى مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ، وَبِكَثرَةِ مَعَارِفِ القُلُوبِ وَأَعمَالِهَا»[4].

وَقَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «القَلِيلُ مِنَ العَمَلِ مَعَ الإِخلَاصِ

---

(١) «التمهيد» (٢٢/ ١٢).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢٢١ - ٢٢٢).
(٣) «عدة الصابرين» (ص٢٢١).
(٤) «المحجة في سير الدلجة» (ص ٥٢).

الكَامِلِ، يُرَجَّحُ بِالكَثِيرِ الَّذِي لَم يَصِل إِلَى مَرتَبَتِهِ فِي قُوَّةِ الإِخلَاصِ»[١].

فَمَن عَامَلَ اللَّهَ بِصِدقٍ وَإِخلَاصٍ، فَإِنَّهُ «لَا يَخَافُ عَلَى قَلِيلِ عَمَلِهِ، إِذَا خَلَّصَهُ لِلَّهِ مِنَ الآفَاتِ كُلِّهَا، أَن لَا يُنَمِّيَهُ اللَّهُ لَهُ وَيُكَثِّرَهُ؛ لَا سِيَّمَا إِذَا»[٢] كَانَ فِي زَمَانٍ كَثُرَت فِيهِ الشُّبُهَاتُ وَالشَّهَوَاتُ، فَعَمَلُهُ عِندَ اللَّهِ كَثِيرٌ.

١٦ تَنقِيَةُ القَلْبِ مِنَ الغِلِّ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ؛ ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»[٣].

فَقَد دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّضرَةِ - وَهِيَ البَهجَةُ وَنَضَارَةُ الوَجهِ وَتَحسِينُهُ - «لِمَن حَفِظَ مَقَالَتَهُ هَذِهِ، فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا تَأكِيدًا مِنهُ فِي حِفظِهَا وَتَبلِيغِهَا، وَهِيَ قَولُهُ: «**ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ**»[٤].

أَي: لَا يَحمِلُ الغِلَّ، وَلَا يَبقَى فِيهِ مَعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، فَإِنَّهَا تَنفِي الغِلَّ وَالغِشَّ، وَفَسَادَ القَلبِ وَسَخَائِمَهُ.

فَالمُخلِصُ لِلَّهِ إِخلَاصُهُ يَمنَعُ غِلَّ قَلبِهِ وَيُخرِجُهُ وَيُزِيلُهُ جُملَةً، لِأَنَّهُ

(١) «المجموعة الكاملة» (٧/ ٣٥).

(٢) «المدخل» (٢/ ١/ ٧٢)، لابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

(٤) «التمهيد» (٢١/ ٢٧٦).

قَدِ انصَرَفَت دَوَاعِي قَلبِهِ وَإِرَادَتِهِ إِلَى مَرضَاةِ رَبِّهِ، فَلَم يَبقَ فِيهِ مَوضِعٌ لِلغِلِّ وَالغِشِّ[1].

١٧ تَفرِيجُ الكُرُبَاتِ:

إِنَّ إِخلَاصَ النِّيَّةِ وَصِدقَ العَبدِ فِي الِالتِجَاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِن عَذَابِ الدُّنيَا وَمَصَائِبِهَا وَتَفرِيجِ كُربِهَا، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آوَاهُمُ المَبِيتُ إِلَى الغَارِ: «**فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنجِيكُم مِن هَذِهِ الصَّخرَةِ، إِلَّا أَن تَدعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعمَالِكُم**»؛ فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم، بَعدَ أَن يَذكُرَ عَمَلًا صَالِحًا قَامَ بِهِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ! فَإِن كُنتُ فَعَلتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجهِكَ، فَافرُج عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ! فَانفَرَجَتِ الصَّخرَةُ، فَخَرَجُوا يَمشُونَ**»[2].

فَدَعَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم بِالعَمَلِ الَّذِي بَرَزَ بِهِ عَلَى غَيرِهِ: هَذَا بِبِرِّهِ الكَامِلِ بِوَالِدَيهِ، وَهَذَا بِعِفَّتِهِ العَظِيمَةِ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا، وَهَذَا بِأَمَانَتِهِ وَإِحسَانِهِ الكَثِيرِ الَّذِي لَا مِثلَ لَهُ. وَمَن تَأَمَّلَ فِي أَحوَالِ الخَلقِ، رَأَى مِن هَذَا البَابِ عَجَائِبَ، وَذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ: بِالأَسبَابِ الَّتِي يَخُصُّهُ بِهَا، وَيُقَوِّيهِ عَلَيهَا، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ[3].

فَلَا تَطمَعَنَّ فِي الخَلَاصِ، مَعَ عَدَمِ الإِخلَاصِ؛ فَمَا اهتَمَّ بِالخَلَاصِ، إِلَّا أَهلُ الإِخلَاصِ.

نَجَا المُخلِصُونَ يَومَ القِيَامَةِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ المُرَاؤُونَ.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٧٧).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) «مجموع الفوائد» (ص٦٠).

١٨ عُلُوُّ الهِمَّةِ:

فَلَا مَثِيلَ لِلإِخْلَاصِ فِي رَفعِ هِمَّةِ الإِنسَانِ، فَالَّذِي يَطلُبُ رِضَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَن تَقِفَ بِهِ هِمَّتُهُ عِندَ هَدَفٍ دُنيَوِيٍّ: مِن مَالٍ وَشُهرَةٍ وَمَكَانَةٍ، وَلَن تَعُوقَهُ عَقبَاتٌ، لِأَنَّهُ يَنظُرُ إِلَى أَبعَدَ مِنَ الدُّنيَا، فَهُوَ يَرجُو رِضَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنهُ، وَيَطمَعُ فِي الثَّوَابِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَنقَطِعُ فِي الآخِرَةِ، وَرَبَطَ آمَالَ نَفسِهِ بِرِضَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنَعِيمِهِ المُقِيمِ، فَالإِخلَاصُ هُوَ الَّذِي يَرتَفِعُ بِالهِمَمِ دُونَ حُدُودٍ.

المُخلِصُ «فِي سَفَرٍ دَائِمٍ بِالقَلْبِ إِلَى اللَّهِ، لِيَحصَلَ لَهُ وَيَفُوزَ بِهِ، فَإِنَّهُ طَالِبٌ لِرَبِّهِ تَعَالَى طَلَبًا تَامًّا بِكُلِّ مَعنًى وَاعتِبَارٍ: فِي عَمَلِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَمُنَاجَاتِهِ، وَنَومِهِ، وَيَقَظَتِهِ، وَحَرَكَتِهِ، وَسُكُونِهِ، وَعُزلَتِهِ، وَخِلطَتِهِ، وَسَائِرِ أَحوَالِهِ؛ فَقَدِ انصَبَغَ قَلبُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَيَّمَا صِبغَةٍ»[1].

وَيَنبَغِي أَن لَا يَتَوَقَّفَ المُخلِصُ فِي سَيرِهِ؛ «بَل يَسِيرُ وَلَو وَحِيدًا غَرِيبًا، فَانفِرَادُ العَبدِ فِي طَرِيقِ طَلَبِهِ: دَلِيلٌ عَلَى صِدقِ المَحَبَّةِ»[2].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المَطلَبُ الأَعلَى مَوقُوفٌ حُصُولُهُ عَلَى هِمَّةٍ عَالِيَةٍ وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، فَمَن فَقَدَهُمَا تَعَذَّرَ عَلَيهِ الوُصُولُ إِلَيهِ.

فَإِنَّ الهِمَّةَ إِذَا كَانَت عَالِيَةً تَعَلَّقَت بِهِ وَحدَهُ دُونَ غَيرِهِ، وَإِذَا كَانَتِ النِّيَّةُ صَحِيحَةً سَلَكَ العَبدُ الطَّرِيقَ المُوصِلَةَ إِلَيهِ، فَالنِّيَّةُ تُفرِدُ لَهُ الطَّرِيقَ، وَالهِمَّةُ تُفرِدُ لَهُ المَطلُوبَ، فَإِذَا تَوَحَّدَ مَطلُوبُهُ وَالطَّرِيقُ المُوصِلَةُ إِلَيهِ،

(١) «تهذيب المدارج» (٢/ ٨٠٥).

(٢) «الرسالة التبوكية» (ص ٢٢٤).

كَانَ الوُصُولُ غَايَتَهُ»[١].

فَالكَيِّسُ يَقطَعُ مِنَ المَسَافَةِ - بِصِحَّةِ العَزِيمَةِ وَعُلُوِّ الهِمَّةِ وَتَجرِيدِ القَصدِ، وَصِحَّةِ النِّيَّةِ مَعَ العَمَلِ القَلِيلِ - أَضعَافَ أَضعَافِ مَا يَقطَعُهُ الفَارِغُ مِن ذَلِكَ، مَعَ التَّعَبِ الكَثِيرِ وَالسَّفَرِ الشَّاقِّ؛ فَإِنَّ العَزِيمَةَ وَالمَحَبَّةَ تُذهِبُ المَشَقَّةَ وَتُطَيِّبُ السَّيرَ.

وَالتَّقَدُّمُ وَالسَّبقُ إِلَى اللهِ سُبحَانَهُ؛ إِنَّمَا هُوَ بِالهِمَمِ وَصِدقِ الرَّغبَةِ وَالعَزِيمَةِ، فَيَتَقَدَّمُ صَاحِبُ الهِمَّةِ - مَعَ سُكُونِهِ - صَاحِبَ العَمَلِ الكَثِيرِ بِمَرَاحِلَ[٢].

١٩ الحِفظ مِنَ الشَّيطَانِ:

إِنَّ الخَلَاصَ كُلَّ الخَلَاصِ مِنَ الشَّيطَانِ، لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالإِخلَاصِ.

وَلِهَذَا «لَمَّا عَلِمَ إِبلِيسُ: أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَى أَهلِ الإِخلَاصِ، استَثنَاهُم مِن شَرْطَتِهِ الَّتِي اشتَرَطَهَا لِلغِوَايَةِ وَالإِهلَاكِ، فَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص]، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر]»[٣].

فَقَد أَقسَمَ عَدُوُّ اللهِ أَنَّهُ لَيُغوِيَنَّ بَنِي آدَمَ أَجمَعِينَ، إِلَّا المُخلِصِينَ مِنهُم، وَأَخبَرَ تَعَالَى أَنَّ المُخلِصِينَ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيهِم، وَالمُخلِصُونَ هُمُ الَّذِينَ أَخلَصُوا العِبَادَةَ وَالمَحَبَّةَ، وَالإِجلَالَ وَالطَّاعَةَ لَهُ.

---

(١) «فوائد الفوائد» (ص٣٠٧).
(٢) المصدر السابق (ص٢٠٢).
(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٧٧).

فَالإِخلَاصُ هُوَ سَبِيلُ الخَلَاصِ مِنَ الشَّيطَانِ. وَالشَّاذُّ النَّادِرُ وَالفَردُ الفَذُّ، هُوَ المُستَثنَى فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ٨٣﴾ [ص].

«فَإِذَا أُشرِبَ القَلْبُ العُبُودِيَّةَ وَالإِخلَاصَ، صَارَ عِندَ اللهِ مِنَ المُقَرَّبِينَ، وَشَمَلَهُ استِثنَاءُ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ٨٣﴾ [ص]»[1].

فَمَا أَعظَمَ سَعَادَةَ مَن دَخَلَ فِي حِصنِ الإِخلَاصِ! «لَقَد آوَى إِلَى حِصنٍ لَا خَوفَ عَلَى مَن تَحَصَّنَ بِهِ، وَلَا ضَيعَةَ عَلَى مَن آوَى إِلَيهِ، وَلَا مَطمَعَ لِلعَدُوِّ فِي الدُّنُوِّ مِنهُ، وَ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة]»[2].

فَإِنَّ الإِخلَاصَ «حِصنُ اللهِ الحَصِينُ الَّذِي مَن دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الآمِنِينَ، وَبَابُهُ الأَعظَمُ الَّذِي مَن دَخَلَهُ كَانَ إِلَيهِ مِنَ الوَاصِلِينَ»[3].

قَالَ شَيخُ الإِسلَام رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ إِخْلَاصَ الدِّينِ للهِ: يَمْنَعُ مِنْ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ الَّتِي تُوجِبُ الْعَذَابَ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف]. فَإِذَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ الدِّينَ: كَانَ هَذَا مَانِعًا لَهُ مِنْ فِعْلِ ضِدِّ ذَلِكَ، وَمِنْ إِيقَاعِ الشَّيْطَانِ لَهُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ. وَإِذَا لَمْ يُخْلِصْ لِرَبِّهِ الدِّينَ، وَلَمْ يَفْعَلْ مَا خُلِقَ لَهُ وَفُطِرَ عَلَيْهِ: عُوقِبَ عَلَى ذَلِكَ. وَكَانَ مِنْ عِقَابِهِ: تَسَلُّطُ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِ، حَتَّى يُزَيِّنَ لَهُ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ. وَكَانَ إِلْهَامُهُ لِفُجُورِهِ، عُقُوبَةً لَهُ عَلَى كَوْنِهِ لَمْ يَتَّقِ اللهَ»[4].

---

(١) «موارد الأمان» (ص٣١).
(٢) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٧٠).
(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٣٨).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٣٢ - ٣٣٣).

٢٠ الإظلالُ في ظلِّ الرَّحمن، يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظلُّه:

كَمَا فِي حَدِيثِ السَّبعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ؛ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[١].

قَالَ ابنُ عَبدِ البَرِّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَن كَانَ فِي ظِلِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، سَلِمَ مِن هَولِ المَوقِفِ وَشِدَّتِهِ، وَمَا يَلحَقُ النَّاسَ فِيهِ مِنَ القَلَقِ وَالضِّيقِ وَالعَرَقِ»[٢].

٢١ الفوزُ بالنَّعيم المُقيم في جنَّات النَّعيم:

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصافات].

لِأَنَّهُم أَخلَصُوا أَعمَالَهُم للهِ فَاجتَبَاهُم، وَاختَصَّهُم بِرَحمَتِهِ، وَجَادَ عَلَيهِم بِلُطفِهِ، وَعَلَيهِ (فَالنَّاسُ كُلُّهُم هَلكَى إِلَّا العَالِمِينَ، وَالعَالِمُونَ كُلُّهُم هَلكَى إِلَّا العَامِلِينَ، وَالعَامِلُونَ كُلُّهُم هَلكَى إِلَّا المُخلِصِينَ).

٢٢ النَّجاةُ مِن عَذابِ الآخِرة:

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي حَقِّ طَائِفَةٍ مِنَ المُخلِصِينَ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) «الاستذكار» (٨/ ٤٤٨).

﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

فَأَثَابَهُمُ البَرُّ الرَّحِيمُ مِنْ بِرِّهِ: أَجرًا عَظِيمًا، وَعَطَاءً جَسِيمًا، وَفوزًا دَائِمًا[(١)].

سَيُعْطَى المُخْلِصُونَ بِفَضْلِ إِخْلَاصِهِم: نَجَاةً فِي الحَيَاةِ، وَفِي المَمَاتِ.

﴿٢٣﴾ نَيلُ قَبُولِ النَّاسِ وَمَحبَّتِهِم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ: فَإِنْ كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا، وُضِعَ فِي الأَرْضِ؛ وَإِنْ كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا، وُضِعَ فِي الأَرْضِ**»[(٢)].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَهلُ الجَنَّةِ مَن مَلأَ اللهُ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ خيرًا، وَهُوَ يَسمَعُ؛ وَأَهلُ النَّارِ مَن مَلأَ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسمَعُ**»[(٣)].

فَمَن أَخلَصَ فَاحَ عَبِيرُ فَضلِهِ، وعَبِقَتِ القُلُوبُ بِنَشرِ طِيبِهِ: «قَد كُسِيَ مِنَ الرُّوحِ وَالنُّورِ، وَمَا يَتبَعُهُمَا مِنَ الحَلَاوَةِ وَالمَهَابَةِ، وَالجَلَالَةِ وَالقَبُولِ، مَا قَد حُرِمَهُ غَيرُهُ»[(٤)]. فَمَن رَآهُ هَابَهُ، وَمَن خَالَطَهُ أَحَبَّهُ. وَهَذَا أَمرٌ مَشهُودٌ بِالعِيَانِ[(٥)]، بِعَكسِ المُرَائِي الَّذِي يَطلُبُ الشُّهرَةَ، وَيَسعَى لِلحُصُولِ عَلَى المَنزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، فَاللهُ يُعَامِلُهُ بِنَقِيضِ قَصدِهِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٩٨).

(٢) رواه البزَّار «البحر الزخَّار» (٩٢٠٢)، وقوَّى إسنادَه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٢٢٧٥).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٧٤٠).

(٤) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٤٢). (٥) «روضة المحبين» (ص ٢٣١).

فَكُلُّ مَن لَم يُخلِص للَّهِ ﷻ «انقَلَبَ قُبحًا، وَشَينًا يَشِينُهُ بِهِ بَينَ النَّاسِ»(١).

«وَالمَرءُ مُلبَسٌ زِيَّ عَمَلِهِ: إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ؛ فَكَم مِن مُستَتِرٍ بِعَمَلِهِ، قَد شَهَرَهُ اللَّهُ بِهِ؟! وَكَم مِن مُتَزَيِّنٍ بِعَمَلِهِ، يُرِيدُ بِهِ الِاسمَ وَاتِّخَاذَ المَنزِلَةِ عِندَ النَّاسِ، قَد شَانَهُ اللَّهُ بِهِ؟! وَإِنَّمَا يُصلِحُ ذَلِكَ وَيُفسِدُهُ الضَّمِيرُ؛ فَإِن أَحَبَّ الشُّهرَةَ، جَمَعَ الشُّهرَةَ وَالرِّيَاءَ وَالعُجبَ جَمِيعًا؛ وَإِن أَرَادَ اللَّهَ وَحدَهُ وَكَانَ مُخلِصًا، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ عُرِفَ أَو لَم يُعْرَف»(٢).

عَنْ جُنْدَبِ بنِ عَبدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»**(٣).

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمه الله: «**سَمَّعَ**» بِتَشدِيدِ المِيمِ، وَمَعنَاهُ: أَظهَرَ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ رِيَاءً، «**سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ**» أَي: فَضَحَهُ يَومَ القِيَامَةِ، وَمَعنَى: «**مَن رَاءَى**» أَي: مَن أَظهَرَ لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَعْظُمَ عِندَهُم، «**رَاءَى اللَّهُ بِهِ**» أَي: أَظهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ(٤).

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله: «مَعْنَاهُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا عَلَى غَيرِ إِخْلَاصٍ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَسْمَعُوهُ؛ جُوزِيَ عَلَى ذَلِكَ: بِأَنْ يُشَهِّرَهُ اللَّهُ وَيَفْضَحَهُ، وَيُظْهِرَ مَا كَانَ يُبْطِنُهُ»(٥).

وَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: «وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ، بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ

(١) «روضة المحبين» (ص ٢٣٢). (٢) «المدخل» (٢/ ١/ ٥٠).
(٣) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).
(٤) «رياض الصالحين» (ص٣٧٧)، للإمام النووي رحمه الله.
(٥) نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني: في «فتح الباري» (١١/ ٣٤٤).

غَيْرَ ذَلِكَ؛ شَانَهُ اللهُ»[(١)].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ الجُملَةِ النَّفِيسَةِ: «لَمَّا كَانَ المُتَزَيِّنُ بِمَا لَيسَ فِيهِ ضِدَّ المُخلِصِ - فَإِنَّهُ يُظهِرُ لِلنَّاسِ أَمرًا وَهُوَ فِي البَاطِنِ بِخِلَافِهِ -، عَامَلَهُ اللهُ بِنَقِيضِ قَصدِهِ، فَإِنَّ المُعَاقَبَةَ بِنَقِيضِ القَصدِ ثَابِتَةٌ شَرعًا وَقَدَرًا، وَلَمَّا كَانَ المُخلِصُ يُعَجَّلُ لَهُ مِن ثَوَابِ إِخلَاصِهِ: الحَلَاوَةُ وَالمَحَبَّةُ وَالمَهَابَةُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ؛ عُجِّلَ لِلمُتَزَيِّنِ بِمَا لَيسَ فِيهِ مِن عُقُوبَتِهِ: أَن شَانَهُ اللهُ بَينَ النَّاسِ، لِأَنَّهُ شَانَ بَاطِنَهُ عِندَ اللهِ؛ وَهَذَا مُوجِبُ أَسمَاءِ الرَّبِّ الحُسنَى، وَصِفَاتِهِ العُليَا، وَحِكمَتِهِ فِي قَضَائِهِ وَشَرعِهِ.

هَذَا وَلَمَّا كَانَ مَن تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا لَيسَ فِيهِ: مِنَ الخُشُوعِ وَالدِّينِ وَالنُّسُكِ وَالعِلمِ وَغَيرِ ذَلِكَ، قَد نَصَبَ نَفسَهُ لِلَوَازِمِ هَذِهِ الأَشيَاءِ وَمُقتَضَيَاتِهَا، فَلَا بُدَّ أَن تُطلَبَ مِنهُ؛ فَإِن لَم تُوجَد عِندَهُ افتُضِحَ، فَيَشِينُهُ ذَلِكَ مِن حَيثُ ظَنَّ أَنَّهُ يَزِينُهُ.

وَأَيضًا فَإِنَّهُ أَخفَى عَنِ النَّاسِ مَا أَظهَرَ للهِ خِلَافَهُ، فَأَظهَرَ اللهُ مِن عُيُوبِهِ لِلنَّاسِ مَا أَخفَاهُ عَنهُم، جَزَاءً لَهُ مِن جِنسِ عَمَلِهِ»[(٢)].

فَمَن «تَزَيَّنَ بِعِبَادَةٍ وَأَظهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ عَابِدٌ، فَلَا بُدَّ أَن يَفضَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَا بُدَّ أَن يَنكَشِفَ، أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنَ الرِّيَاءِ»[(٣)].

عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ

---

(١) قطعة من أثر: رواه الدارقطني (٤/ ٢٠٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «إرواء الغليل» (٢٦١٩). وقد جزمت (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء، والدعوة والإرشاد) في «مجلة البحوث الإسلامية» (١٧/ ٢٢٣): بصحة صدور هذه الرسالة عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ، بحيث لا يبقى هناك مجال للطعن فيها، أو التشكيك في صحتها؛ بعد بحث طويل مستفيض.

(٢) «إعلام الموقِّعين» (٢/ ١٦٨-١٦٩).

(٣) «شرح حلية طالب العلم» (ص٣٧).

جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي، غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَي زُورٍ**»(١).

وَأَصْلُ التَّشَبُّعِ: تَفَعُّلٌ مِنَ الشِّبَعِ، وَهُوَ الَّذِي يُظهِرُ الشِّبَعَ وَلَيس بِشَبعَانَ(٢).

وَفَائِدَةُ الحَدِيثِ: الزَّجرُ عَنِ الرِّيَاءِ وَتَعَاطِيهِ، وَلَو كَانَ بِأُمُورِ الدُّنيَا(٣).

وَكَانَ بَعضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قَالُوا: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الجَسَدَ خَاشِعًا، وَالْقَلْبُ غَيْرُ خَاشِعٍ(٤).

وَأَسَاسُ النِّفَاقِ وَأَصلُهُ: هُوَ التَّزَيُّنُ لِلنَّاسِ، بِمَا لَيسَ فِي البَاطِنِ مِنَ الإِيمَانِ(٥).

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ، وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ: أَنْ يُلْبِسَ الْمُخْلِصَ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ، مَا هُوَ بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ؛ وَيُلْبِسَ الْمُرَائِيَ اللَّابِسَ ثَوْبَي الزُّورِ مِنَ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبِغْضَةِ، مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ؛ فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخَرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ»(٦).

قَالَ ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «رَأَيتُ أَقوَامًا مِنَ المُنتَسِبِينَ إِلَى العِلمِ، أَهمَلُوا نَظَرَ الحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيهِم فِي الخَلَوَاتِ، فَمَحَا مَحَاسِنَ ذِكرِهِم فِي الجَلَوَاتِ. فَكَانُوا مَوجُودِينَ كَالمَعدُومِينَ، لَا حَلَاوَةَ لِرُؤيَتِهِم، وَلَا قَلبَ يَحِنُّ إِلَى لِقَائِهِم. فَاللهَ اللهَ فِي الخَلَوَاتِ. البَوَاطِنَ البَوَاطِنَ. النِّيَّاتِ النِّيَّاتِ»(٧).

---

(١) رواه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠). (٢) «المفهم» (٥/ ١٥٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ٥١٣).
(٤) أخرج نحوه أحمد في «الزهد» (ص١٧٦)، بسند جيد: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، موقوفًا عليه من قوله.
(٥) «إعلام الموقِّعين» (٢/ ١٦٩). (٦) المصدر السابق (٤/ ٢٥١).
(٧) «صيد الخاطر» (ص١٦١ - ١٦٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرَّجُلُ كُلُّ الرَّجُلِ هُوَ الَّذِي يُحسِنُ القَصدَ، فَيَكُونُ عَمَلُهُ وَقَولُهُ خَالِصًا للهِ تَعَالَى، لَا يُرِيدُ بِهِ الخَلقَ وَلَا تَعظِيمَهُم لَهُ.

فَرُبَّ خَاشِعٍ لِيُقَالَ: نَاسِكٌ، وَصَامِتٍ لِيُقَالَ: خَائِفٌ، وَتَارِكٍ لِلدُّنيَا لِيُقَالَ: زَاهِدٌ.

وَعَلَامَةُ المُخلِصِ: أَن يَكُونَ فِي جَلوَتِهِ كَخَلوَتِهِ...

وَاعلَم أَنَّ المَعمُولَ مَعَهُ لَا يُرِيدُ الشُّرَكَاءَ، فَالمُخلِصُ مُفرِدٌ لَهُ بِالقَصدِ، وَالمُرَائِي قَد أَشرَكَ لِيَحصُلَ لَهُ مَدحُ النَّاسِ.

وَذَلِكَ يَنقَلِبُ، لِأَنَّ قُلُوبَهُم بِيَدِ مَن أَشرَكَ مَعَهُ، فَهُوَ يَقلِبُهَا عَلَيهِ لَا إِلَيهِ.

فَالمُوَفَّقُ مَن كَانَت مُعَامَلَتُهُ بَاطِنَةً، وَأَعمَالُهُ خَالِصَةً.

وَذَاكَ الَّذِي تُحِبُّهُ النَّاسُ وَإِن لَم يُبَالِهِم، كَمَا يَمقُتُونَ المُرَائِيَ وَإِن زَادَ تَعَبُّدُهُ»[١].

وَبِالجُملَةِ: فَإِنَّ الإِخلَاصَ «لَهُ تَأثِيرٌ عَظِيمٌ فِي إِلقَاءِ اللَّهِ لِصَاحِبِهِ الثَّنَاءَ فِي قُلُوبِ المُؤمِنِينَ»[٢]. فَمَا «أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً، إِلَّا أَلبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا عَلَانِيَةً»[٣]. وَهَذَا مِن أَعظَمِ الأَدِلَّةِ عَلَى وُجُودِ الإِلَهِ الحَقِّ المُجَازِي بِذَرَّاتِ الأَعمَالِ فِي الدُّنيَا قَبلَ الآخِرَةِ، وَلَا يَضِيعُ عِندَهُ عَمَلُ عَامِلٍ، وَلَا يَنفَعُ مِن قُدرَتِهِ حِجَابٌ وَلَا استِتَارٌ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ أَصلَحَ مَا بَينَهُ وَبَينَ اللَّهِ: فَإِنَّهُ مَنْ أَصلَحَ مَا بَينَهُ وَبَينَ اللَّهِ، أَصلَحَ اللَّهُ مَا بَينَهُ وَبَينَ الخَلقِ؛ وَمَنِ التَمَسَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَامًّا[٤].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٤٩٥).
(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤١٠).
(٣) «لطائف المعارف» (ص٨٦).
(٤) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤١١).

الإِخلَاصُ مِسكٌ مَصُونٌ فِي مِسكِ القَلبِ، يُنَبِّهُ رِيحُهُ عَلَى حَامِلِهِ(١).

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «رَائِحَةُ الإِخلَاصِ كَرَائِحَةِ البَخُورِ الخَالِصِ، كُلَّمَا قَوِيَ سَترُهُ بِالثِّيَابِ، فَاحَ وَعَبِقَ بِهَا، وَرَائِحَةُ الرِّيَاءِ كَدُخَانِ الحَطَبِ، يَعلُو إِلَى الجَوِّ ثُمَّ يَضمَحِلُّ، وَتَبقَى رَائِحَتُهُ الكَرِيهَةُ. كُلَّمَا بَلِيَت أَجسَامُ الصَّادِقِينَ فِي التُّرَابِ، فَاحَت رَائِحَةُ صِدقِهِم، فَاستَنشَقَهَا الخَلقُ.

كَم اجتَهَدَ المُخلِصُونَ فِي إِخفَاءِ أَحوَالِهِم عَنِ الخَلقِ، وَرِيحُ الصِّدقِ تَنُمُّ عَلَيهِم.

كَمَا اجتَهَدَ الإِمَامُ أَحمَدُ عَلَى أَن لَا يُذكَرَ، وَأَبَى اللهُ إِلَّا أَن يُشهِرَهُ، وَيُقرِنَ الإِمَامَةَ بِاسمِهِ عَلَى أَلسِنَةِ الخَلقِ شَاؤُوا أَو أَبَوا، وَكَانَ فِي زَمَانِهِ مَن يُعطِي الأَموَالَ لِمَن يُنَادِي بِاسمِهِ فِي الأَسوَاقِ لِيُشتَهَرَ، فَمَا ذُكِرَ بَعدَ ذَلِكَ وَلَا عُرِفَ»(٢).

وَمَن أَحَبَّ أَن يُذكَرَ فَلَا يُذكَرُ، وَمَن أَحَبَّ أَن يُعرَفَ فَلَا يُعرَفُ.

خُمُولُ المُحِبِّينَ لِمَولَاهُم شُهرَةٌ، وَذُلُّهُم بَينَ يَدَيهِ عِزٌّ، وَفَقرُهُم إِلَيهِ هُوَ الغِنَى الأَكبَرُ.

[أَنشَدَ عَبدُ العَزِيزِ بنُ سُلَيمَانَ الأَبرَشُ:

يُلبِسُ اللهُ فِي العَلَانِيَةِ العَبدَ ... الَّذِي كَانَ يَختَفِي فِي السَّرِيرَهْ
حَسَنًا كَانَ أَو قَبِيحًا سَيُبدَى ... كُلُّ مَا كَانَ ثَمَّ مِن كُلِّ سِيرَهْ
فَاستَحِ اللهَ أَن تُرَائِيَ لِلنَّاسِ ... فَإِنَّ الرِّيَاءَ بِئسَ الذَّخِيرَهْ](٣)

(١) «اليواقيت الجوزية» (ص٧٧). (٢) «مجموعة ابن رجب» (٢/ ٧٥٨).
(٣) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٢٧)، بتصرُّف يسير.

﴿٢٤﴾ قاصدُ فعلِ الخيرِ يُثابُ، وإن لم يُصبِ المُرادَ:

عَن مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنهما قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَبِي وَجَدِّي، وَخَطَبَ عَلَيَّ فَأَنْكَحَنِي، وَخَاصَمْتُ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ. فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**»[١].

فَالأَبُ لَم يَقصِد تَوجِيهَ المَالِ الَّذِي أَخرَجَهُ إِلَى ابنِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَثَابَهُ بِنِيَّتِهِ الصَّالِحَةِ، وَكَتَبَ لَهُ الأَجرَ، وَإِن عَادَ المَالُ إِلَيهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ رَاحَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا؛ أَعْطَاهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صَلَّاهَا وَحَضَرَهَا، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا**»[٢].

وَذَلِكَ لِكَمَالِ فَضلِ اللَّهِ وَسَعَةِ رَحمَتِهِ، وَهَذَا إِذَا لَم يَكُنِ التَّأخِيرُ نَاشِئًا عَنِ التَّقصِيرِ[٣].

وَأَمَّا إِن كَانَ التَّأخِيرُ نَاشِئًا عَنِ التَّقصِيرِ، فَهُوَ مُفَرِّطٌ.

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ قَومٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الأَوَّلِ، حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ...**»[٤].

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٢).
(٢) رواه أبو داود (٥٦٤)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١٠).
(٣) «عون المعبود» (٢/ ١٩٢).
(٤) رواه أبو داود (٦٧٩)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١٠). =

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى فِي أَصحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُم: «**تقَدَّمُوا فائتَمُّوا بِي، وليَأتَمَّ بِكُم مَن بَعدَكُم، لَا يَزَالُ قَومٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»(١).

قَالَ إِبرَاهِيمُ التَّيمِيُّ رحمه الله: إِذَا رَأَيتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ فِي التَّكبِيرَةِ الأُولَى؛ فَاغسِل يَدَكَ مِنهُ(٢).

وَاعلَم أَنَّهُ لَا يُدرِكُ المَفَاخِرَ، مَن رَضِيَ بِالصَّفِّ الآخِرِ.

٢٥ التَّمكِينُ فِي الأَرضِ:

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور].

فَإِذَا قَامَ العَبدُ بِعِبَادَةِ اللهِ مُخلِصًا لَهُ فِي أَقوَالِهِ وَأَفعَالِهِ وَإِرَادَتِهِ، لَا يُرِيدُ بِهَا إِلَّا وَجهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَلَا يُرِيدُ بِهَا جَاهًا وَلَا ثَنَاءً مِنَ النَّاسِ، وَلَا مَالًا، وَلَا شَيئًا مِنَ الدُّنيَا، وَاستَمَرَّ عَلَى هَذِهِ العِبَادَةِ المُخلَصَةِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ؛ مَكَّنَ اللهُ لَهُ فِي الأَرضِ(٣).

= وقال في الحاشية: «في الحديث مكان النقط: «**فِي النَّارِ**»، فحذفتها لضعف سندها».

(١) رواه مسلم (٤٣٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٥)، وأورده الذهبي في «السير» (٥/ ٦٢).

(٣) «مجالس شهر رمضان» (ص٢٣٠)، للعلَّامة ابن عثيمين رحمه الله.

٢٦ صَلَاحُ الأَعْمَالِ:

إِنَّ حُسنَ النِّيَّةِ، لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي صَلَاحِ الأَعمَالِ. وَإِنَّ فَسَادَ النِّيَّةِ يُفسِدُ العَمَلَ، كَمَا يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ.

وَلنَتَأَمَّلِ الحَدِيثَ التَّالِيَ:

عَن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ: إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ، طَابَ أَعْلَاهُ؛ وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلَاهُ**»[(١)].

«(**إِنَّمَا الأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ**) المُرَادُ هُنَا: أَنَّ العَمَلَ شَبِيهٌ بِالإِنَاءِ المَملُوءِ (**إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ**) أَي: حَسُنَ وَعَذُبَ أَسفَلُ مَا فِيهِ مِن نَحوِ مَائِعٍ (**طَابَ أَعْلَاهُ**) الَّذِي هُوَ مَرئِيٌّ (**وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلَاهُ**).

وَالقَصدُ بِالتَّشبِيهِ: أَنَّ الظَّاهِرَ عُنوَانُ البَاطِنِ، وَمَن طَابَت سَرِيرَتُهُ طَابَت عَلَانِيَتُهُ؛ فَإِذَا اقتَرَنَ العَمَلُ بِالإِخلَاصِ القَلبِيِّ، الَّذِي هُوَ شَرطُ القَبُولِ، أَشرَقَ ضِيَاءُ الأَنوَارِ عَلَى الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ؛ وَإِذَا اقتَرَنَ بِرِيَاءٍ أَو نَحوِهِ، اكتَسَبَ ظُلمَةً يُدرِكُهَا أَهلُ البَصَائِرِ وَأَربَابُ السَّرَائِرِ»[(٢)].

قَالَ مَالِكُ بنُ دِينَارٍ رحمه الله: «إِنَّ الأَبرَارَ تَغلِي قُلُوبُهُم بِأَعمَالِ البِرِّ، وَإِنَّ الفُجَّارَ تَغلِي قُلُوبُهُم بِأَعمَالِ الفُجُورِ؛ وَاللهُ يَرَى هُمُومَكُم، فَانظُرُوا مَا هُمُومُكُم؟ رَحِمَكُمُ اللهُ»[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٩٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٠٤).

(٢) «فيض القدير» (٤/ ٢١٨٠)، باختصار.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الهَمِّ والحُزنِ» (رقم: ١١٢)، وإسناده جيِّد.

وَفِي مِثلِ هَذَا، قِيلَ فِي المَثَلِ: وَكُلُّ إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنضَحُ[(١)].

قَالَ ابنُ حِبَّانَ البُستِيُّ:

أَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللَّهِ بنِ زِنجِيٍّ البَغدَادِيُّ:

وَإِذَا أَعلَنتَ أَمرًا حَسَنًا فَليَكُنْ أَحسَنَ مِنهُ مَا تُسِرْ

فَمُسِرُّ الخَيرِ مَوسُومٌ بِهِ وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوسُومٌ بِشَرْ[(٢)]

٢٧ الفَلَاحُ:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم].

وَالفَلَاحُ: هُوَ الفَوزُ وَالظَّفَرُ بِكُلِّ مَطلُوبٍ مَرغُوبٍ، وَالنَّجَاةُ مِن كُلِّ مَرهُوبٍ. فَحَقِيقَتُهُ: السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّةُ، وَالنَّعِيمُ المُقِيمُ[(٣)].

فَلَا طَرِيقَ لِلفَلَاحِ، سِوَى الإِخلَاصِ فِي عِبَادَةِ الخَالِقِ، وَالسَّعيِ فِي نَفعِ عَبِيدِهِ؛ فَمَن وُفِّقَ لِذَلِكَ، فَلَهُ القَدَحُ المُعَلَّى مِنَ السَّعَادَةِ، وَالنَّجَاحِ وَالفَلَاحِ[(٤)].

فَالإِخلَاصُ أَجَلُّ الوَسَائِلِ، وَالفَلَاحُ أَكمَلُ الغَايَاتِ.

٢٨ السَّعَادَةُ فِي الدُّنيَا:

عَن زَيدِ بنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ**

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٠٧).
(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٢٨).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٩٤).
(٤) المصدر السابق (ص٧٥٨).

مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ؛ وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»(١).

فَالمُؤمِنُ المُخلِصُ لِلَّهِ مِن أَطيَبِ النَّاسِ عَيشًا، وَأَنعَمِهِم بَالًا، وَأَشرَحِهِم صَدرًا، وَأَسَرِّهِم قَلبًا، وَهَذِهِ جَنَّةٌ عَاجِلَةٌ قَبلَ الجَنَّةِ الآجِلَةِ(٢).

هَذِهِ ثَمَرَاتُ الإِخلَاصِ «وَلَعَلَّهَا قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ: بِحَسَبِ أَذْهَانِنَا الْوَاقِفَةِ، وَقُلُوبِنَا الْمُخْطِئَةِ، وَعُلُومِنَا الْقَاصِرَةِ، وَأَعْمَالِنَا الَّتِي تُوجِبُ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ»(٣).

فَإِنَّ هَذِهِ الثَّمَرَاتِ وَأَمثَالَهَا، مِمَّا تُذَكِّرُ قُلُوبَ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّهِ؛ وَأَمَّا أَهلُ الرِّيَاءِ وَالشُّهرَةِ وَحُبِّ الظُّهُورِ، فَلَيسَ عِندَهُم مِن ذَلِكَ خَبَرٌ.

«وَأَمرٌ هَذَا شَأنُهُ، حَقِيقٌ أَن تُثنَى عَلَيهِ الخَنَاصِرُ، وَيُعَضَّ عَلَيهِ بِالنَّوَاجِذِ، وَيُقبَضَ فِيهِ عَلَى الجَمرِ، وَلَا يُؤخَذَ بِأَطرَافِ الأَنَامِلِ، وَلَا يُطلَبَ عَلَى فَضلَةٍ، بَل يُجعَلَ هُوَ المَطلُوبَ الأَعظَمَ؛ وَمَا سِوَاهُ إِنَّمَا يُطلَبُ عَلَى فَضلَةٍ، وَاللَّهُ المَسؤُولُ أَن يَمُنَّ عَلَينَا بِتَحقِيقِ ذَلِكَ: عِلمًا، وَعَمَلًا، وَحَالًا؛ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَن يَكُونَ حَظُّنَا مِن ذَلِكَ مُجَرَّدَ حِكَايَتِهِ»(٤).



---

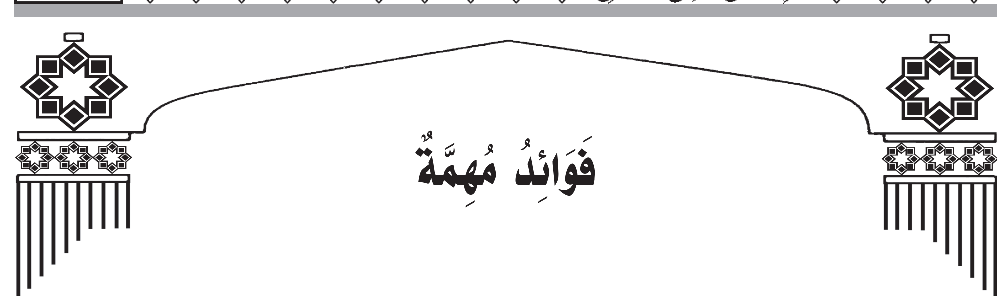
(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦٨).

(٢) «الداء والدواء» (ص ٣٠٣).

(٣) «إعلام الموقِّعين» (١/ ٢٢٨ - ٢٢٩).

(٤) «الدرر السنية» (٢/ ٣٢٣).





فَوائِدُ مُهِمَّةٌ

أَوَّلًا: سُرُورُ العَبْدِ عِندَ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيهِ، وَهُوَ لَا يَقصِدُ ذَلِكَ: هَذَا لَا يَقدَحُ فِي إِخْلَاصِهِ، مَا دَامَ بَدَأَهُ بِإِخْلَاصٍ، وَخَرَجَ مِنهُ مُخلِصًا، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

قَالَ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا عَمِلَ العَمَلَ للهِ خَالِصًا، ثُمَّ أَلقَى اللهُ لَهُ الثَّنَاءَ الحَسَنَ فِي قُلُوبِ المُؤمِنِينَ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ بِفَضلِ اللهِ وَرَحمَتِهِ، وَاستَبشَرَ بِذَلِكَ، لَم يَضُرَّهُ ذَلِكَ»(١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيهِ؟! قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤمِنِ**»(٢).

يَعنِي: الرَّجُلَ الَّذِي يَعمَلُ العَمَلَ الصَّالِحَ خَالِصًا، وَلَا يُرِيدُ إِظهَارَهُ لِلنَّاسِ؛ لِأَنَّهُ لَو عَمِلَهُ لِيَحمَدَهُ النَّاسُ أَو يَبَرُّوهُ لَكَانَ مُرَائِيًا، وَيَكُونُ ذَلِكَ العَمَلُ بَاطِلًا فَاسِدًا، وَإِنَّمَا اللهُ تَعَالَى بِلُطفِهِ، وَرَحمَتِهِ، وَكَرَمِهِ يُعَامِلُ المُخلِصِينَ فِي الأَعمَالِ، الصَّادِقِينَ فِي الأَقوَالِ وَالأَحوَالِ بِأَنوَاعٍ مِنَ اللُّطفِ، فَيَقذِفُ فِي القُلُوبِ مَحَبَّتَهُم، وَيُطلِقُ الأَلسِنَةَ بِالثَّنَاءِ عَلَيهِم، لِيُنَوِّهَ بِذِكرِهِم فِي المَلَإِ الأَعلَى؛ لِيَستَغفِرُوا لَهُم، وَيَنشُرَ طِيبَ ذِكرِهِم

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٢).

فِي الدُّنيَا لِيُقتَدَى بِهِم، فَيَعظُمَ أَجرُهُم، وَتَرتَفِعَ مَنَازِلُهُم، وَلِيَجعَلَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى استِقَامَةِ أَحوَالِهِم، وَبُشرَى بِحُسنِ مَآلِهِم، وَكَثِيرِ ثَوَابِهِم، وَلِذَلِكَ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤمِنِ**»[1].

قَالَ الشَّاعِرُ زُهَيرُ بنُ أَبِي سُلمَى المُزَنِيُّ:

وَمَهمَا تَكُن عِندَ امرِئٍ مِن خَلِيقَةٍ ... وَإِن خَالَهَا تَخفَى عَلَى النَّاسِ تُعلَمِ[2]

قَالَ ابنُ الحَاجِّ رَحِمَهُ اللهُ: «الأَصلُ فِي إِخلَاصِ العَمَلِ: أَن يَعمَلَ العَبدُ العَمَلَ كُلَّهُ، يُرِيدُ بِهِ اللهَ، لَا يُحِبُّ أَن يَطَّلِعَ عَلَيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، فَإِنِ اطَّلَعَ أَحَدٌ عَلَى عَمَلِهِ، كَرِهَ ذَلِكَ بِقَلبِهِ، وَلَم يُسَرَّ بِذَلِكَ، فَلَم يُحِبَّ أَن يَحمَدَهُ أَحَدٌ عَلَى شَيءٍ مِن عَمَلِهِ، وَلَم يَتَّخِذ بِهِ مَنزِلَةً عِندَهُم، فَهَذَا أَصلُ إِخلَاصِ العَمَلِ، وَاللهُ المُستَعَانُ»[3].

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنْ كَانَ قَصْدُهُ إِخْفَاءَ الطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ الْخَلْقُ عَلِمَ أَنَّ اللهَ أَطْلَعَهُمْ وَأَظْهَرَ الْجَمِيلَ مِنْ أَحْوَالِهِ، فَسُرَّ بِحُسْنِ صَنِيعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَظَرِهِ لَهُ وَلُطْفِهِ بِهِ، حَيْثُ كَانَ يَسْتُرُ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ، فَأَظْهَرَ اللهُ عَلَيْهِ الطَّاعَةَ وَسَتَرَ الْمَعْصِيَةَ، فَيَكُونُ فَرَحُهُ بِذَلِكَ، لَا بِحَمْدِ النَّاسِ، وَقِيَامِ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ؛ وَيُسْتَدَلُّ بِإِظْهَارِ اللهِ الْجَمِيلَ، وَسَتْرِ الْقَبِيحِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا: أَنَّهُ كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، قَدْ جَاءَ مَعْنَى ذَلِكَ فِي الحَدِيثِ[4]. فَأَمَّا إِنْ كَانَ فَرَحُهُ بِاطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ،

---

(١) «المفهم» (٦/ ٦٤٨).

(٢) «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص ٥٠).

(٣) «المدخل» (٢/ ١/ ٤٨).

(٤) انظر: البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

لِقِيَامِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَمْدَحُوهُ وَيُعَظِّمُوهُ، وَيَقْضُوا حَوَائِجَهُ: فَهَذَا مَكْرُوهٌ مَذْمُومٌ ... . فَأَمَّا إِذَا أَعْجَبَهُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ مِنْهُ الْخَيْرَ، وَيُكْرِمُوهُ عَلَيْهِ: فَهَذَا رِيَاءٌ»(١).

❁ **ثَانِيًا**: إِن قُمتَ بِوَاجِبِ النَّصِيحَةِ لِأَحَدٍ «فَاحذَر أَن تُفسِدَ نَصِيحَتَكَ بِالتَّمَدُّحِ عِندَ النَّاسِ، فَتَقُولَ لَهُم: إِنِّي نَصَحتُهُ وَقُلتُ وَقُلتُ. فَإِنَّ هَذَا عُنوَانُ الرِّيَاءِ، وَعَلَامَةُ ضَعفِ الإِخلَاصِ»(٢).

❁ **ثَالِثًا: مِن دَقَائِقِ أَبوَابِ الرِّيَاءِ**: أَنَّ الإِنسَانَ قَد يَذُمُّ نَفسَهُ بَينَ النَّاسِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَن يُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ عِندَ نَفسِهِ، فَيَرتَفِعَ بِذَلِكَ عِندَهُم، وَيَمدَحُونَهُ بِهِ؛ وَهَذَا مِن دَقَائِقِ أَبوَابِ الرِّيَاءِ، وَقَد نَبَّهَ عَلَيهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

قَالَ مُطَرِّفُ بنُ عَبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَفَى بِالنَّفسِ إِطرَاءً أَن تَذُمَّهَا عَلَى المَلَإِ، كَأَنَّكَ تُرِيدُ بِذَمِّهَا زِينَتَهَا، وَذَلِكَ عِندَ اللَّهِ سَفَهٌ(٣).

وَيَظهَرُ مِنهُم مِن قَبُولِ المَدحِ وَاستِجلَابِهِ: مَا يُنَافِي الصِّدقَ وَالإِخلَاصَ، فَإِنَّ الصَّادِقَ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفسِهِ، وَيَخشَى عَلَى نَفسِهِ مِن سُوءِ الخَاتِمَةِ، فَهُوَ فِي شُغلٍ شَاغِلٍ عَن قَبُولِ المَدحِ وَاستِحسَانِهِ(٤).

وَقَالَ ابنُ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) نقله عنه ابن مُفلِح المقدسي: في «الآداب الشرعية» (١/ ١٨٨ - ١٨٩).
(٢) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٣٩٨)، بتصرُّف يسير.
(٣) شرح حديث: «**مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ**» (ص٤٧).
والأثر بمعناه: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٢).
(٤) «فضل علم السلف على الخلف» (ص٥٥).

كُلُّهُم يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُم أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ[(١)].

وَقَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ يُقَالُ: النِّفَاقُ اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَالقَولِ وَالعَمَلِ[(٢)].

وَعَنْ جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ مَنْزِلَهُ بِحِمْصَ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ يَتَشَهَّدُ فَجَعَلَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النِّفَاقِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا أَنْتَ وَالنِّفَاقَ؟! مَا شَأْنُكَ وَمَا شَأْنُ النِّفَاقِ؟! فَقَالَ: اللَّهُمَّ غُفْرًا - ثَلَاثًا -، لَا يَأْمَنُ البَلَاءَ مَنْ يَأْمَنُ البَلَاءَ، وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَنُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَنْقَلِبُ عَنْ دِينِهِ[(٣)].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ قَالَ: أَنْ لَا يَكُونَ فِيَّ نِفَاقٌ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. كَانَ عُمَرُ يَخْشَاهُ، وَآمَنُهُ أَنَا؟![(٤)]

فَالإِخلَاصُ سَفِينَةُ النَّجَاةِ، مِنَ الغَرَقِ فِي مُحِيطِ النِّفَاقِ.

فَأَحكِم سَفِينَةَ الإِخلَاصِ، فَإِنَّ البَحرَ عَمِيقٌ، وَأَموَاجُهُ مُتَلَاطِمَةٌ، وَلَا سَبِيلَ لِلوُصُولِ إِلَى بَرِّ الأَمنِ وَالأَمَانِ، إِلَّا بِرُكُوبِ سَفِينَةِ الإِخلَاصِ.

مَن عَزَمَ عَلَى قَطعِ بَحرِ الهَلَاكِ إِلَى سَاحِلِ السَّلَامَةِ، فَليَركَب

(١) رواه البخاري معلَّقًا مجزومًا به: قبل الحديث (٤٨). ووصله البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٣٧).

(٢) رواه الفريابي في «صفة النفاق» (٥٠)، وصحح إسناده المحقق.

(٣) رواه الفريابي في «صفة النفاق» (٧٤)، وصحح إسناده المحقق.

(٤) رواه الفريابي في «صفة النفاق» (٨٦)، وصحح إسناده المحقق.

مَركَبَ المُخلِصِينَ.

الإِخـلَاصُ سَفِينَةٌ مَأمُونَـةٌ، مَنِ اعتَصَمَ بِرُكُوبِهَا نَجَا كَمَا نَجَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَن مَعَهُ، وَمَن تَخَلَّفَ عَنهَا غَرِقَ وَسَطَ أَموَاجِ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَهُم أَكثَرُ أَهلِ الأَرضِ.

الخَطَرُ قَرِيبٌ مِنكَ! وَسَفِينَةُ الخَلَاصِ بَينَ يَدَيكَ! فَاجْعَلِ الإِخْلَاصَ نُصْبَ عَينَيكَ!

وَمَن نَظَرَ فِي سِرِّ الإِخلَاصِ، عَلِمَ: أَنَّ مَن لَم يُخلِص، لَم يُؤتَ إِلَّا مِن قِبَلِ نَفسِهِ.

رَابِعًا: عِندَ خُرُوجِكَ مِنَ المَنزِلِ، تَذَكَّرِ الحَدِيثَ التَّالِيَ:

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَو كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِن كَانَ خَرَجَ يَسعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَإِن كَانَ خَرَجَ يَسعَى عَلَى أَبَوَينِ شَيخَينِ كَبِيرَينِ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَإِن كَانَ [خَرَجَ] يَسعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَإِن كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ**»(١).

خَامِسًا: حَاسِب نَفسَكَ قَبلَ العَمَلِ:

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ

---

(١) رواه الطبراني ١٩/ رقم (٢٨٢)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٩٢).

مِنْ عَبْدٍ يَعْمَلُ حَتَّى يَهُمَّ؛ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَمْضَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَفَّ عَنْهُ»(١).

إِذَا تَحَرَّكتَ لِعَمَلٍ مِنَ الأَعمَالِ، فَانظُر: «هَلِ البَاعِثُ عَلَيهِ: إِرَادَةُ وَجهِ ٱللَّهِ ﷻ وَثَوَابِهِ؟ أَو إِرَادَةُ الجَاهِ وَالمَالِ مِنَ المَخلُوقِ؟»(٢). فَإِن كَانَ الثَّانِي لَا تَقدمُ عَلَيهِ، وَإِن أَفضَى بِكَ إِلَى مَطلُوبِكَ؛ «لِئَلَّا تَعتَادَ النَّفسُ الشِّركَ، وَيَخِفَّ عَلَيهَا العَمَلُ لِغَيرِ ٱللَّهِ، فَبِقَدرِ مَا يَخِفُّ عَلَيهَا ذَلِكَ، يَثقُلُ عَلَيهَا العَمَلُ للهِ تَعَالَى، حَتَّى يَصِيرَ أَثقَلَ شَيءٍ عَلَيهَا»(٣).

فَمَن عَوَّدَ نَفسَهُ العَمَلَ للهِ، لَم يَكُن عَلَيهِ أَشَقَّ مِنَ العَمَلِ لِغَيرِهِ، وَمَن عَوَّدَ نَفسَهُ العَمَلَ لِهَوَاهُ وَحَظِّهِ، لَم يَكُن عَلَيهِ أَشَقَّ مِنَ الإِخلَاصِ وَالعَمَلِ للهِ. وَهَذَا فِي جَمِيعِ أَبوَابِ الأَعمَالِ، فَلَيسَ شَيءٌ أَشَقَّ عَلَى المُنفِقِ للهِ مِنَ الإِنفَاقِ لِغَيرِهِ، وَكَذَا بِالعَكسِ(٤).

سَادِسًا: لَا تَترُكِ العَمَلَ مِن أَجلِ النَّاسِ:

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمَن كَانَ لَهُ وِردٌ مَشرُوعٌ مِن صَلَاةِ الضُّحَى، أَو قِيَامِ لَيلٍ، أَو غَيرِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُصَلِّيهِ حَيثُ كَانَ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَن يَدَعَ وِردَهُ المَشرُوعَ لِأَجلِ كَونِهِ بَينَ النَّاسِ، إِذَا عَلِمَ ٱللَّهُ مِن قَلبِهِ أَنَّهُ يَفعَلُهُ سِرًّا للهِ مَعَ اجتِهَادِهِ فِي سَلَامَتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ، وَمُفسِدَاتِ الإِخلَاصِ»(٥).

سَابِعًا: سَلَامُ المَعرِفَةِ فِيهِ نَقصٌ فِي الإِخلَاصِ:

عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٧٧)، وإسناده صحيح.
(٢) «موارد الأمان» (ص ١٤٨).
(٣) المصدر السابق.
(٤) «عدة الصابرين» (ص ٨٢).
(٥) «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٢٦٣).

قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[١].

قَوْلُهُ: «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟» أَي: أَيُّ خِصَالِهِ، وَأُمُورِهِ، وَأَحوَالِهِ؟[٢]

وَقَولُهُ: «**وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»؛ هَذَا أَفضَلُ أَنوَاعِ إِفشَاءِ السَّلَامِ[٣]. أَي: تُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ مَن لَقِيتَهُ، وَلَا تَخُصَّ بِهِ مَن تَعرِفُهُ، وَهَذَا العُمُومُ مَخصُوصٌ بِالمُسلِمِينَ[٤].

قَالَ الخَطَّابِيُّ (ت٣٨٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَجَعَلَ [ﷺ] خَيرَ أَفعَالِهَا، وَأَفضَلَهَا فِي الأَجرِ والمَثُوبَةِ: إِطعَامَ الطَّعَامِ، الَّذِي بِهِ قِوَامُ الأَبدَانِ وَالأَنفُسِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيَانِ مَا يَكُونُ بِهِ قَضَاءُ حُقُوقِهِم مِنَ الأَقوَالِ، فَجَعَلَ خَيرَهَا وَأَوسَعَهَا فِي البِرِّ وَالإِكرَامِ: إِفشَاءَ السَّلَامِ؛ وَجَعَلَهُ عَامًّا لَا يَخُصُّ بِهِ مَن عَرَفَ دُونَ مَن لَم يَعرِف، لِيَكُونَ خَالِصًا للَّهِ، بَرِيئًا مِن حَظِّ النَّفسِ وَالتَّصَنُّعِ، لِأَنَّهُ شِعَارُ الإِسلَامِ، فَحَقُّ كُلِّ مُسلِمٍ فِيهِ شَائِعٌ»[٥].

فَيَنبَغِي عَلَى الإِنسَانِ أَن يُسَلِّمَ «عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيَهُ عَرَفَهُ أَم لَم يَعرِفهُ، وَسَلَامُ المَعرِفَةِ فِيهِ نَقصٌ فِي الإِخلَاصِ؛ يَعنِي: الَّذِي لَا يُسَلِّمُ إِلَّا عَلَى مَن عَرَفَ، هَذَا إِخلَاصُهُ نَاقِصٌ، بَلِ المُخلِصُ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ عَرَفَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ»[٦].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ**

(١) رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩). (٢) «السراج الوهاج» (١/ ٢٤٧).
(٣) «فتح الباري» (١/ ٤٤)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) «الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» (١/ ٥٦ - ٥٧)، للسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ [دار ابن عفَّان].
(٥) «أعلام السُّنن في شرح صحيح البخاري» (١/ ٣٨).
(٦) «شرح بلوغ المرام» (٦/ ٣٨٩)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

السَّاعَةِ: أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»[١].

ثَامِنًا: أَصلِح سَرِيرَتَكَ:

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي نَفسِهِ وَمَنْ حَولَهُ مِنَ النَّاسِ بِكَافَّةِ طَبَقَاتِهِم، لَيَرَى اهْتِمَامًا بَالِغًا وَانْصِرَافًا تَامًّا - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ - إِلَى العِنَايَةِ بِالمَظَاهِرِ المَرئِيَّةِ، وَغَفلَةً تَكَادُ تَكُونُ عَامَّةً عَنِ العِنَايَةِ بِالأَعمَالِ القَلبِيَّةِ وَالذَّخَائِرِ الخَفِيَّةِ. فَالمَظَاهِرُ زَاهِيَةٌ، وَالسَّرَائِرُ خَاوِيَةٌ.

مَعَ أَنَّ إِصْلَاحَ السَّرِيرَةِ مِنَ المَطَالِبِ العَالِيَةِ، وَالمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ، وَالمَوَاهِبِ الغَالِيَةِ، وَأُمنِيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَغَايَةٌ كَرِيمَةٌ، لَا تَصْلُحُ الأَحْوَالُ إِلَّا بِهَا.

عَن يَحيَى بنِ الجَزَّارِ، قَالَ: دَخَلَ نَاسٌ مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالُوا: يَا أُمَّ المُؤمِنِينَ، حَدِّثِينَا عَن سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَت: كَانَ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ سَوَاءً، ثُمَّ نَدِمْتُ فَقُلْتُ: أَفشَيتُ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! قَالَت: فَلَمَّا دَخَلَ أَخبَرتُهُ، فَقَالَ: «**أَحسَنتِ**»[٢].

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق]؛ أَي: تُختَبَرُ سَرَائِرُ الصُّدُورِ، وَيَظهَرُ مَا كَانَ فِي القُلُوبِ مِن خَيرٍ وَشَرٍّ عَلَى صَفَحَاتِ الوُجُوهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٦]؛ فَفِي الدُّنيَا، يَنكَتِمُ كَثِيرٌ مِنَ الأَشيَاءِ، وَلَا يَظهَرُ عِيَانًا لِلنَّاسِ، وَأَمَّا يومَ القِيَامَةِ، فَيَظهَرُ بِرُّ الأَبرَارِ، وَفُجُورُ الفُجَّارِ، وَتَصِيرُ الأُمُورُ عَلَانِيَةً[٣].

وَلِلَّهِ هَاتِيكَ القُلُوبُ، وَمَا انطَوَت عَلَيهِ مِنَ الضَّمَائِرِ، وَمَاذَا أَودَعَتهُ مِنَ

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٠٥-٤٠٦ رقم ٣٨٤٨)، وقوَّاه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٦٤٨).
(٢) «أخرجه أحمد (٦/ ٣٠٩)، بسندٍ حسنٍ. (٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٢٩٦ - ١٢٩٧).

الكُنُوزِ وَالذَّخَائِرِ؟! وَللهِ طِيبُ أَسرَارِهَا! وَلَا سِيَّمَا يَومَ تُبلَى السَّرَائِرُ:

سَيَبدُو لَهَا طِيبٌ وَنُـورٌ وَبَهجَةٌ وَحُسنُ ثَنَاءٍ يَومَ تُبلَى السَّرَائِرُ(١)

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِي التَّعبِيرِ عَنِ الأَعمَالِ بِالسِّرِّ لَطِيفَةٌ، وَهُوَ أَنَّ الأَعمَالَ نَتَائِجُ السَّرَائِرِ البَاطِنَةِ، فَمَن كَانَت سَرِيرَتُهُ صَالِحَةً كَانَ عَمَلُهُ صَالِحًا، فَتَبدُو سَرِيرَتُهُ عَلَى وَجهِهِ: نُورًا وَإِشرَاقًا وَحَيَاءً، وَمَن كَانَت سَرِيرَتُهُ فَاسِدَةً، كَانَ عَمَلُهُ تَابِعًا لِسَرِيرَتِهِ، لَا اعتِبَارَ بِصُورَتِهِ، فَتَبدُو سَرِيرَتُهُ عَلَى وَجهِهِ سَوَادًا وَظُلْمَةً وَشَينًا. وَإِن كَانَ الَّذِي يَبدُو عَلَيهِ فِي الدُّنيَا، إِنَّمَا هُوَ عَمَلُهُ لَا سَرِيرَتُهُ، فَيَومَ القِيَامَةِ تَبدُو عَلَيهِ سَرِيرَتُهُ، وَيَكُونُ الحُكمُ وَالظُّهُورُ لَهَا»(٢).

وَقَالَ أَيضًا فِي تَفسِيرِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق]: «أَي: تُختَبَرُ...، وَالسَّرَائِرُ جَمعُ سَرِيرَةٍ، وَهِيَ سَرَائِرُ اللهِ الَّتِي بَينَهُ وَبَينَ عَبدِهِ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ للهِ، فَالإِيمَانُ مِنَ السَّرَائِرِ، وَشَرَائِعُهُ مِنَ السَّرَائِرِ، فَتُختَبَرُ ذَلِكَ اليَومَ، حَتَّى يَظهَرَ خَيرُهَا مِن شَرِّهَا، وَمُؤَدِّيهَا مِن مُضَيِّعِهَا...؛ وَالمَعنَى: تُختَبَرُ السَّرَائِرُ بِإِظهَارِهَا، وَإِظهَارِ مُقتَضَيَاتِهَا مِنَ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَالحَمدِ وَالذَّمِّ»(٣).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمُعَوَّلُ عَلَى السَّرَائِرِ وَالْمَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ وَالْهِمَمِ، فَهِيَ الْإِكْسِيرُ الَّذِي يَقْلِبُ نُحَاسَ الْأَعْمَالِ ذَهَبًا، أَوْ يَرُدُّهَا خَبَثًا ...؛ وَمَنْ لَهُ لُبٌّ وَعَقْلٌ، يَعْلَمُ قَدْرَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَشِدَّةَ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَانْتِفَاعَهُ بِهَا»(٤).

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قُطبُ الطَّاعَاتِ لِلمَرءِ فِي الدُّنيَا: هُوَ إِصلَاحُ

(١) «إغاثة اللهفان» (ص٨١).
(٢) «التبيان في أقسام القرآن» (ص٦٧).
(٣) المصدر السابق.
(٤) «زاد المعاد» (٣/ ٤٢٧).

السَّرَائِرِ، وَتَركُ إِفسَادِ الضَّمَائِرِ.

وَالوَاجِبُ عَلَى العَاقِلِ: الاِهتِمَامُ بِإِصلَاحِ سَرِيرَتِهِ، وَالقِيَامُ بِحِرَاسَةِ قَلبِهِ عِندَ إِقبَالِهِ وَإِدبَارِهِ، وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ؛ لِأَنَّ تَكَدُّرَ الأَوقَاتِ، وَتَنَغُّصَ اللَّذَّاتِ، لَا يَكُونُ إِلَّا عِندَ فَسَادِهِ.

وَلَو لَم يَكُن لِإِصلَاحِ السَّرَائِرِ سَبَبٌ يُؤَدِّي العَاقِلَ إِلَى استِعمَالِهِ، إِلَّا إِظهَارُ اللَّهِ عَلَيهِ كَيفِيَّةَ سَرِيرَتِهِ، خَيرًا كَانَ أَو شَرًّا، لَكَانَ الوَاجِبُ عَلَيهِ قِلَّةَ الإِغضَاءِ عَن تَعَاهُدِهَا[١].

فَطَهِّر لِلَّهِ «سَرِيرَتَكَ فَإِنَّهَا عِندَهُ عَلَانِيَةٌ، وَأَصلِح لَهُ غَيبَكَ فَإِنَّهُ عِندَهُ شَهَادَةٌ، وَزَكِّ لَهُ بَاطِنَكَ فَإِنَّهُ عِندَهُ ظَاهِرٌ»[٢].

قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ عُثَيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِصلَاحُ السَّرِيرَةِ يَكُونُ بِصِدقِ الإِخلَاصِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِحَيثُ لَا يَهتَمُّ بِالخَلقِ، مَدَحُوهُ أَو ذَمُّوهُ، نَفَعُوهُ أَو ضَرُّوهُ، يَكُونُ قُلبُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَبُّدًا، وَتَأَلُّهًا، وَمَحَبَّةً وَتَعظِيمًا، وَقَلبُهُ مَعَ اللَّهِ تَقدِيرًا وَتَدبِيرًا، يَعلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَمَا أَخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ، يَرضَى بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ، إِذَا وَقَعَ الأَمرُ يَقُولُ: عَسَى أَن يَكُونَ خَيرًا، يَستَشعِرُ دَائِمًا قَولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء]، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة]؛ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ مِن تَعَلُّقِ القَلبِ بِاللَّهِ، أَهَمُّ شَيءٍ أَن يَكُونَ قَلبُكَ مَعَ اللَّهِ دَائِمًا، وَإِذَا كَانَ مَعَ اللَّهِ دَائِمًا صَلُحَت سَرِيرَتُكَ؛ لِأَنَّكَ لَا يَهُمُّكَ

---

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٢٧). (٢) «طريق الهجرتين» (ص٤٢).

الخَلقُ، الخَلقُ عِندَكَ مِثلُ نَفسِكَ، بَل أَقَلُّ، مَا دُمتَ مُتَعَلِّقًا بِرَبِّكَ ﷻ، مُعتَصِمًا بِهِ، مُهتَدِيًا بِهُدَاهُ، مُعتَصِمًا بِحَبلِهِ، فَلَا يَهُمَّنَّكَ أَحَدٌ»[1].

قَالَ ابنُ الحَاجِّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِذَا كَانَ بَاطِنُكَ كَظَاهِرِكَ، لَم تُبَالِ كَيفَ كَانَ أَمرُكَ؟! وَقُم عَلَى بَاطِنِكَ، أَشَدَّ مِن قِيَامِكَ عَلَى ظَاهِرِكَ، فَإِنَّهُ المَوضِعُ الَّذِي فِيهِ اللهُ مُطَّلِعٌ، فَنَظِّفهُ وَزَيِّنهُ، لِيَنظُرَ اللهُ إِلَيهِ أَشَدَّ مَا تُزَيِّنُ ظَاهِرَكَ لِنَظَرِ غَيرِهِ، فَافهَم مَا أَقُولُ لَكَ بِعِنَايَةٍ مِنكَ وَقَبُولٍ»[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[3].

فَلَا تُضَيِّع حَظَّكَ مِن أَعمَالِ السَّرَائِرِ، فَبِهَا الحَزمُ وَالفَضلُ العَظِيمُ، وَالوَصفُ يَقصُرُ عَن قَدرِهَا عِندَ الإِلَهِ ﷻ، وَتُؤجَرُ عَلَيهَا عِندَ تَحصِيلِ مَا فِي الصُّدُورِ، وَالنَّاسُ عَنهَا غَافِلُونَ.

وَاعلَمْ بِأَنَّهُ «كُلَّمَا كَانَ وُجُودُ الشَّيءِ أَنْفَعَ لِلعَبدِ وَهُوَ إِلَيهِ أَحْوَجُ، كَانَ تَأَلُّمُهُ بِفَقْدِهِ أَشَدَّ، وَكُلَّمَا كَانَ عَدَمُهُ أَنْفَعَ لَهُ، كَانَ تَأَلُّمُهُ بِوُجُودِهِ أَشَدَّ، وَلَا شَيءَ عَلَى الإِطلَاقِ أَنفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْ»[4] إِصْلَاحِ سَرِيرَتِهِ، وَإِقبَالِهِ «عَلَى اللهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِذِكْرِهِ، وَتَنَعُّمِهِ بِحُبِّهِ، وَإِيثَارِهِ لِمَرْضَاتِهِ، بَلْ لَا حَيَاةَ لَهُ وَلَا نَعِيمَ وَلَا سُرُورَ وَلَا بَهْجَةَ إِلَّا بِذَلِكَ، فَعَدَمُهُ آلَمُ شَيءٍ لَهُ وَأَشَدُّهُ عَذَابًا عَلَيهِ»[5].

---

(١) «لقاء الباب المفتوح» (١١/ ١١).
(٢) «المدخل» (٢/ ١/ ٤٥).
(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).
(٤) «الداء والدواء» (ص ٣٠٤).
(٥) المصدر السابق.

وَاجعَل نُصبَ عَينَيكَ الحَدِيثَ التَّالِيَ:

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عز وجل هَبَاءً مَنْثُورًا**». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُم لَنَا، جَلِّهِم لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُم وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُم إِخْوَانُكُم وَمِنْ جِلْدَتِكُم، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُم أَقْوَامٌ، إِذَا خَلَوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا**»[1].

فَهَؤُلَاءِ قَامُوا بِأَعمَالٍ ظَاهِرَةٍ، وَاعتَنَوا بِالمَظَاهِرِ وَجَعَلُوهَا زَاهِيَةً، وَأَهمَلُوا سَرَائِرَهُم، وَبَوَاطِنَهُم، وَجَعَلُوهَا خَاوِيَةً، فَلَم يُرَاقِبُوا اللَّهَ فِي خَلَوَاتِهِم.

هَؤُلَاءِ يَنطَبِقُ عَلَيهِم قَولُ القَائِلِ:

أَظهَرَ بَينَ الخَلقِ إِحسَانَهُ وَخَالَفَ الرَّحمَنَ لَمَّا خَلَا

أَفَلَم يَأنِ لِلَّذِينَ يَخلُونَ بِمَحَارِمِ اللَّهِ وَيَدخُلُونَ عَلَى المَوَاقِعِ الإِبَاحِيَّةِ، وَيُشَاهِدُونَ الأَفلَامَ الخَلِيعَةَ، أَن يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ: مِن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ تُبلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَيُحَصَّلَ فِيهِ مَا فِي الصُّدُورِ. يَومَ يَدُومُ فِيهِ النَّدَمُ، لِمَن زَلَّت بِهِ القَدَمُ.

وَتَأَمَّل سَرِيرَةَ القَلبِ وَاستَحـ ـيِ مِنَ اللَّهِ يَومَ تُبلَى السَّرَائِرُ[2]

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥٠٥).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢).

فَيَا مُهمِلًا إصلَاحَ سَرِيرَتِكَ! «سَتعلَمُ يومَ الحَشرِ: أَيَّ سَرِيرَةٍ تكُونُ عَلَيهَا، ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق]»(١).

سَيَعلَمُ يَومَ العَرْضِ أَيَّ بِضَاعَةٍ أَضَاعَ وَعِنْدَ الوَزْنِ مَا كَانَ حَصَّلَا(٢)

أَلَا تَعْلَمُ بِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ «هِيَ الَّتِي تُنَوِّرُ الوَجهَ، وَتَشرَحُ الصَّدرَ، وَتُحيِي القَلبَ، وَتُطَيِّبُ الحَيَاةَ عَلَى الحَقِيقَةِ، لَا مَحَبَّةَ الصُّوَرِ المُحَرَّمَةِ، وَإِذَا بُلِيَتِ السَّرَائِرُ يَومَ اللِّقَاءِ، كَانَت سَرِيرَةُ صَاحِبِهَا مِن خَيرِ سَرَائِرِ العِبَادِ، كَمَا قِيلَ:

سَيَبقَى لَكُم فِي مُضْمَرِ القَلبِ وَالحَشَا
سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»(٣)

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَحَبَّةٍ لِغَيرِهِ فَهِيَ عَذَابٌ عَلَى صَاحِبِهَا وَحَسرَةٌ عَلَيهِ، إِلَّا مَحَبَّتَهُ وَمَحَبَّةَ مَا يَدعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَيُعِينُ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَرضَاتِهِ، فَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تبقَى فِي القَلبِ يومَ تُبلَى السَّرَائِرُ»(٤).

فَحَقِيقٌ بِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ، وَخَافَ نَكَالَهُ: أَن يُصلِحَ سَرِيرَتَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ «تُنْسَفُ فِيهِ الْجِبَالُ، وَتَتَرَادَفُ فِيهِ الْأَهْوَالُ، وَتَشْهَدُ فِيهِ الْجَوَارِحُ وَالْأَوْصَالُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَتَظْهَرُ فِيهِ الضَّمَائِرُ، وَيَصِيرُ الْبَاطِلُ فِيهِ ظَاهِرًا، وَالسِّرُّ عَلَانِيَةً، وَالْمَسْتُورُ مَكْشُوفًا، وَالْمَجْهُولُ مَعْرُوفًا، وَيُحَصَّلُ وَيَبْدُو مَا فِي الصُّدُورِ، كَمَا يُبعْثَرُ وَيَخْرُجُ مَا فِي الْقُبُورِ؛ وَتَجْرِي أَحْكَامُ الرَّبِّ تَعَالَى هُنَالِكَ عَلَى الْقُصُودِ وَالنِّيَّاتِ، كَمَا جَرَتْ أَحْكَامُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَلَى

(١) «الفوائد» (ص١١٥).
(٢) «الداء والدواء» (ص٣١٤).
(٣) المصدر السابق (ص٣٦٢).
(٤) «روضة المحبين» (ص٢٨٧).

ظَوَاهِرِ الْأَقْوَالِ وَالْحَرَكَاتِ، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ بِمَا فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهَا: مِنَ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْبِرِّ وَالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ لِلْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ بِمَا فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهَا: مِنَ الْخَدِيعَةِ وَالْغِشِّ وَالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ وَالِاحْتِيَالِ؛ هُنَالِكَ يَعْلَمُ الْمُخَادِعُونَ: أَنَّهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانُوا يَخْدَعُونَ، وَبِدِينِهِمْ كَانُوا يَلْعَبُونَ، وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ»[١].

عَن أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنكَ شَيئًا، فَلَا تَفعَلهُ إِذَا خَلَوتَ**»[٢].

وَعَنْ سَعِيدِ ابنِ يَزِيدِ الأَنصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوصِنِي، قَالَ: «أُوصِيكَ أَن تَستَحِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَستَحِي رَجُلًا صَالِحاً مِن قَومِكَ»[٣].

فَقُل لِنَفسِكَ: لَو كَانَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي قَومِي يَرَانِي، أَو يَسمَعُ كَلَامِي، لَاستَحَيتُ مِنْهُ، فَكَيفَ لَا أَستَحِي مِن رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ لَا آمَنُ تَعجِيلَ عُقُوبَتِهِ وَكَشفَ سَترِهِ؟!

فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ حَيثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاستَحضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَركَ المَعَاصِي فِي السِّرِّ.

قَالَ القَحطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِذَا خَلَوتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلمَةٍ وَالنَّفسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغيَانِ

---

(١) «إعلام الموقِّعين» (٣/ ٢١٤ - ٢١٥).

(٢) رواه ابن حبان (٤٠٣)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح موارد الظمآن» (٢١١٦).

(٣) أخرجه أحمد فِي «الزهد» (ص ٥٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صحيح الجامع» (٢٥٤١).

فَاستَحِي مِن نَظرِ الإلَـهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ   الَّـذِي خَـلَـقَ الـظَّـلامَ يَـرَانِـي[1]

وَكَانَ ابنُ السَّمَّاكِ يُنشِدُ:

يَا مُدمِنَ الذَّنبِ أَمَا تَستَحِي وَاللَّهُ   فِـي الـخَـلـوَةِ ثَـانِـيـكَـا

عَن مُعَاوِيةَ بنِ حَيدةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلتُ: يَا رَسولَ اللَّهِ، عَورَاتُنَا مَا نَأتي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «**احفَظ عَورَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوجَتِكَ، أَو مَا مَلَكَت يَمِينُكَ**» قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ القَومُ بَعضُهُم فِي بَعضٍ؟ قَالَ: «**إِنِ استَطَعتَ أَن لا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ، فَلا يَرَيَنَّهَا**» قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِياً؟ قَالَ: «**اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُستَحيَىٰ مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**»[2].

فَقَد «أَمَرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الرَّجُلَ: أَن يَستُرَ عَورَتَهُ، وَإِن كَانَ خَالِياً لا يَرَاهُ أَحَدٌ، أَدَباً مَعَ اللَّهِ، عَلَىٰ حَسَبِ القُربِ مِنْهُ، وَتَعظِيمِهِ وَإِجلالِهِ، وَشِدَّةِ الحَيَاءِ مِنْهُ، وَمَعرِفَةِ وَقَارِهِ»[3].

فَاللَّهَ اللَّهَ فِي إِصْلَاحِ السَّرَائِرِ؛ فَإِنَّهُ مَا يَنْفَعُ مَعَ فَسَادِهَا صَلَاحٌ ظَاهِرٌ.

قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥١].

فَانظُر أَيُّهَا الأَخُ الحَبِيبُ: مَاذَا يَعلَمُ اللَّهُ مِن قَلبِكَ؟

دَاوِ قَلبَكَ وَأَصلِحهُ، وَأَخلِص وَصَحِّحِ النِّيَّةَ، وَأَخلِصِ الطَّوِيَّةَ؛ فَإِنَّ مُرَادَ اللَّهِ مِنَ العِبَادِ: صَلَاحُ قُلُوبِهِم.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

---

(١) نونية القحطاني (ص ٩٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٩٩).

(٣) «تهذيب المدارج» (ص ٧١١).

«**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

وَقَوْلُهُ: «**فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ**» إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَاطِنَ الأَمْرِ يَكُونُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ خَاتِمَةَ السُّوءِ تَكُونُ بِسَبَبِ دَسِيسَةٍ بَاطِنَةٍ لِلْعَبْدِ لا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا النَّاسُ، فَتِلْكَ الخَصْلَةُ الخَفِيَّةُ تُوجِبُ سُوءَ الخَاتِمَةِ عِنْدَ المَوْتِ(٢). وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غِشٌّ وَآفَةٌ، لَمْ يَقْلِبِ اللَّهُ إِيمَانَهُ.

عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَعجَبُوا بِعَمَلِ أَحَدٍ، حَتَّى تَنظُرُوا بِمَ يُختَمُ لَهُ؟!...**»(٣).

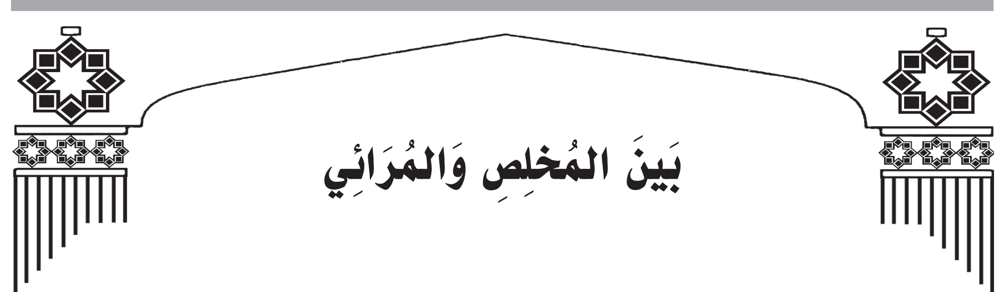
وَفِي خِتَامِ الحَدِيثِ عَنْ إِصلَاحِ السَّرِيرَةِ: يَطِيبُ لِي أَن أَذكُرَ «ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَانَ يَكتُبُ بِهَا بَعضُ السَّلَفِ إِلَى بَعضٍ، فَلَو نَقَشَهَا العَبدُ فِي لَوحِ قَلبِهِ يَقرَؤُهَا عَلَى عَدَدِ الأَنفَاسِ، لَكَانَ ذَلِكَ بَعضُ مَا يَستَحِقُّهُ، وَهِيَ: «**مَن أَصلَحَ سَرِيرَتَهُ، أَصلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ؛ وَمَن أَصلَحَ مَا بَينَهُ وَبَينَ اللَّهِ، أَصلَحَ اللَّهُ مَا بَينَهُ وَبَينَ النَّاسِ؛ وَمَن عَمِلَ لِآخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤنَةَ دُنيَاهُ**»(٤).

وَهَذِهِ الكَلِمَاتُ بُرْهَانُهَا وُجُودُهَا، وَكَمِيَّتُهَا آنِيَتُهَا، وَالتَّوفِيقُ بِيَدِ اللَّهِ، لَا إِلَهَ غَيرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ»(٥).

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢). وفيه قصة.
(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٧٢ - ١٧٣).
(٣) رواه أحمد (٣/ ١٢٠)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٣٤).
(٤) الأثر بنحوه: أخرجه وكيع بن الجرَّاح في «كتاب الزهد» (رقم: ٥٢٥)، وهو صحيح لغيره.
(٥) «الرسالة التبوكية» (ص ٢٣٦).





بَينَ المُخلِصِ وَالمُرَائِي

الإِخلَاصُ مَأمُورٌ «بِهِ بِمَنزِلَةِ الغِذَاءِ الَّذِي هُوَ قِوَامُ حَيَاةِ العَبدِ»(١).
وَالرِّيَاءُ مَنهِيٌّ «عَنهُ بِمَنزِلَةِ السُّمِّ الَّذِي فِيهِ هَلَاكُ البَدَنِ»(٢).

المُخلِصُ: «مَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى رَبِّهِ وَسَلَكَهَا قَاصِدًا الوُصُولَ إِلَيهِ، وَهَذَا هُوَ الكَرِيمُ عَلَى رَبِّهِ»(٣). وَالمُرَائِي «مَن لَم يَعرِفِ الطَّرِيقَ إِلَى رَبِّهِ وَلَم يَتَعَرَّفهَا، فَهَذَا هُوَ اللَّئِيمُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿**وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ**﴾ [الحج: ١٨]»(٤).

المُخلِصُ إِذَا عُوتِبَ لَا يَحرَدُ - أَي: لَا يَغضَبُ وَلَا يَغتَاظُ -، وَلَا يُبَرِّئُ نَفسَهُ، بَل يَعتَرِفُ وَيَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ مَن أَهدَى إِلَيَّ عُيُوبِي، وَلَا يَكُن مُعجَبًا بِنَفسِهِ؛ لَا يَشعُرُ بِعُيُوبِهَا، بَل لَا يَشعُرُ أَنَّهُ لَا يَشعُرُ، فَإِنَّ هَذَا دَاءٌ مُزمِنٌ(٥).

المُخلِصُ «لَا يُبقِي مَجهُودًا فِي مُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيَبذُلُ مَقدُورَهُ كُلَّهُ فِي تَحسِينِهِ وَتَزيِينِهِ وَإِصلَاحِهِ وَإِكمَالِهِ، لِيَقَعَ مَوقِعًا مِن رَبِّهِ، فَيَنَالَ بِهِ رِضَاهُ عَنهُ وَقُربَهُ مِنهُ»(٦).

المُرَائِي «يُعَامِلُ الخَلقَ بِأَفضَلَ مَا يَقدِرُ عَلَيهِ، وَإِن قَامَ فِي خِدمَةِ

---

(١) «شفاء العليل في اختصار إبطال التحليل» (ص ٨٦).
(٢) المصدر السابق. (٣) «طريق الهجرتين» (ص ٣٢١).
(٤) المصدر السابق (ص ٣٢١- ٣٢٢). (٥) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٩٣).
(٦) انظر: «طريق الهجرتين» (ص ٣٨٨ - ٣٨٩).

مَن يُحِبُّهُ مِنَ البَشَرِ قَامَ بِالجدِّ وَالاجتِهَادِ وَبَذلِ النَّصِيحَةِ، وَقَد فَرَّغَ لَهُ قَلبَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِن مَصَالِحِهِ، وَإِن عَامَلَ اللَّهَ عَامَلَهُ بِأَهوَنَ مَا عِندَهُ وَأَحقَرِهِ، حَتَّى إِذَا قَامَ فِي حَقِّ رَبِّهِ، قَامَ قِيَامًا لَا يَرضَاهُ مَخلُوقٌ مِن مَخلُوقٍ مِثلِهِ»(١).

شَجَرَةُ المُخلِصِ ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم]. وَشَجَرَةُ المُرَائِي مَغرُوسَةٌ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ.

شَجَرَةُ المُخلِصِ طُوبَى يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقطَعُهَا. وَشَجَرَةُ المُرَائِي شَجَرَةُ الحَنظَلِ، فَالنُّفُوسُ المُستَقِيمَةُ لَا تَتبَعُهَا.

قَلبُ المُخلِصِ يَطُوفُ حَولَ العَرشِ نَاظِرًا إِلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. وَالمُرَائِي قَدِ اتَّخَذَ قَلبَهُ لِوِقَايَةِ الحَرِّ وَالبَردِ بِبَيتِ العَنكَبُوتِ.

مِصبَاحُ المُخلِصِ يَتَوَقَّدُ ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. وَمِصبَاحُ المُرَائِي قَد عَصَفَت عَلَيهِ الأَهوِيَةُ، فَلَا يَقتَبِسُ مِنهُ الأَنوَارَ.

المُخلِصُ قَلبُهُ مُتَعَبِّدٌ لِمَن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]. وَالمُرَائِي قَلبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالخَلقِ، فَهُوَ أَحقَرُ الحَقِيرِ.

المُخلِصُ كَبَائِعِ المِسكِ: إِمَّا أَن يُحذِيَكَ، وَإِمَّا أَن يَبِيعَكَ، وَإِمَّا أَن تَجِدَ مِنهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً. وَالمُرَائِي كَنَافِخِ الكِيرِ: إِمَّا أَن يُحرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا

---

(١) انظر: «الداء والدواء» (ص ٢١٧).

أَن تَجِدَ مِنهُ رِيحًا خَبِيثَةً.

المُخلِصُ قَد رَكِبَ سَفِينَةَ نُوحٍ، وَقَد صَاحَ بِهِ الرُّبَّانُ: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾﴾ [هود]. وَالمُرَائِي قَد تَخَلَّفَ عَن سَفِينَةِ النَّجَاةِ، وَلَم يركَبهَا، فَأَدرَكَهُ الطُّوفَانُ.

مَشرَبُ المُخلِصِ ﴿مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان]. وَمَنهَلُ المُرَائِي ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: **٣٩**]، فَرَجَعَ خَاسِئًا حَسِيرًا[(١)].

المُخلِصُ «عَبدٌ ذَاهِبٌ عَن نَفسِهِ، مُتَّصِلٌ بِذِكرِ رَبِّهِ، قَائِمٌ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِ، نَاظِرٌ إِلَيهِ بِقَلبِهِ»[(٢)]؛ فَإِن «نَطَقَ نَطَقَ للهِ وَباللهِ، وَإِن سَكَتَ سَكَتَ للهِ، وَإِن تَحَرَّكَ فَبِأَمرِ اللهِ، وَإِن سَكَنَ فَسُكُونُهُ استِعَانَةٌ عَلَى مَرضَاةِ اللهِ؛ فَهُوَ للهِ، وَباللهِ، وَمَعَ اللهِ»[(٣)]. قَد صَحِبَ اللهَ بِلَا خَلقٍ، وَصَحِبَ النَّاسَ بِلَا نَفْسٍ، بَل إِذَا كَانَ مَعَ اللهِ، عَزَلَ الخَلَائِقَ عَنِ البَينِ، وَتَخَلَّى عَنهُم، وَإِذَا كَانَ مَعَ خَلقِهِ، عَزَلَ نَفسَهُ مِنَ الوَسَطِ وَتَخَلَّى عَنهَا. فَوَاهًا[(٤)] لَهُ! مَا أَغرَبَهُ بَينَ النَّاسِ! وَمَا أَشَدَّ وَحشَتَهُ مِنهُم! وَمَا أَعظَمَ أُنسَهُ بِاللهِ! وَفَرَحَهُ بِهِ! وَطُمَأنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ إِلَيهِ![(٥)]

---

(١) «الكافية الشافية» (ص١٦-١٧)، بتصرُّف يسير. (٢) «تهذيب المدارج» (٢/ ٨١٣).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٨٩).

(٤) قال ابن الأثير الجزري: «قيل: معنى هذه الكلمة التَّلَهُّف. وقد تُوضَع مَوْضِعَ الإعْجاب بالشيء. يقال: وَاهًا له. وقد تَرِدُ بمعنى التَّوجُّع. وقيل: التَّوجُّع يقال فيه: آهًا». انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ١٤٤).

(٥) «تهذيب المدارج» (١/ ١٠٥).

المُخلِصُ فِي هَذَا الزَّمَانِ العَصِيبِ يَشتَغِلُ بِتَربِيَةِ مَنزِلَتِهِ عِندَ اللهِ، فَهُوَ فِي شُغلٍ عَن طَلَبِ المَنزِلَةِ عِندَ الخَلقِ. فَلَيسَ عِندَهُ حُبٌّ لِلظُّهُورِ - الَّذِي هُوَ قَاصِمٌ لِلظُّهُورِ - «بَل يَهرُبُ مِنهُ أَشَدَّ الهَرَبِ، وَيَفِرُّ أَشَدَّ الفِرَارِ، خَشيَةَ أَن يَقطَعَهُ الخَلقُ عَنِ الحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ»[١].

وَالمُرَائِي هَمُّهُ حِفظُ مَنزِلَتِهِ «عِندَ الخَلقِ وَمُلَازَمَتُهَا وَتَربِيَتُهَا، وَالخَوفُ مِن زَوَالِهَا»[٢].

المُخْلِصُ «لَا يُطَالِبُ وَلَا يُخَاصِمُ، وَلَا يُعَاتِبُ، وَلَا يَرَى عَلَى أَحَدٍ لَهُ فَضْلًا، وَلَا يَرَى عَلى أَحَدٍ لَهُ حَقًّا»[٣]. وَالمُرَائِي بِخِلَافِ ذَلِكَ.

المُخْلِصُ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ وَيُوَقِّرُ الكَبِيرَ، وَالمُرَائِي لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ.

المُخْلِصُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ سَهْلٌ كَالجَمَلِ الأَنِفِ: إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنِ استُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ. وَالمُرَائِي بِخِلَافِ ذَلِكَ.

المُخلِصُ «خَائِفٌ وَجِلٌ حَزِينٌ مُتَوَاضِعٌ مُنتَظِرٌ لِلفَرَجِ مِن عِندِ اللهِ، يَوَدُّ أَنَّهُ نَجَا كَفَافًا لَا لَهُ وَلَا عَلَيهِ»[٤]؛ وَالمُرَائِي «فَرِحٌ فَخُورٌ مُتَكَبِّرٌ مُدلٍ بِعَمَلِهِ»[٥].

المُخلِصُ «يُحِبُّ أَنْ لَا يُرَى شَخْصُهُ، وَلَا يُحْكَى قَوْلُهُ، وَيَوَدُّ أَنَّهُ أَفْلَتَ كَفَافًا: فَمَعْرِفَتُهُ بِنَفْسِهِ بَلَغَتْ بِهِ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ، وَتَمَسُّكُهُ بِهَذِهِ الْعَزَائِمِ أَوْصَلَهُ إِلَى مَحْضِ الْإِيمَانِ»[٦]؛ وَالمُرَائِي «يُحِبُّ أَنْ يُعْرَفَ

---

(١) شرح حديث: «**مَا ذِئبَانِ جَائِعَانِ**» (ص٥٥).
(٢) المصدر السابق (ص٥٤).
(٣) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٩٨١).
(٤) «المدخل» (٢/ ١/ ٤٥).
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

بِالْخَيْرِ، وَيَنْتَشِرَ عَنْهُ، وَيُنْشَرَ ذِكْرُهُ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يُزْرَى عَلَيْهِ فِي قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، بَلْ يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَيُوَطَّأَ عَقِبُهُ، وَإِنْ لَمْ يُزْرِ لَهُمْ شَيْئًا؛ وَإِنَّمَا شِدَّةُ حُبِّهِ لِذَلِكَ لِحَلَاوَةِ الثَّنَاءِ، وَالْحُبِّ لِإِقَامَةِ الْمَنْزِلَةِ، وَالْفِتْنَةُ فِي هَذَا عَظِيمَةٌ، وَالْمُؤْنَةُ عَلَيْهِ شَدِيدَةٌ»(١).

المُخلِصُ فِي غُربَةٍ شَدِيدَةٍ، لَكِنَّهُ «لَا يَستَوحِشُ مِن قِلَّةِ الرَّفِيقِ، وَلَا مِن فَقدِهِ، إِذَا استَشعَرَ قَلبُهُ مُرَافَقَةَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء]»(٢). فَلَا يَكتَرِثُ بِمُخَالَفَةِ مُحِبِّي الظُّهُورِ وَالشُّهرَةِ لَهُ. «فَإِنَّهُم هُمُ الأَقَلُّونَ قَدرًا، وَإِن كَانُوا الأَكثَرِينَ عَدَدًا»(٣).

المُخلِصُ نَادِرٌ وُجُودُهُ، كَالغُرَابِ الأَعصَمِ - وَهُوَ أَحمَرُ المِنقَارِ وَالرِّجلَينِ - وَهَذَا الوَصفُ فِي الغُربَانِ عَزِيزٌ قَلِيلٌ.

إِنَّ المُخلِصَ الَّذِي لَا يُرِيدُ إِلَّا وَجهَ اللهِ وَثَوَابَهُ، لَا يُبَالِي بِلَومِ اللَّائِمِينَ، إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ رِضًا لِرَبِّ العَالَمِينَ، فَيُقْدِمُ عَلَى قَولِ الحَقِّ، غَيرَ مُبَالٍ بِانتِقَادِ مَنِ انتَقَدَهُ فِي مَوضُوعِهِ، أَو لَفظِهِ، أَو فَصَاحَتِهِ، أَو عَدَمِهَا، لَا يَعُدُّ المَدحَ مِنَ النَّاسِ شَيئًا، فِي جَانِبِ قِيَامِهِ بِالحَقِّ.

أَمَّا المُرَائِي المُتَزَيِّنُ لِلنَّاسِ، الوَاقِفُ فِي هِمَّتِهِ عَلَى مَدحِهِم وَذَمِّهِم: فَمَا أَسرَعَ خَوَرَهُ فِي المَقَامَاتِ الرَّهِيبَةِ! وَمَا أَعظَمَ هَلَعَهُ وَهَيبَتَهُ إِذَا رَمَاهُ النَّاسُ بِأَبصَارِهِم! وَمَا أَقَلَّ ثُبُوتَهُ عِندَ اعتِرَاضِ المُعتَرِضِينَ وَذَمِّ الذَّامِّينَ!

---

(١) «المدخل» (٢/ ١/ ٤٥).
(٢) «موارد الأمان» (ص١٣٢- ١٣٣).
(٣) «تهذيب المدارج» (١/ ٤٣).

وَالسَّبَبُ فِي هَذَا: أَنَّهُ جَعَلَ تَعظِيمَ الخَلقِ، وَمَدحَهُم وَثَنَاءَهُم: نُصبَ عَينَيهِ وَقِبلَةَ قَلبِهِ، وَهُوَ غَايَتُهُ الَّتِي يَطلُبُ، وَمَعلُومٌ أَنَّ مَن كَانَت هَذِهِ حَالُهُ: أَنَّ أَقوَالَهُ وَأَفعَالَهُ تَقَعُ عَلَى هَذَا النَّحوِ الَّذِي يَنحُو، وَالطَّرِيقَةِ الَّتِي إِلَيهَا يَصبُو؛ وَمَعَ ذَلِكَ: لَو قَامَ فِي مَقَامٍ مِن مَقَامَاتِهِ الوَضِيعَةِ، لَكَانَت أَقوَالُهُ وَأَفعَالُهُ قَلِيلَةَ البَرَكَةِ، غَيرَ مَأمُونٍ مِن ثُبُوتِهِ عَلَيهَا، وَلَو تَأَمَّلتَ الغَايَةَ الَّتِي يَسعَى إِلَيهَا، وَهِيَ إِرَادَةُ تَعظِيمِ الخَلقِ، لَوَجَدتَ هَذَا التَّعظِيمَ أَوِ الثَّنَاءَ - إِذَا فُرِضَ وُجُودُهُ - نِفَاقًا وَتَزَيُّنًا وَاتِّبَاعًا لِلأَغرَاضِ المُتَنَوِّعَةِ، فَمَا أَسرَعَ مَا يَنقَطِعُ وَيَتَبَدَّلُ بِضِدِّهِ!

أَمَّا المُخلِصُ للهِ القَاصِدُ لِوَجهِهِ، الَّذِي غَرَضُهُ نَفعُ عِبَادِ اللهِ: فَإِنَّ اللهَ يَجعَلُ فِي أَعمَالِهِ وَكَلَامِهِ الخَيرَ وَالبَرَكَةَ، وَلَو قُدِّرَ أَن يَعتَرِضَهُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لَومُ اللَّائِمِينَ وَطَعنُهُم، فَيَا سُرعَانَ مَا يَزُولُ! ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]. كُلُّ عَمَلٍ لِغَيرِ اللهِ: فَهُوَ مُضمَحِلٌّ بَاطِلٌ، وَكُلُّ سَعيٍ للهِ وَلِنَفعِ الخَلقِ: فَإِنَّهُ بَاقٍ وَنَفعُهُ مُتَوَاصِلٌ؛ مَا أَخسَرَ المُرَائِينَ! وَمَا أَسوَأَ حَظَّ المُتَشَبِّعِينَ بِالبَهرَجِ المُتَزَيِّنِينَ! وَمَا أَعظَمَ حَظَّ المُخلِصِينَ! وَمَا أَعظَمَ دَرَجَاتِهِم عِندَ رَبِّ العَالَمِينَ![1]

كَم بَينَ مَنْ هِمَّتُهُ الكُبرَى دَائِرَةٌ حَولَ مَرَاضِي اللهِ، وَالسَّعيِ فِي نَفعِ عِبَادِ اللهِ، وَاستِحلَاءِ المَشَاقِّ فِي هَذَا السَّبِيلِ؟! وَبَينَ مَنْ هِمَّتُهُ الدَّنِيئَةُ حَولَ الأُمُورِ الدَّنِيئَةِ، وَغَايَتُهُ التَّقَرُّبُ إِلَى الخَلقِ وَالتَّزَيُّنُ لَهُم؟! قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٠٣-٤٠٤)، للعلَّامة السعدي رحمه الله.

هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ ﴾ [الرعد: ١٦][١].

فَسُبحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ! كَم بَينَ الفَرِيقَينِ مِنَ التَّفَاوُتِ؟! المُخلِصُونَ فِي العُلُوِّ عِندَ اللَّهِ، وَالمُرَاؤُونَ فِي السُّفْلِ.

فَاخْتَرْ لِنَفسِكَ إِحدَى الخُطَّتَينِ، وَأَنزِلهَا فِي إِحدَى المَنزِلَتَينِ.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «...**كُلُّ النَّاسِ يَغدُو فَبَائِعٌ نَفسَهُ، فَمُعتِقُهَا، أَو مُوبِقُهَا**»[٢].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: «بَينَ العَبدِ وَبَينَ اللَّهِ وَالجَنَّةِ قَنطَرَةٌ تُقطَعُ بِخُطوَتَينِ: خُطوَةٍ عَن نَفسِهِ، وَخُطوَةٍ عَنِ الخَلقِ، فَيُسقِطُ نَفسَهُ، وَيُلغِيهَا فِيمَا بَينَهُ وَبَينَ النَّاسِ، وَيُسقِطُ النَّاسَ وَيُلغِيهِم فِيمَا بَينَهُ وَبَينَ اللَّهِ، فَلَا يَلتَفِتُ إِلَّا إِلَى مَن دَلَّهُ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى الطَّرِيقِ المُوصِلَةِ إِلَيهِ»[٣].

فَتَأَمَّل مَا أَجَلَّ هَذَا الكَلَامَ مَعَ اختِصَارِهِ! وَمَا أَجمَعَهُ لِقَوَاعِدِ السُّلُوكِ وَلِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ!



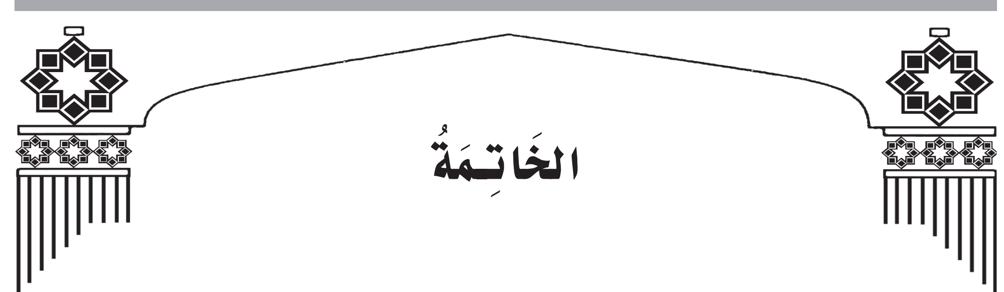
---

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٠٤)، للعلَّامة السعدي رحمه الله.

(٢) قطعة من حديث: رواه مسلم (٢٢٣).

(٣) «فوائد الفوائد» (٤٨٠).





الخَاتِـمَةُ

الحَمدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِلإِسلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَينَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيرِ الأَنَامِ.

«**الإِخلَاصُ** هُوَ السَّبَبُ الوَحِيدُ المُنجِي مِنَ المَكَارِهِ، المُحَصِّلُ لِلمَحَابِّ كُلِّهَا، وَاللهُ تَعَالَى لَم يَخلُقنَا إِلَّا لِنُخلِصَ لَهُ الدِّينَ، وَنَقُومَ بِعُبُودِيَّتِهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»(١).

الإِخلَاصُ للهِ تَعَالَى وَإِرَادَةُ وَجهِهِ: «رَأسُ مَالِ العَبدِ وَمَلَاكُ أَمرِهِ وَقِوَامُ حَيَاتِهِ الطَّيِّبَةِ، وَأَصلُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ وَنَعِيمِهِ وَقُرَّةُ عَينِهِ، وَلِذَلِكَ خُلِقَ، وَبِهِ أُمِرَ، وَبِذَلِكَ أُرسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتِ الكُتُبُ، وَلَا صَلَاحَ لِلقَلبِ وَلَا نَعِيمَ إِلَّا بِأَن تَكُونَ رَغبَتُهُ إِلَى اللهِ عَجَّلَ وَحدَهُ، فَيَكُونَ هُوَ وَحدَهُ مَرغُوبَهُ وَمَطلُوبَهُ وَمُرَادَهُ»(٢).

وَمَن كَانَ كَذَلِكَ «كَفَاهُ اللهُ كُلَّ مُهِمٍّ، وَتَوَلَّاهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَدَفَعَ عَنهُ مَا لَا يَستَطِيعُ دَفعَهُ عَن نَفسِهِ، وَوَقَاهُ وِقَايَةَ الوَلِيدِ، وَصَانَهُ مِن جَمِيعِ الآفَاتِ. وَمَن كَانَ للهِ كَانَ اللهُ لَهُ، حَيثُ لَا يَكُونُ لِنَفسِهِ»(٣).

وَالمُخلِصُونَ «هُم خُلَاصَةُ الخَلقِ وَصَفوَتُهُم، وَهَل يُوجَدُ أَكمَلُ

---

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨١) بتصرُّف، للعلَّامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «روضة المحبين» (ص ٤٠٨).

(٣) المصدر السابق.

مِمَّن خَلُصَت إِرَادَتُهُم وَمَقَاصِدُهُم للهِ وحدَهُ، طَلَبًا لِرِضَاهُ وَثَوابِهِ، وَتفرَّعَت أَعمَالُهُمُ الظَّاهِرَةُ وَالبَاطِنَةُ، عَلَى هَذَا الأَصلِ الطَّيِّبِ الجَلِيلِ؟! وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم]»[1].

وَالمُخلِصُونَ «هُم أَهلُ الهِمَمِ العَالِيَةِ وَالأُجُورِ الفَاضِلَةِ، وَإِنَّ الجَزَاءَ بِحَسَبِ الإِخلَاصِ، وَالأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ؛ وَالعَمَلُ القَلِيلُ مِنَ المُخلِصِ، يَزِنُ الأَعمَالَ الكَثِيرَةَ مِمَّن لَم يَكُن كَذَلِكَ.

وَالمُخلِصُونَ هُمُ الَّذِينَ يُخلِصُهُمُ اللهُ فِي الدُّنيَا مِنَ الفِتَنِ وَالآثَامِ، وَمِنَ العُقُوبَاتِ وَالآلَامِ، وَبِإِخلَاصِهِم يُحِلُّهُمُ المَقَامَاتِ العَالِيَةَ فِي دَارِ السَّلَامِ»[2].

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: فِي سِرٍّ وَفِي إِعلَانٍ، وَاقصِد وَجهَ اللهِ بِالأَقوَالِ وَالأَعمَالِ وَالطَّاعَاتِ.

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: وَقَدِّم «الِاستِعَانَةَ بِاللهِ وَإِخلَاصَ القَصدِ فِي نُصرَةِ الحَقِّ، دُونَ التَّزَيُّنِ وَالتَّحسِينِ لِلخَلقِ»[3].

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: الَّذِينَ أَخلَصُوا الأَعمَالَ وَحَقَّقُوهَا، وَخَلَّصُوا أَعمَالَهُم مِن أَشرَاكِ الرِّيَاءِ وَأَطلَقُوهَا.

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: الَّذِينَ «أَعمَالُهُم كُلُّهَا للهِ، وَأَقوَالُهُم للهِ،

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلّام» (ص١٠٠).

(٢) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨١) بتصرُّف، للعلّامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٢٢).

وَعَطَاؤُهُم للهِ، وَمَنعُهُم للهِ، وَحُبُّهُم للهِ، وَبُغْضُهُم للهِ»(١).

قَالَ العَلَّامَةُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا ... قَد فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحمَنِ
حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُم وَعُزُومُهُم ... للهِ لَا لِلخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ(٢)

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: الَّذِينَ «مُعَامَلَتُهُم ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِوَجهِ اللهِ وَحدَهُ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ مِنَ النَّاسِ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَلَا ابتِغَاءَ الجَاهِ عِندَهُمْ، وَلَا طَلَبَ المَحمَدَةِ، وَالمَنزِلَةِ فِي قُلُوبِهِم، وَلَا هَرَبًا مِن ذَمِّهِم، بَل قَد عَدُّوا النَّاسَ بِمَنزِلَةِ أَصحَابِ القُبُورِ، لَا يَملِكُونَ لَهُم ضَرًّا وَلَا نَفعًا، وَلَا مَوتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا»(٣).

كُن مِن أَهلِ الإِخلَاصِ: فَإِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ عِبَادَةً خَالِصَةً، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥﴾ [البينة].

«فَكُلُّ أَحَدٍ لَم يُؤمَر إِلَّا بِعِبَادَةِ اللهِ بِمَا أَمَرَ، وَالإِخلَاصِ لَهُ فِي العِبَادَةِ»(٤).

فَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ للهِ فِي عِبَادَتِهِ، لَم يَفعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ، بَلِ الَّذِي أَتَى بِهِ شَيءٌ، غَيرُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ؛ فَلَا يَصِحُّ، وَلَا يُقبَلُ مِنهُ(٥).

فَلَا يَقبَلُ اللهُ مِنَ العَمَلِ، إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِوَجهِهِ، عَلَى مُتَابَعَةِ أَمرِهِ. وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ مَردُودٌ عَلَى عَامِلِهِ، يُرَدُّ عَلَيهِ - أَحوَجَ مَا هُوَ إِلَيهِ - هَبَاءً مَنثُورًا(٦).

---

(١) «تهذيب المدارج» (١/ ٩٧).
(٢) «الدرة الفاخرة» (ص٢٩).
(٣) «تهذيب المدارج» (١/ ٩٧-٩٨).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٠٠).
(٥) «الداء والدواء» (ص٢٠٢).
(٦) «تهذيب المدارج» (١/ ٩٨).

كُن مِن أَهلِ الإخلَاصِ: وَاجعَلِ الإخلَاصَ نُصبَ عَينَيكَ فِي كُلِّ مَا تَأتِي وَمَا تَذَرُ، وَفِي كُلِّ مَا تَقُولُ وَتَفعَلُ؛ «بِحَيثُ تَكُونُ الحَرَكَاتُ الفِعلِيَّةُ وَالقَولِيَّةُ، كُلُّهَا خَالِصَةً للهِ تَعَالَى، مُرَادًا بِهَا ثَوَابُهُ وَفَضلُهُ»[١]؛ حَتَّى يَكُونَ الإخلَاصُ لَكَ نَعتًا، وَتَضمَحِلَّ عَن قَلبِكَ جَمِيعُ المَقَاصِدِ وَالأَغرَاضِ المُنَافِيَةِ لِلإِخْلَاصِ.

فَإِن شِئتَ وَصلَ القَومِ فَاسلُك طَرِيقَهُم
فَقَد وَضَحَت لِلسَّالِكِينَ عِيَانًا[٢]

فَلنَحرِص عَلَى الإخلَاصِ وَحُسنِ النِّيَّاتِ، وَمُرَاقَبَةِ اللهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ اللَّحَظَاتِ، وَبِذَلِكَ تَنفَتِحُ عَلَينَا أَبوَابُ المَعَارِفِ، وَتَنشَرِحُ صُدُورُنَا، وَيُبَارِكُ اللهُ لَنَا فِي عِلمِنَا وَحَالِنَا، وَيُوَفِّقُ اللهُ فِي أَفعَالِنَا وَأَقوَالِنَا.

نَسأَلُ اللهَ البَرَّ الرَّحِيمَ سبحانه وتعالى: أَنْ يَمُنَّ عَلَينَا وَعَلَيكُم: بِالإخلَاصِ فِي الأَقوَالِ، وَالأَفعَالِ، وَالأَعمَالِ، فِي جَمِيعِ الأَحوَالِ، إِنَّهُ كَبِيرٌ مُتَعَالٍ.

وَلنَقتَصِر عَلَى هَذَا القَدرِ ، فَإِنَّهُ مَا أُطِيلَ الكَلَامُ فِي عِبَادَةِ الإخلَاصِ، إِلَّا لِفَرْطِ الحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ إِلَى مَعرِفَتِهَا، وَمَعرِفَةِ آثَارِهَا، فَليَتَأَمَّلهَا اللَّبِيبُ، وَليَجعَلهَا سَيرَهُ وَسُلُوكَهُ، وَليَبنِ عَلَيهَا عُلُومَهُ وَأَعمَالَهُ وَأَقوَالَهُ وَأَحوَالَهُ، فَمَا نَتَجَ مَنْ نَتجَ إِلَّا مِنهَا، وَلَا تَخَلَّفَ مَنْ تَخَلَّفَ إِلَّا مِنْ فَقدِهَا.

وَاللهُ المُوَفِّقُ لِمُرَاعَاةِ ذَلِكَ، وَالقِيَامِ بِهِ عَمَلًا وَحَالًا، كَمَا وَفَّقَ لَهُ عِلمًا وَمَعرِفَةً، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالمَانُّ بِهِ، وَهُوَ حَسبُنَا وَنِعمَ الوَكِيلُ.

---

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ١/ ٤٨٩)، للعلّامة السعدي رحمه الله.

(٢) «الرسالة التبوكية» (ص٥٧).

الفِهرِسُ

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة